ISSN: 2149-3979

مجلة

الإلهيات الأكاديمية

مجلة بحوث إسلامية دولية محكمة نصف سنوية العام: 2016 العدد:4

جامعة غازي عنتاب - كلية الإلهيات - تركيا

الهجرة والدين

- افتتاحية العدد - د. محمود قايا
- المهاجرون السوريون والحياة الدينية: تكيُّف، اندماج، مقارنة، تشابه؛ غازي عنتاب نموذجاً - د. أرول أركان
- نظام اللجوء مقارنة بالحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية - د. حسين بيضا
- ظاهرة الاختلاف من المنظور القرآني والاستشهادات الإسلامية المعاصرة حول الهجرة - د. خليل آل دمير
- مشكلة التعبير عن موضوعات الهجرة في سياق العمل الخيري والضيافة والإحسان؛ تحقيقات فلسفية - د. محمد أولو كتوك
- القيمة المعاصرة لأسلوب النبي في إدارة الأزمات - د. معمر بيراق توتار
- الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للهجرة؛ هجرة السوريين إلى غازي عنتاب نموذجاً أ. د. إبراهيم أرسلان و أ. يوسف بوز كيبك و أ. أردال ألانجى أوغلو
- الدين كسبب للحروب التي تؤدي للهجرة/النزوح في الشرق الأوسط - د. عمر جيدا
- الهجرة والمهاجرون بوصفها التعبدي في الإسلام - أ. محمد دمير
- الهجرة السورية إلى تركية؛ أسباب ونتائج وآمال - د. محمد عمر النجار
- الانعكاسات الدينية للهجرة؛ مقارنة الدين والتدين بين سوريا وتركيا - د. محمود قايا
- لقاء مع «تورغاري آل دمير» رئيس وقف بلبل زاده - أجرت الحوار: أ. طوبى أركوت
- تقييم كتاب "الأجانب أمام بابنا" أ .محمد أكسورملي
- أن تكون مسلماً أو تبقى ألمانياً؛ الأمة والدين وتغيير الدين في أوروبة الحديثة - أ. زينب سراب تكتن آق سورمه لي

معلومات النشر

لمجلة «الإلهيات الأكاديمية» بجامعة غازي عنتاب

«مجلة بحوث إسلامية دولية محكمة نصف سنوية»

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي الباحث، ويتحمل مسؤولية مضمونه، ولا يعبر بالضرورة عن رأي جامعة غازي عنتاب أو كلية الإلهيات، ولا يحق نشر هذه المقالات جزئياً أو كلياً بدون إذن خطي من الناشر

رئيس التحرير: أ. د. شيخ موسى دمير

مديرا التحرير: د. مصطفى أونفيردي، د. محمد عمر النجار

مساعد التحرير: سارة فاخوري.

محرر العدد: د. محمود قايا.

هيئة النشر: أ.د. شيخ موسى دمير (رئيساً)، أ.د. دريد عبد القادر نوري، د. محمود جنار، د. رجب طوزجو، د. أيهان أردوغان، د. عائشة أرأوغلو، د. دلارم أكرموفا، د. أرول أركان، د. محيي الدين إيغدا، د. مصطفى أونفيردي، د. محمد عمر النجار، د. ضميرة أحمدوفا، د. عبدي محمد ماميتوف، د. محمد أولوكوتك، د. سمير عمر سيد، د. إبراهيم عبد الله سلقيني، د. عبد العزيز الخلف.

هيئة النشر الاستشارية: وكلهم من أعضاء الهيئة التدريسية في كليات الإلهيات: أ.د. عبد العزيز خطيب (جامعة مرمرة)، أ.د. عبد الله قهرمان (جامعة مرمرة)، أ.د. عدنان دميرجان (جامعة إسطنبول)، أ.د. علي عثمان أتاش (جامعة جقور أوفا)، أ.د. عاصم يبيجي (جامعة جقورأوفا)، أ.د. بنيامين أرول (جامعة أنقرة)، أ.د. أيوب بكر يزيجي (جامعة أتاتورك)، أ.د. حسن يلماز (جامعة أتاتورك)، أ.د. إحسان سريا صرمه (جامعة سيعرت)، أ.د. إلياس شلبي (جامعة مرمرة)، أ.د. لطف الله جبجي (جامعة أرجيس)، أ.د. دوغان قرة جوشكون (جامعة كلس ٧ أراليك)، أ.د. خليل جيجك (جامعة بايزيد)، أ.د. محفوظ سويلماز (جامعة إسطنبول)، أ.د. علي بيوك قرة (جامعة إسطنبول شهير)، أ.د. محمد داغ (جامعة أتاتورك)، أ.د. محمد أوقران (جامعة هيتت)، أ.د. محمد زكي إشجان (جامعة أتاتورك)، أ.د. موسى بلغيز (جامعة أتاتورك)؛ أ.د. مصطفى أغرمان (جامعة أتاتورك)، أ.د. نصر الله حاجي مفتي أوغلو(جامعة بيبورت)، أ.د. عثمان تورر (جامعة كلس ٧ أراليك)، أ.د. روح الدين يازأوغلو (جامعة أتاتورك)، أ.د. صادق قليج (جامعة أتاتورك)، أ.د. شعبان علي دوزجون (جامعة أنقرة)، أ.د. ويسل جوللوجه (جامعة أتاتورك)، أ.د. يوسف ضياء كسكين (جامعة حران)، أ.د. أحمد يلدريم (جامعة يلدريم بايزيد – كلية العلوم الإسلامية)

هيئة التحكيم: وكلهم من أعضاء الهيئة التدريسية في كليات الإلهيات في جامعاتهم: أ.د. جمال الدين أردمجي (جامعة سيعرت)، أ.د. أيوب بكر يزيجي (جامعة أتاتورك)، أ.د. عيسى جليك (جامعة أتاتورك)، أ.د. لطف الله جبجي (جامعة أرجيس)، أ.د. محمد زكي إشجان (جامعة أتاتورك)، أ.د. محمد داغ (جامعة أتاتورك)، أ.د. موسى بلجز (جامعة أتاتورك)، أ.د. نهاد ياطقن (جامعة جامعة أتاتورك)، أ.د. عمر فاروق تبر (جامعة أنطاليا)، أ.د. روح الدين يازأوغلو (جامعة أتاتورك)، أ.د. شيخ موسى دمير (جامعة غازي عنتاب)، أ.د. توحيد عيانجن (جامعة ١٨ مارس جناق قلعه)، أ.د. تنجاي إمام أوغلو (جامعة أتاتورك)، د. محمود جونار (جامعة غازي عنتاب)، د. محمد أميد (جامعة مرمرة)، د. نامق كمال قرة بيبار (جامعة حران) د. حنفي شاهين (جامعة أتاتورك)، د. محيي الدين إيغدا (جامعة غازي عنتاب)، د. عثمان نوري قرة دايي (جامعة قرة دنيز تكنيك).

مراجعة الترجمة: د. إبراهيم عبد الله سلقيني د. سمير عمر سيد، د. عبد العزيز الخلف، أ. سارة فاخوري

القراءة الأخيرة: د. محمد عمر النجار

تصميم الغلاف: حليمة صري قايا

التنسيق والإخراج الفني: د. إبراهيم عبد الله سلقيني

الدعاية والتواصل الاجتماعي: د. محمد راشد أقبينار، أ. محمد أكسورملي

النشر والتوزيع: أ. محمد قاسم أردان

العنوان: جامعة غازي عنتاب، كلية الإلهيات (مجلة الإلهيات الأكاديمية)، شهيد كامل، غازي عنتاب – تركيا

ت: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٦٩٦٥ ف: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٢١٣٦ @: ilahiyatakademi@gantep.edu.tr

http://ilahiyat.gantep.edu.tr/dergi

المطبعة: مطبعة جامعة غازي عنتاب

مكان وتاريخ الطباعة: غازي عنتاب – ٢٠١٧

الفهرس

افتتاحية العدد

د. محمود قايا – جامعة حران

المقالات

المهاجرون/ النازحون السوريون والحياة الدينية: تكيُّف، اندماج، مقارنة، تشابه؛ غازي عنتاب نموذجاً - د. أرول أركان

نظام اللجوء مقارنة بالحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية - د. حسين بيضا

ظاهرة الاختلاف من المنظور القرآني والاستشهادات الإسلامية المعاصرة حول الهجرة - د. خليل آل دمير

مشكلة التعبير عن موضوعات الهجرة في سياق العمل الخيري والضيافة والإحسان؛ تحقيقات فلسفية - د. محمد أولو كتوك

القيمة المعاصرة لأسلوب النبي ﷺ في إدارة الأزمات - د. معمر بيراق توتار

الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للهجرة؛ هجرة السوريين إلى غازي عنتاب نموذجاً -

أ. د. إبراهيم أرسلان و أ. يوسف بوز كييك و أ. أردال ألانجى أوغلو

الدين كسبب للحروب التي تؤدي للهجرة/ النزوح في الشرق الأوسط - د. عمر جيدا

الهجرة والمهاجرون بوصفها التعبدي في الإسلام - أ. محمد دمير

الهجرة السورية إلى تركية؛ أسباب ونتائج وآمال - د. محمد عمر النجار

الانعكاسات الدينية للهجرة؛ مقارنة الدين والتدين بين سوريا وتركيا - د. محمود قايا

لقاء مع «تورغاري آل دمير» رئيس وقف بلبل زاده - أجرت الحوار: أ. طوبى أركوت

"Book Review "Strangers at Our Door - أ. محمد أكسورملي

أن تكون مسلماً أو تبقى ألمانياً؛ الأمة والدين وتغيير الدين في أوروبة الحديثة - أ. زينب سراب تكتن آق سورمه لي

ضوابط النشر في المجلة

افتتاحية العدد

أيها القراء الأعزاء. إننا بصدد اللقاء مع عدد جديد من مجلة «الإلهيات الأكاديمية» التي تصدر عن كلية الإلهيات في جامعة غازي عنتاب. وموضوعها الرئيس «الهجرة والدين».

إن تاريخ البشرية هو تاريخ هجرة في الوقت ذاته، فالهجرات التي تتم طوعاً، وأحياناً قسراً، تتضمن انتقال العادات الاجتماعية والثقافية للمجموعات البشرية وتغيرها. وإن الهجرة اليوم تدخل في مجريات حياتنا متمثلة في نموذج جارتنا سورية.

فالتحركات الشعبية الجارية في الشرق الأوسط المسماة «الربيع العربي» غيرت النسيج السياسي والاجتماعي لكثير من الدول لدرجة مهمة أثرت على جارتنا سورية أيضاً. حيث انطلقت التحركات الشعبية في سوريا عام ٢٠١١ م، وتطورت إلى مظاهرات ضد الممارسات القمعية للنظام الحاكم. وعندما وصلت هذه المظاهرات إلى مرحلة العصيان والصراع والمواجهة المسلحة حدثت فوضى عارمة ولم يعد في البلاد أمان لا على المال ولا على النفس، فأدت هذه التطورات إلى بدء عملية هجرة ونزوح قسريان. وتوجهت موجات الهجرة إلى الدول المجاورة لسورية، ومن ضمنها تركية التي تربطها بسورية روابط تاريخية وثقافية واجتماعية قوية.

إن موجات الهجرة هذه التي تدفقت وتطورت دون سابق إنذار، وازدادت أعدادها يوماً بعد يوم من دون أن يستطيع أحد الحدَّ منها بلغت الملايين خلال سنوات. وحسب إحصاءات المديرية العامة لإدارة الهجرة في تركيا فإن عدد المهاجرين السوريين بلغ / ٦١٣ , ٨١٤ , ٢/ نازحاً. حتى نهاية ٢٠١٦ م.

ولا شك أن المحافظات الأكثر تأثراً بالهجرة ديموغرافياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً. هي تلك المحافظات الحدودية المجاورة لسورية. كمحافظة كلس، وغازي عنتاب، وشانلي أورفة، وهاتاي، ثم إن إقامة المهاجرين السوريين في تركية قد تسبب لهم وللسكان المحليين على حد سواء بظهور تجارب ومواجهات متعددة الجوانب، وهذا الأمر ظاهر للعيان ولا لبس فيه. ولا شك أن أحد الميادين المذكورة هو المفهوم الديني وأنماط المعيشة التي يشكل فيها الدين نقطة مركزية.

وقد جرى العمل من قبل كتابنا على استبيان آراء ووجهات نظر المهاجرين السوريين المقيمين في تركيا منذ ما يقارب الخمس سنوات حول الحياة الدينية في تركيا، والوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف وذلك من

خلال اللقاءات التي جرت على السواء مع السوريين والأتراك، وتحمل اللقاءات المذكورة أهمية من ناحية تقديمها بيانات أولوية بشأن الهجرة والدين، وتأتي مجريات حياة المهاجرين السوريين على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي بين الموضوعات الواردة في المجلة بشكل منفصل. وكذلك فإن تقييمات الكتَّاب من شأنها إغناء هذا العدد أيضاً. وآمل أن تسهم أبحاث هذه المجلة في الدراسات الأكاديمية.

وأخيراً أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من كان له جهد وكل من قدم دعماً ومساعدة في إعداد هذا العدد ونشره، وعلى رأسهم هيئة النشر وهيئة الإعلام وهيئة التحكيم وكتّاب المقالات وفريق النشر والطباعة والتوزيع.

مع فائق الاحترام

د. محمود قايا

جامعة حران

كلية العلوم الطبيعية والآداب

قسم علم الاجتماع

المهاجرون / النازحون السوريون والحياة الدينية:
تكيُّف، اندماج، مقارنة، تشابه؛ غازي عنتاب نموذجاً*

د. أرول أركان

جامعة غازي عنتاب – كلية الإلهيات: erkanerol27@hotmail.com

ترجمة: محمد قاسم أَردَان – إبراهيم إلكي

الخلاصة:

أُجري تقييم حول الحياة الدينية مع اللاجئين السوريين الذين يزداد عددهم في تركيا يوماً بعد يوم. وتمت محاولة الوقوف على الوعي والتصور الديني لدى المهاجرين السوريين، وبيان الحياة الدينية القائمة في سورية، والدين والتدين في تركيا، وإجراء مقارنة بين المظاهر والشعائر الدينية لدى الجانبين. وأجريت تحقيقات حول أوجه التشابه والاختلاف بين الحياة لديهم والحياة الدينية القائمة في تركيا، وحول عملية التفاعل والتأثر التي ظهرت بعد النزوح/ الهجرة، وعملية تكيف اللاجئين. ويهدف المقال كذلك إلى بيان دور الدين في بروز جوانب الاختلاف والتشابه القائمة في الحياة الدينية لدى المجتمعين المختلفين اللذين يمتلكان عقيدة مشتركة، وفي عملية اندماج وتكيف المجتمعين مع بعضهما. ويحمل المقال أهمية من ناحية تسليط الضوء على دور وتأثير المظاهر المختلفة للدين حسب المجتمعات في الاندماج والاتحاد الاجتماعي، وإقامة كلا المجتمعين لقنوات اتصال فيما بينهما بشكل أفضل، وإجراء كل منهما لتقييم أصح بشأن الآخر. واعتمد في البحث المنهج النوعي، واستخدمت آلية المقابلة الشخصية. لذا فإن البيانات ومعطيات الدراسة مستقاة من المقابلات التي أجريت مع اللاجئين السوريين، ومن تجاربهم التي مروا بها على الصعيد الشخصي والاجتماعي. وتم التوصل في الدراسة إلى نتيجة مفادها أن الدين يختلف حسب المجتمعات سواء على الصعيد الشكلي، أو على صعيد المضمون.

الكلمات المفتاحية: سوريا، اللاجئون، المهاجرون السوريون، الحياة الدينية، التدين

Suriyeli Göçmenler ve Dini Hayat:
Uyum, Karşılaşma, Benzeşme. Gaziantep Örneği

Özet

Bu makalede Türkiye'de sayıları her geçen gün artan Suriyeli sığınmacılarla dini hayat üzerine bir değerlendirme yapılmıştır. Suriyeli göçmenlerin din algısı, Suriye'deki dini hayat ile Türkiye'de din ve dindarlık yorumu, dini yaşantı arasında bir karşılaştırmaya girişilmiştir. Türkiye'deki dini hayat ile onların dini hayatı arasındaki farklılıklar, benzerlikler, göç sonrası ortaya çıkan etkileşim ve göçmenlerin uyum süreci üzerinde sorgulamalar yapılmıştır. Ortak inanca sahip iki

*وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Suriyeli Göçmenler ve Dini Hayat: Uyum, Karşılaşma, Benzeşme: Gaziantep Örneği" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (أرول أركان، المهاجرون/النازحون السوريون والحياة الدينية: تكيُّف، اندماج، مقارنة، تشابه؛ غازي عنتاب نموذجا، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ١-٣٦). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

farklı toplumun dini hayatlarındaki benzerliklerin, farklılıkların ve iki toplumun uyum sürecinde dinin rolünün tespit edilmesi amaçlanmıştır. Dinin toplumlara göre farklı tezahürlerinin, toplumsal bütünleşmedeki rolünün ve etkisinin görülebilmesi, her iki toplumun daha sağlıklı iletişim ve birbirleri hakkında daha doğru değerlendirme yapabilmeleri açısından makale önem arz etmektedir. Çalışmada nitel yöntem tercih edilmiş ve mülakat tekniği kullanılmıştır. Dolayısıyla araştırmanın verileri Suriyeli göçmenlerle yapılan mülakatlardan, onların mikro-sosyolojik düzeyde yaşadıkları deneyimlerinden elde edilmiştir. Araştırmada, dinin, gerek şekilsel gerekse anlam düzeyinde toplumlara göre farklılaştığı sonucuna ulaşılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Suriye, mülteciler, Suriyeli göçmenler, dini hayat, dindarlık

Syrian Immigrants and Religious Life: Adaptation, Encounter, Affinity. Gaziantep Example

Abstract

In this article an assessment was made on the religious life of Syrian refugees whose number increases everyday in Turkey. A comparison have been made on religious perceptions of Syrian refugees, religious life and religious perceptions in Turkey and Syria. Religious life in Turkey in terms of its differences and similarities with their religious life, post migration interactions and refugees' integration processes are questioned. In this study it is aimed to determine similarities and differences of religious life and the role of religion during integration proccess of two different societies sharing mutual beliefs. The article is important in order to emerge the role and impact of religion for social integration, to observe different interpretations of religion in different societies, and to form a better communication between two societies. Qualitative methodology and interview method are used in this study. In that sense, data of the study came from interviews held with Syrian refugees and their micro-sociological level experiences. It is conculuded that religion is differentiated among different societies in tems of meaning and practice.

Keywords: Syria, refugees, Syrian immigrants, religious life, piety

مدخل:

انطلقت المظاهرات والتحركات الشعبية في سوريا عام ٢٠١١ بالتزامن مع حركات الاحتجاج الشعبية التي اجتاحت العالم العربي بشكل عام. وبدأت هذه التحركات بمطالبة نظام البعث الحاكم بإجراء إصلاحات في البلاد. وتمثلت مطالب الشعب السوري بإلغاء الأحكام العرفية وحالة الطوارئ السائدة في البلاد، وتوسيع نطاق الحريات الفردية، وتوزيع الدخل الوطني بشكل عادل، وإنهاء احتكار حكم الحزب الواحد في الدولة

والمتمثل في حزب البعث. وبدلاً من استجابة نظام الأسد لهذه المطالب وإجراء إصلاحات جذرية تؤدي إلى وضع حد لتفرد حزب البعث في حكم البلاد والهيمنة عليها، لجأ إلى إدخال بعض التعديلات المحدودة ضمن النطاق القانوني، وحاول الضغط على الاحتجاجات والمظاهرات التي عمت كافة أنحاء البلاد باستخدام قوة السلاح [١]. وتسبب هذا الأمر في نشوب حرب داخلية في سوريا بين نظام الأسد ومعارضيه. ونتيجة لهذه الحرب الداخلية اضطر الملايين من المواطنين السوريين إلى ترك بلدهم واللجوء إلى الدول المجاورة. ولم تبق الأزمة السورية مقتصرة على الداخل السوري، وإنما صارت سبباً لظهور مشاكل وتعقيدات وصدامات على المستوى الإقليمي والدولي. وأثرت الأزمة السورية بشكل مباشر على عدة أصعدة، وعلى رأسها مسألة اللاجئين. إذ إن هذه الأزمة فتحت الطريق أمام دخول الملايين من اللاجئين السوريين إلى تركيا، بحيث وضعت المجتمع التركي، والسلطة الحاكمة أمام معضلة كبيرة وثقيلة.

حسب آخر المعلومات التي صرحت بها المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فإن عدد المواطنين السوريين الذي اضطروا نتيجة للحرب الداخلية/ الأهلية الدائرة في سوريا إلى ترك منازلهم والهروب إلى مناطق أخرى داخل البلاد بلغ سبعة ملايين وستمائة ألف شخص (٧٦٠٠٠٠٠). وكذلك حسب آخر المعلومات التي أعلنت عنها هذه المفوضية العليا لشؤون اللاجئين فإن عدد السوريين الذين غادروا سوريا بسبب الحرب تجاوز أربعة ملايين ومائة وأربعة وثمانين ألف إنسان (٤٢٨٤٠٠٠). لقد غادر المواطنون السوريون بلدهم سوريا بسبب الحرب الداخلية ولجؤوا إلى دول الجوار مثل تركيا، ولبنان، والأردن، والعراق، ومنهم من لجأ حتى إلى أوروبا وغيرها من البلدان البعيدة. ففي الجهة الجنوبية لسوريا: يوجد في لبنان مليون وسبعمائة وثمانون ألف لاجئ (١٧٨٠٠٠٠٠)، وفي الأردن ستمائة وثمانون ألف لاجئ (٦٨٠٠٠٠). وتُعد تركيا من أكثر الدول احتواء واستضافة للاجئين [٢].

فوفق ما أعلنته المديرية العامة لإدارة الهجرة التابعة لوزارة الداخلية التركية فإن عدد اللاجئين السوريين المسجلين في تركيا بلغ خلال شهر كانون الثاني عام ٢٠١٦ بلغ مليونين ومائتين وخمسة وخمسين ألفًا ومائتين وتسعة وتسعين لاجئاً (٢٢٥٥٢٩٩)، يقيم منهم مائتان وتسعة وسبعون ألفاً وخمسمائة وأربعة وسبعون لاجئاً (٢٧٩٠٧٤) في المخيمات. وحسب البيانات التي صرحت بها الأمم المتحدة فإن عدد السوريين في الدول الأوروبية بلغ ثمانمائة وثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة وتسعة وتسعين لاجئاً (٨١٣٥٩٩). وحسب المعلومات المعلنة

(١) Atilla Sandıklı, Ali Semin (Hazırlayanlar), Bütün Boyutlarıyla Suriye Krizi ve Türkiye (Bilge Adamlar Kurulu Raporu), Bilgesam Yayınları, İstanbul 2012, s.1.

(٢) http://www.aljazeera.com.tr/haber/suriyeli-multecilerin-sayisi-4-milyon-185-bine-ulasti (زيارة بتاريخ: ٢٠/ ٣/ ٢٠١٦). وانظر أيضاً: http://www.goc.gov.tr/icerik6/gecici-korumamiz-altindaki-suriyeliler_409_558_560_icerik.

من إدارة الهجرة أيضاً فإن غالبية السوريين داخل تركيا يتواجدون في مدن: أورفا، وهاتاي، وإسطنبول، وغازي عنتاب [٣]. ووفقاً للبيانات الرسمية فإن تركيا التي تستضيف ما يزيد عن مليونين ونصف لاجئ سوري تقوم من خلال آفاد AFAD (رئاسة إدارة الكوارث والأحوال الطارئة) بتقديم المساعدات الإنسانية وتلبية الاحتياجات الضرورية للاجئين مثل: المأوى، والطعام والشراب، والصحة، والأمن، والتعليم، والخدمات المصرفية، والتواصل وغيرها من الحاجات. ووفقاً لما صرحت به AFAD (إدارة الكوارث) بتاريخ ١٤ آذار ٢٠١٦ فإن عدد اللاجئين السوريين المقيمين في مراكز الإيواء مثل المخيمات والمنازل المسبقة الصنع المتوزعة على مختلف المحافظات التركية مثل: هاتاي، وغازي عنتاب، وكلس، وشانلي أورفا، وقهرمان مرعش بلغ مائتين واثنين وسبعين ألفًا وثلاثة عشر لاجئاً (٢٧٢٠١٣) [٤]. ففي غازي عنتاب يبلغ عدد السورين الموجودين في مراكز الإيواء تسعةً وأربعين ألفاً وتسعمائة وخمسة من الأشخاص (٤٩٩٠٥) [٥]، هذا إلى جانب مئات الآلاف من اللاجئين السوريين الموجودين داخل المدينة. يوجد في شانلي أورفا ثلاثمائة وستة وخمسون ألفاً وثلاثمائة وتسعون لاجئاً (٣٥٦٣٩٠). وفي هاتاي يوجد ثلاثمائة وواحد وأربعون ألفاً ومائة وأربعة وسبعون لاجئا (٣٤١١٧٤)، ويوجد في إسطنبول ثلاثمائة وخمسة آلاف وسبعة وستون (٣٠٥٠٦٧). وتأتي محافظة غازي عنتاب بعد هذه المدن المذكورة من حيث المحافظات الأكثر استضافة للاجئين، حيث تستضيف ما يزيد على مائتين وسبعة وسبعين ألفا وتسعمائة وخمسة من اللاجئين (٢٧٧٩٠٥) [٦].

إن اللاجئين السوريين الموجودين في تركيا منذ قرابة خمس سنوات والذين يزداد عددهم يوماً بعد يوم، ووضع مدينة غازي عنتاب التي تأوي ما يزيد على مائتين وسبعين ألف مهاجر سوري ملفت للأنظار من هذه الزاوية. كما يشكل المهاجرون السوريون موضوعاً للأبحاث والدراسات من نواحٍ كثيرة. وتُعد مسائل مثل أنماط الحياة والأفكار الدينية لدى المهاجرين السوريين، وأوجه التشابه والاختلاف بين الحياة الدينية القائمة في تركيا وبين حياتهم، ومظاهر التأثر والتفاعل التي ظهرت بعد الهجرة، ودور الدين في عملية تكيف واندماج المهاجرين مثيرة للاهتمام [٧]. وسوف يتم التوقف في هذا المقال عند هذه المسائل والبحث فيها. وقد تم اتخاذ المسلمين السنة من اللاجئين السوريين كنقطة ارتكاز للدراسة. وإن السبب وراء اختيار المسلمين السنة من بين

(٣) http://www.posta.com.tr/turkiye/HaberDetay/Iste-Turkiye-deki-son-kayitli-Suriyeli-sayisi--Ocak-2016-.htm?ArticleID=321871 (زيارة بتاريخ: ٢٠١٦/٣/٢٠).

(٤) https://www.afad.gov.tr/TR/IcerikDetay1.aspx?ID=16&IcerikID=848 (زيارة بتاريخ: ٢٠١٦/٣/٢٠).

(٥) https://www.afad.gov.tr/TR/IcerikDetay1.aspx?ID=16&IcerikID=848 (زيارة بتاريخ: ٢٠١٦/٣/٢٠).

(٦) http://www.sondevir.com/rapor-arastirma/456276/turkiyede-hangi-sehirde-kac-suriyeli-multeci-yasiyor (زيارة بتاريخ: ٢٠١٦/٣/٢٠).

(٧) الدين هو "الرابط الذي ينشأ بين المقدس والمؤمنين به" ,"(Günay, 1999: s.70)، أما التدين فهو "درجة إقرار الشخص بالمعتقدات، والعبادات، والرموز العائدة للدين الذي يتبعه، ومدى الانكباب عليها، والانشغال" (:Kurt, 2009) وأما الحياة الدينية فهي ظهور آثار الدين على الفرد والمجتمع.

عموم اللاجئين السوريين كمحل للبحث والدراسة هو كونهم يشكلون غالبية الشعب السوري. فالمجموعات الدينية الرئيسية في سورية قبل اندلاع الحرب هي: السنة ٧٤٪، النصيرية ١٢٪، المسيحية ١٠٪، الدرزية ٣٪[٨]. كما يتبين من هذه النسب فإن غالبية الشعب السوري هم من المسلمين السنة.

سوف تتم في هذا المقالة محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

«هل هناك اختلافات في الأنماط المعيشية والمفاهيم الدينية لدى الشعبين المنتسبين إلى دين الإسلام، الدين المشترك بينهما بشكل عام؟، وفي أي الأمور والمجالات تبدو، وإن كان ثمة اختلافات؟، فهل يظهر تشابه في نمط الحياة الدينية خلال خمس سنوات؟، هل تتحول الاختلافات إلى مشكلات بين الشعبين؟ وهل هناك مشكلات يواجهها أو واجهها المهاجرون في الحياة الدينية؟».

ونسعى في هذا المقال إلى تبيان الأمور التي تختلف فيها الثقافتان المتمايزتان بشأن أنماط الحياة والمفاهيم المتعلقة بالمعتقدات المشتركة بينهما، ودور الدين في عملية تكيف واندماج المجتمعين معًا. ونرجو أن يقدم المقال إسهاماً في تقييمات أفضل وأكثر صوابية فيما يتعلق بالحياة الدينية لدى المهاجرين السوريين. وبذلك يمكن أن يساعد على إقامة علاقة أصح مع هؤلاء المهاجرين. كما تستند البيانات والمعطيات الواردة في الدراسة إلى المقابلات التي أجريت مع اللاجئين السوريين من تجاربهم الحياتية التي مروا بها على الصعيد الشخصي والاجتماعي. واعتُمد المنهج النوعي كمنهج وطريقة في هذه الدراسة والبحث، واستخدمت آلية المقابلة. وفي هذا السياق فقد تم تكوين حزمة بيانات ورؤى عميقة باستخدام أسلوب البحث في المراجع والمصادر ذات العلاقة، وصيغت المقابلة [٩] التي أجريت في شهري آذار ونيسان ٢٠١٦ مع اثني عشر شخصاً من اللاجئين السوريين سواء بصورة مباشرة أو من خلال مترجمين، ثم اخضعت النتائج والمعطيات المتحصلة للتدقيق والتحليل. ولم تكن هناك حاجة لإجراء المقابلة مع مزيد من الأشخاص بسبب تكرار المعلومات والبيانات المتحصل عليها. وأجريت لقاءات مع بعض الأساتذة السوريين الذين يقومون بوظيفة التدريس في كلية الإلهيات بجامعة غازي عنتاب، ومع بعض الطلبة السوريين الذين يتلقون تعليمهم في الكلية ذاتها لاعتقادنا أن تلك المقابلات تسهم في التوصل إلى تقييمات أفضل وأصح فيما يتعلق بالحياة الدينية. وكذلك أجريت لقاءات مع بعض المسؤولين في الجمعيات التي أسسها اللاجئون السوريون، ومع بعض الأشخاص الذين تم اختيارهم بشكل عشوائي. وإلى جانب المقابلات واللقاءات التي تمت مع المهاجرين السوريين، فقد أجريت حوارات مع بعض المواطنين الأتراك الذين تتيح لهم إمكاناتهم أو نشاطاتهم الاطلاع عن قرب على الحياة الدينية للسوريين.

(٨) Birol Akgün, *Suriye Krizi'nde Bölgesel ve Küresel Aktörler (Perspektifler, Sorunlar ve Çözüm Önerileri)*, Sosyolojik Düşünce Enstitüsü Analiz, Haziran 2012, s.4.

(٩) تم إيراد نموذج المقابلة في نهاية المقال.

إلى جانب المشكلات الكثيرة التي يجب أن يتخطاها ويتغلب عليها اللاجئون السوريون الذين تتجاوز أعدادهم المليونين والنصف وفق البيانات الرسمية، ينبغي أن يخطوا خطوات واسعة أيضاً نحو التكيف مع المجتمع الجديد، وثقافة هذا المجتمع، وطراز حياته. فتعايش المجتمعين المختلفين مع بعضهما بوئام بعيداً عن الصراع والتصادم يحمل أهمية مصيرية للمجتمعين معاً. وإن في تعايش المجتمعين مع بعضهما بانسجام ووئام أهمية كبيرة للدولة التركية وأمنها أيضاً.

- الإطار النظري
- الثقافة والدين

هناك تعاريف كثيرة ومختلفة بشأن الثقافة. فعلى سبيل المثال: يعرف زيجموت بومان (Zgymunt Bauman) الثقافة بأنها: «إقامة نظام وحمايته، ومحاربة ومقاومة كل شيءٍ يفسد النظام، ويبدو خطراً من وجهة نظر هذا النظام»، وبذلك فإنه يلفت الأنظار إلى جانب الثقافة الذي يؤمِّن النظام للمجتمع. وكذلك يمكن تعريف الثقافة على أنها: «اتحاد العناصر والمقومات المادية والمعنوية للمعتقدات والممارسات والتطبيقات التي تعلمناها خلال العملية الاجتماعية والتي بنت علاقات وجودنا». أو أنها: «مجموعة مختلطة ومعقدة من العادات والتقاليد، والقدرات والمهارات، والفنون، والصنائع، والمعارف، والعلوم التي تعلمها (اكتسبها) الإنسان كعضو في مجتمع ما» (١٠). ويرى يوهان غوتفريد هيردر (Johann Gottfried Herder). إن الثقافة هي: «عاملٌ يوحد أعضاء الجماعة ضمن مجموعات منسجمة ومتوائمة تمتلك أنماط حياة مشتركة أصيلة» (١١). إن ما يلفت الأنظار في هذه التعاريف أن الثقافة صفة لمجتمع، جماعة ما. وإن خاصية الثقافة هذه تبرز كعنصر مميز لها بين المجتمعات.

تلعب الظروف والأوضاع القائمة داخل المجتمع دوراً بارزاً ومهماً في تكون الثقافة. إلا أن الثقافة ليست نتيجة لظروف وأوضاع الحياة المادية فحسب. إذ إن أحد العناصر المحددة المهمة للثقافة هو العنصر المعنوي، أي عقيدة المجتمع. لأن الدين له تأثير على المستوى الفردي والجماعي على حد سواء. فالدين على المستوى الفردي يفسر للفرد معنى أو غاية وجوده والعالم الذي يعيش فيه، ووسيلة لبث نوع من التسليم والسلام في عالم الفرد الداخلي؛ وأما على الصعيد المجتمعي فإنه يلعب دوراً فعالاً ومؤثراً ومهماً في تشكيل وتحديد علاقات المجتمع، والتصرفات والمعاملات الاجتماعية، وفي ظهور المؤسسات. لذا فإن الدين يؤثر على المجتمع الذي يسود فيه ويشكله. وإن التغيرات التي تطرأ في المجال الديني تتسبب بإحداث تغيير في الميادين الثقافية الأخرى

(١٠) Bozkurt Güvenç, İnsan ve Kültür, Remzi Kitabevi, Ankara 2005, s.100, 101.

(١١) Watt Waggoner, "Kültür ve Din", çev. Mustafa Arslan, içinde: Din Sosyolojisi Kuram ve Yöntem, der. Peter B. Clarke, Ankara 2012, s. 341.

أيضاً [١٢]. وفي هذا السياق يجعل ماكس فيبر (Max Weber) للدين دوراً في ولادة الاقتصاد الرأسمالي، ويبين أن القيم الدينية يمكن أن تكون عاملاً مهماً في الحياة الاجتماعية وفي حدوث التغيرات الثقافية [١٣].

يقدم الدين نفسه بأشكال مختلفة. فيبرز نفسه في البعد النظري من خلال العقائد، وفي الجانب العملي والتطبيقي من خلال العبادات، ويظهر نفسه في الصفة أو الطابع الاجتماعي من خلال الجماعات الدينية. إن استمرارية دين، عقيدة من العقائد والمحافظة على وجوده مرتبطة بقدرته على تأسيس العلاقات والروابط الاجتماعية، وتطويرها [١٤]. وإلا فإن ذلك الدين سوف يحكم على نفسه بالزوال. فالدين مؤسسة مهمة ومؤثرة على حياة المجتمع نظراً لجانبه القادر على إقامة وتأسيس العلاقات الاجتماعية وتطويرها.

يؤدي الدين وظائف متعددة ومختلفة في المجتمع. فمن جهة يقدم الدين للناس منظوراً مفاهيمياً يؤمن لهم رؤية الدنيا التي يعيشون فيها بزوايا خاصة، ومن جهة أخرى يقوم بمهمة حماية عناصر البناء الاجتماعي [١٥]. إن الدين بأبعاده ومهامه المختلفة ملفت للانتباه كعامل مؤثر في حياة الفرد، وحياة المجتمع على حد سواء. ويمكن رؤية تأثيراته على المجتمع على عدة أصعدة وبأبعاد مختلفة. فعند النظر إلى حياة الفرد والمجتمع عن قرب نجد أن المراحل الانتقالية وبخاصة للأفراد محاطة بالمعتقدات والممارسات الدينية. وأهم هذه المراحل هي مرحلة الولادة التي تُعد بداية الحياة، ومرحلة الموت التي تُعد نهايتها. فالاسم الذي يُطلق على المولود الجديد، وشكل وضع هذا الاسم وإطلاقه خاضع لتأثيرات الدين. فعامل الدين يبرز بشكل أكبر في هذا التطبيق أو الممارسة التي توصف أو تعرف بثقافة الاسم [١٦].

وكما أن الدين له تأثير على المراحل الانتقالية المهمة، فإننا يمكن أن نستشعر المؤثرات الدينية على الحياة اليومية العادية أيضاً. إذ إن الدين في حياتنا اليومية يمكن أن يؤثر على مختلف الجوانب ابتداءً من تصرفاتنا العادية البسيطة مثل الطعام والشراب وحتى أنشطتنا الاقتصادية، واختيار المهن التي نعمل بها، والتوجهات السياسية التي نتبناها، وعلى تنظيم أوقات وظروف العمل، وكذلك يؤثر على طبيعة الخطاب والحديث، ابتداءً من لغة الحديث والكلام اليومي، وحتى لغة الأدب والفن وأسلوبه.

---

(١٢) Mümtaz Turhan, Kültür Değişmeleri (Sosyal Psikoloji Bakımından Bir Tetkik), Çamlıca Yayınları, İstanbul 2002, s. 86.

(١٣) Max Weber, Protestan Ahlakı ve Kapitalizmin Ruhu, çev. Zeynep Gürata, Ayraç Yayınları, Ankara 2005.

(١٤) Joachim Wach, Din Sosyolojisi, çev. Ünver Günay, Marmara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları, İstanbul 1995, s. 5.

(١٥) Şerif Mardin, Din ve İdeoloji, İletişim Yayınları, İstanbul 2004, s. 66.

(١٦) Vejdi Bilgin, "Din ve Kültür", içinde: Din Sosyolojisi, editör: Mehmet Bayyiğit, Palet Yayınları, Konya 2013, s. 109.

ويمكن ملاحظة تأثيرات الأديان على المجتمع في عدة جوانب وأبعاد. فالأديان قد فتحت الطريق بأوامرها ونواهيها أمام حدوث الكثير من التغيرات والتطورات المهمة في المجتمعات. فقد ظهرت الكثير من المؤسسات الثقافية نتيجة سعيها ومحاولتها التموضع والاستمرار بالشكل والصيغة التي يستوجبها الدين. وهذه المساعي طورت العمارة، والأدب، والموسيقى، والشعر وما شابه ذلك من الفنون الأخرى. وحتى إن الكثير من المعطيات الدينية لعبت دوراً فرضياً/ نظرياً في تطور العلم. فعلى سبيل المثال؛ إن وجوب إجراء المراسم أو الطقوس الدينية في أوقات معينة جعل التقويم أمراً ضرورياً وحتمياً، فشجعت هذه الحالة على مراقبة الأجرام السماوية [١٧].

إن التفاعل والتأثر المتبادل بين الدين والثقافة عند التلاقي مع التعاليم الدينية الجديدة أمر لا مفر منه بغض النظر عن الفرد أو المجتمع الذي يحدث فيه هذا التلاقي. فعندما يلتقي الدين مع الثقافة، وبعبارة أخرى عندما يدخل الدين إلى ثقافة ما فإنه يسعى لتحويلها على ضوء قيمها الأساسية، وإعادة تنظيمها وتكييفها وفقاً لتعاليمه. ولكن لأن كل إنسان ومجتمع يمتلك بنية ثقافية خاصة به، تتولد فروقات وتباينات عند التقاء الدين مع الثقافة تختلف من إنسان لآخر، ومن مجتمع لآخر. وإن تباين الحياة الدينية من فرد لآخر، ومن مجتمع إلى آخر حالة مرتبطة بفهم الدين وتصوره، والوعي به، والتماهي والاندماج معه. وذلك لأن كل إنسان أو مجتمع يسعى لفهم الدين وتطبيقه في سياق بنيته الثقافية. وفي هذه المرحلة فإن تقبل فهم الدين وإقرار أهميته يؤثر على الارتباط به، ويحدث تفاعلا وتأثرا متبادلا عند التقاء الدين بالمجتمع. وهذا التفاعل/ التأثر هو تفاعل متغير داخل تعاليم الدين وخصائص البنية الثقافية أكثر من كونه علاقة ذات بعد واحد وعلى صعيد واحد. لذا فإن الحياة الدينية لكل مجتمع تظهر تباينات داخلية خاصة بها من جهة، ومن جهة أخرى تقدم تباينات واختلافات حسب المجتمعات الأخرى أيضاً [١٨].

ويمكن رؤية العلاقات المتبادلة بين الدين والثقافة في الحياة اليومية بشكل جلي. فبينما يؤثر الدين على الثقافة ويدخل عليها تحولات معينة، فإننا نجد من جهة أخرى أن الثقافة تؤثر بأشكال مختلفة على الدين الذي خرج منها، أو قدم إليها من الخارج ووجد له موطأ قدم فيها. ولكن لا ينبغي الجنوح هنا إلى التفكير بمفهوم خاطئ والمتمثل في القول بأن: الدين بكليته نتيجة لثقافة ما، أو العكس، أي أن الدين هو الذي يشكل الثقافة بمجملها. إذ يلعب الدين في حماية الثقافة، وضمان انتقالها من جيل إلى آخر، واكتسابها شكلاً جديداً، يلعب دور المحافظ، والمشرع (إضفاء المشروعية)، والمغير، والمجدد. وبالمقابل فإن الثقافة أيضاً تلعب دوراً مؤثراً على الدين، سواء في فهم وتفسير واستيعاب الدين، أو تجربته وتطبيقه وتحويله إلى ممارسات وتصرفات، أو في وصوله إلى حالة من العقيدة والمفهوم، وانتشاره في المجتمع [١٩].

(١٧) Mustafa Aydın, Sistematik Din Sosyolojisi, Açılımkitap Pınar Yayınları, İstanbul 2014, s. 122.

(١٨) Ali Akdoğan, "Kültür ve Din", içinde: Din Sosyolojisi El Kitabı, editörler: Niyazi Akyüz, İhsan Çapcıoğlu, Grafiker Yayınları, Ankara 2012, s. 448.

(١٩) Ejder Okumuş, "Toplum Bağlamında Din-Kültür Etkileşimi", Turkish Studies, Volume 11/7 Spring, Ankara 2016, s. 275.

بسبب تأثر الدين بالنسيج الثقافي الذي يمتلكه المجتمع فيمكن أن نصادف أو نرى الدين الواحد ذاته بأشكال مختلفة خاصة داخل المجتمعات المختلفة التي يسودها. وينطبق هذا الأمر على سبيل المثال بشأن الدين الإسلامي؛ إذ نجد التباينات والاختلافات داخل الأقليات، والعصور والدول التي بدا فيها هذا الدين بأجلى وأصفى أشكاله، أو بين الشعوب التي ظهرت بحالة مختلطة، ومن أمثلة ذلك ما ظهر بين الأمويين وبين العباسيين، وكذلك بين الدول البربرية الإسلامية في شمال أفريقيا، وبين المملكة السعودية والامبراطورية العثمانية؛ أو ما يظهر في وقتنا المعاصر من اختلافات بين سورية ومصر من جهة، وبين أفغانستان والمملكة العربية السعودية من جهة أخرى [٢٠].

لا يستطيع أي دين أن يستمر بمظاهره ومفهومه بالكيفية التي ظهر فيها بادئ الأمر. فنتيجة لتغير الظروف الاجتماعية والثقافية تظهر اختلافات وتباينات في انعكاسات الأديان أيضاً. ويمكن الحديث عن حالة مشابهة بشأن الدين الإسلامي أيضاً. فيمكن اعتبار الفروقات والتباينات الثقافية الدينية التي تشكلت في إيران، وافريقيا، والعالم التركي، والهند، والشرق الأقصى نتيجة حمل الإسلام خارج حدود المجتمع الذي ظهر فيه كمظاهر لهذه الحالة التي نتحدث عنها في العالم الإسلامي. ومثال ذلك؛ إعادة تفسير الإسلام على ضوء الثقافات والتقاليد المحلية في أفريقيا والقيام بنوع من الأفرقة للتفسيرات [٢١]. وفي هذا الإطار يمكن القول بأن للثقافة تأثير مهم في فهم وتفسير الدين بأشكال متعددة. حيث تلعب الثقافة دوراً كبيراً وبارزاً في ظهور تفسيرات، ومذاهب، وجماعات، وطوائف، وفرق دينية مختلفة داخل الدين الواحد. ولهذا فإن فهم الدين الإسلامي على شكل مذاهب، وفرق، وجماعات، وطوائف، وطرق مختلفة، وتطبيقه كظاهرة تاريخية وثقافية واجتماعية يبرز جانب الدين الإسلامي المنفتح على التأثير في ثقافات المجتمعات والتأثر بها [٢٢]. ويمكن تقديم مراسم وطقوس كربلاء كمثال ونموذج على الفهم والتفسير المختلف داخل دين الإسلام. فالعالم السني لا يحتفل بمراسم كربلاء، بينما نجد أن هذه المراسم تشهد احتفالات على نطاق واسع في العالم الشيعي. وإن تباين المظاهر الاجتماعية لدين ما لا يقتصر على مجتمعات وثقافات مختلفة فحسب، وإنما يمكن حدوث هذه التباين في المظاهر الاجتماعية ضمن المجتمع الواحد، وذلك حسب الحالات الاقتصادية، وميادين العمل والمهن، والمناطق والأقاليم الجغرافية المحلية المختلفة [٢٣].

لا يمكن القول باستقلالية الدين عن البنية الثقافية الاجتماعية التي ولد فيها، أو دخل إليها فيما بعد.

(٢٠) Aydın, Sistematik Din Sosyolojisi, s. 129.

(٢١) Arif Korkmaz, "Göç ve Din", içinde: Din Sosyolojisi, editör: Mehmet Bayyiğit, Palet Yayınları, Konya 2013, s. 355.

(٢٢) Okumuş, "Toplum Bağlamında Din-Kültür Etkileşimi", s. 277.

(٢٣) Max Weber, Din Sosyolojisi, çev. Latif Boyacı, Yarın Yayınları, İstanbul 2012.

فالدين سواء في ظهوره أو في تطوره يتأثر بالظروف المحيطة بشكل ما. ولا يمكن الادعاء أن أي دين قائم اليوم هو ذاته الذي كان قائماً في عهد النبي المؤسس له؛ لأنه قبل كل شيءٍ هناك تفسيرات مختلفة لنصوص الدين المقدسة وتطبيقاتها في كل مرحلة من مراحل الزمن. ومن جانب آخر حتى تستطيع الأديان إيجاد حلول للمشاكل أو الظروف المحيطة المختلفة لا بد لها أن تبدي قدراً من التكيف مع هذه الشروط والظروف [٢٤].

• الهجرة والدين:

الهجرة هي ترك الأفراد أو الجماعات كرهاً أو طوعاً للموطن الذي يقطنونه، والانتقال إلى مكان آخر، وتغيير البيئة المحيطة. ويمكن أن تتحقق الهجرة داخل حدود البلاد، أو خارج حدود الدولة. وكذلك يمكن أن تكون الهجرة دائمة على سبيل البقاء والاستقرار، أو لمدة طويلة، أو قصيرة [٢٥]. وإن الأمر الذي يسترعي الانتباه هو أن الهجرة ليست بالفعل البسيط المتمثل في تغيير المكان والموطن، وإنما تحتوي الهجرة على معنى ثقافي اجتماعي، وتفتح الطريق واسعاً أمام حدوث تأثيرات في حياة الفرد والمجتمع. فالهجرة سبب لحصول تغييرات في الواقع الاجتماعي سواء للفرد أو للمجتمع.

إن ظاهرة الهجرة كعملية تغير اجتماعي قبل كل شيء تفتح الباب أمام ظهور جملة من المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. فحتى وإن كان الأفراد المهاجرون يتطلعون إلى غد أفضل، ويرغبون في الوصول إلى نمط حياة أفضل، فلا بد من أن تظهر معضلات مترافقة لعملية الهجرة تستوجب الحل. وإن الهجرة في الأصل هي الحل الذي أبدعه المهاجرون للمشكلات المرتبطة بالمكان والتي تعرضوا لها من قبل. إلا أن هذا الحل يتسبب في مشكلات جديدة في الأماكن التي تمت الهجرة إليها. حيث تظهر مشكلات اللغة، والسكن والمأوى، والعمل نتيجة للهجرة الخارجية وخاصة تلك الناتجة عن الظروف القهرية والضرورية وتحدث بشكل جماعي. وبالإضافة إلى ذلك فإن المهاجرين في مراحل متقدمة يحتاجون إلى تلبية حاجات التعليم، والتغلب على مشكلة التكيف والاندماج الثقافي المتولدة عن التقاء مجتمعين مختلفين. فالهجرة من هذه الناحية تُعد ظاهرة تحمل في داخلها الكثير من المعضلات، وتستوجب التوقف عليها بدقة واهتمام.

إن الهجرة ليست مجرد تحرك سكاني فحسب. وإنما هي في الوقت ذاته انتقال لأنماط حياة ومعتقدات وممارسات وسلوكيات إلى مواطن جديدة. وفي هذا الإطار فإن كل ثقافة من لحظة تحركها وانتقالها خارج الحدود الجغرافية للمكان الذي ولدت، وتشكلت فيه تواجه ظروفاً وشروطاً جديدة. وبينما تُبذل من جهة جهود للحفاظ على استمرار شكل ونمط الحياة السابقة داخل الظروف الجديدة، يتوجب من جهة أخرى تأمين نوع من التكيف مع هذه الظروف الجديدة. وفي هذه الحالة تبدو الهجرة كعامل مهم من عوامل التغيير الاجتماعي. فتغير الفرد أو المجتمع خلال عملية الهجرة أمر لا مفر منه.

(٢٤) Bilgin, "Din ve Kültür", s. 125.

(٢٥) Cemal Yalçın, Göç Sosyolojisi, Anı Yayıncılık, Ankara 2004.

وإذا كان التغير الاجتماعي الحاصل في تجربة الهجرة أمر حتمي خارج الذات ولا مفر منه، فإنه يمكن أن يحدث هذا التغير أيضا نتيجة لنقد الفرد المهاجر ثقافته الأولى وذلك بوضعها تحت المجهر دائما عند كل مقارنة ثقافية أو اجتماعية في مجتمع المهجر؛ إذ إن التلاقي الثقافي كأحد نتائج عملية الهجرة يتضمن في أغلب الأحيان عملية نقد ثقافي أيضاً. فليس من المستبعد قيام الأفراد أو الجماعات التي تلتقي وتتواجه مع ثقافات، وتقاليد، ومعتقدات مختلفة جداً أن تقوم بعمليات نقدية ومحاكمية تخضع فيها التصرفات والممارسات القديمة لدائرة الصواب والخطأ. إذ إن هناك الكثير من التفاصيل التي لا تتعرض للنقد عندما تكون في مجتمع متجانس نسبياً بينما تلفت هذه التفاصيل الانتباه عندما تنتقل إلى وسط اجتماعي متنوع وأقل تجانساً، حتى إنها تبدو للوهلة الأولى حديثة الاكتشاف! بيد أن عملية الملاحظة والانتباه هذه قد تتحول أحياناً إلى عملية محاكمة، وبموازاة ذلك قد يحدث صراع وتضاد مع الأشكال والاتجاهات التقليدية. وفي النتيجة قد يصبح حصول التقييم «الإيجابي» من منظور الثقافات والمعتقدات القديمة أمراً بالغ الصعوبة أو غير ممكن [٢٦].

في عملية الهجرة تظهر تباينات وتغيرات في عموم الحياة الثقافية والاجتماعية من خلال تصرفات الناس وعقلياتهم وأنماط تفكيرهم. وتنشأ عمليات تفاعل وتأثير متبادل، وتكيف وتواؤم، وصراع بين نمط حياة المهاجر السابقة وبين الثقافة القائمة في الموطن الجديد.

إن الهجرة ليست تحركاً سكانياً بالمعنى المكاني فحسب، وإنما هي في الوقت ذاته تحرك اجتماعي يشتمل على التفاعلات الثقافية للجماعات المهاجرة التي غيرت موطنها. فالفرد أو الجماعة المهاجرة لا تشهد تحركاً أو انتقالاً مادياً فقط، وإنما تشهد تفاعلاً وتحركاً وانتقالاً بين عوالم نفسية واجتماعية، وثقافية أيضاً. وعندما يتألف المهاجرون من أعداد كبيرة يحدث تأثير متبادل بين المهاجرين والمحيط الاجتماعي الذي تمت الهجرة إليه على حد سواء. وما يلفت الانتباه في هذا السياق هو التفاعل والتأثر المتبادل الذي شقت الهجرة طريقه من خلال حياة الفرد والمجتمع [٢٧].

والظاهرة الأخرى الملفتة للأنظار في هذه العملية هي الدين. فالمهاجرون قد يمرون خلال عملية الهجرة بتغيرات في التدين. ومع أن جانب التغير الحاصل قد يتباين بين السلبي أو الإيجابي، إلا أن الدين يمكن أن يلعب دوراً مهماً في حماية البنية الأساسية للفرد أو المجتمع، وفي تخفيف التوتر والاضطراب الذي يحدث لديهما.

عندما يتم الدخول إلى مجتمع جديد عن طريق الهجرة يظهر الدين في هذه العملية كَرَدٍّ قوي على فقدان المرجع، يحمي الروابط الاجتماعية. فيلفت الدين الانتباه إلى حماية الثقافة الإثنية التي وضعت في موضع حرج

(٢٦) Korkmaz, "Göç ve Din", s. 367, 368.

(٢٧) Celaleddin Çelik, "Göç, Kentleşme ve Din", içinde: Din Sosyolojisi El Kitabı, editörler: Niyazi Akyüz, İhsan.

وصعب داخل مجتمع غريب ويتحول من خلال بنية الجماعة التي كونها إلى مركز تعاضد وتضامن. وبذلك فإن الدين يشكل أثناء سعي المهاجرين للتماسك وإيجاد موطن لهم في عالم غريب، يشكل جزيرة ثقافية مرتبطة بنظام القيم، والانتماء، والتقاليد والأعراف العائدة للمهاجرين. فالمجتمعات المهاجرة التي تتعرض لتأثيرات الهجرة المجزئة والمشتتة تسعى للتغلب على هذا التشتت من خلال التمسك بالقوة الجامعة والموحدة للدين [٢٨]. وإن درء المخاطر، وتبديد مشاعر القلق وانعدام الأمان، وحالات الغموض والريبة التي لم يعهدها ولم يواجهها المهاجر من قبل يتم من خلال إمكانية تشكيل الجماعات والتفسيرات البديلة التي قدمها الدين. فالدين كمصدر لنظام المعنى والأمان يشكل بالنسبة للفرد منطقة حماية وقدسية في مواجهة المشكلات اليومية التي يتعرض لها المهاجرون في حياتهم الجديدة [٢٩]. وبذلك فإن الدين يقوم بدور مهم خلال عملية الهجرة، وذلك كمرجع هام للمهاجرين في مساعيهم للتماسك في ميادين الحياة الجديدة. ويقدم نفسه كعامل مؤثر يجمع حوله الفرد أو المجتمع المشتت ويوحدهم من جديد.

يحتل الدِّين مكاناً له بين أهم المصادر والمراجع التي تلجأ إليها المجموعات المهاجرة من أجل إعادة صياغة وإنتاج هوياتهم الاثنية –الدينية في الأوساط الجديدة، وتحقيق التآلف والانسجام لجهودهم ومساعيهم في إثبات أنفسهم داخل بيئة محفوفة بالمخاطر والتهديدات والصعاب [٣٠]. وإلى جانب ذلك فإن المجموعة المهاجرة تشهد أيضاً جملة من التغييرات في مفاهيم وممارسات وتطبيقات الدين. فالمهاجرون المتدينون لا ينقلون المعتقدات والشعائر والممارسات الدينية من مواطنهم السابقة إلى الموطن الجديد فحسب، وإنما في الوقت ذاته تتأثر هذه المعتقدات والممارسات بالحالة القائمة في المكان الجديد كنتيجة للحياة والعيش وتتعرض بشكل ما للتغيير؛ وبذلك فإن البنى الدينية للمهاجرين تكتسب صفة محلية [٣١].

إن ظاهرة الهجرة تضع الفرد في مواجهة تأثيرات وتفاعلات واسعة وكثيرة ابتداءً من التفكير والسلوك والتصرفات الشخصية، وحتى الحياة الثقافية عامة. والظاهرة الأخرى التي تتعرض لتأثيرات التغيير في هذه العملية هي مفهوم الدين والتدين. فالتدين يتعرض للتغيير مع تغير البيئة الثقافية؛ لأن التدين والحياة الدينية منفتحة على التفاعل والمؤثرات الاجتماعية. وبعبارة أخرى فإن تفسير الدين والتدين يمتلك خاصية تغيُّرية متقلبة مرتبطة بالعمليات والعلاقات الاجتماعية والثقافية [٣٢].

(٢٨) Korkmaz, "Göç ve Din", s. 355, 360.

(٢٩) Çelik, "Göç, Kentleşme ve Din", s. 305, 306.

(٣٠) Fenggang Yang, Helen Rose Ebaugh (2009), "Yeni Göçmen Dinlerindeki Değişimler ve Küresel Etkileri", çev. İhsan Çapcıoğlu içinde: Din Sosyolojisi (Klasik Ve Çağdaş Yaklaşımlar), editör: Bünyamin Solmaz, İhsan Çapcıoğlu, Çizgi Kitabevi, Konya 2009, s. 125.

(٣١) Caroline Plüss (2012), "Göç ve Küreselleşen Din", çev. İlkay Şahin, içinde: Din Sosyolojisi (Yaşadığımız Dünya), der. Peter B Clarke, İmge Kitabevi, Ankara 2012, s. 305.

(٣٢) Çelik, "Göç, Kentleşme ve Din", s. 298, 300.

إن الحقيقة الأساسية للتفاعل بين الهجرة والدين/ التدين التي تشمل جميع الخيارات المحتملة المتعلقة بالجانب الإيجابي أو السلبي ومن جهة أخرى بالجانب النوعي والكمي هي ظاهرة «التغيير». فالطبيعة الحركية لحادثة الهجرة تجلب معها تغييراً ذو أبعاد كثيرة. وإن الهجرة في هذا السياق تؤثر على شكل ومحتوى التدين والدين المؤسسي، ويمكن أن يحدث فيه تغييراً «بشكل ما». فالدين، والمتدين، والتدين في مرحلة ما بعد الهجرة يختلف عما كان عليه قبلها وليس ذاته؛ إذ يتعرض للتغيير. وإن هذا التغير الذي يظهر مع عملية الهجرة يمكن أن يتسبب أحياناً في زيادة التدين، وأحياناً في تناقصه. وهناك احتمال قوي أن ينتهي الانتقال من واقع حياة أكثر تقليدية إلى سياق اجتماعي أكثر علمانية، أن ينتهي بزيادة العلمانية، وتناقص التدين [٣٣].

• التكيف والصراع الثقافي:

يكمن في أساس الحياة الاجتماعية وعي بالعيش المشترك. فالناس بسبب حاجاتهم المتعددة يلتقون معاً في بوتقة واحدة، ويشكلون مجتمعاً، ويعيشون معاً بصورة جماعية. والمجتمع هو وحدة إنسانية أقام فيما بينه تفاعلاً واتصالاً. ومن هذه الناحية فإن الناس في المجتمع مرتبطون ببعضهم وتسود بينهم علاقات وصلات معينة. فالتواصل، والتفاعل المتبادل في غاية الأهمية سواء بالنسبة للفرد، أو للجماعة. وبإمكان الأشخاص والجماعات إقامة الكثير من العلاقات فيما بينهم ومن ثم تنمية هذه العلاقات وتطويرها. فالمجتمع شبكة واسعة ومعقدة من العلاقات الاجتماعية. والتفاعل يظهر داخل هذه الشبكة. ومن الممكن أن ينظر إلى العلاقات الاجتماعية بوصفها علاقات فردية، ومع ذلك يمكن أن ينظر إليها بوصفها علاقات وتفاعلات جماعية في الوقت نفسه. ولحل هذه الشبكة من العلاقات القائمة في المجتمع لابد من إجراء تجريدات معينة من علاقات الإنسان الملموسة. وفي نهاية التجريد ندرك أن وضع الأشخاص والجماعات قد تداخل وامتزج مع الدور والعملية [٣٤].

إن أحد أشكال التفاعل في المجتمع الذي نحدده كمجموعة علاقات هو العمليات الاجتماعية. ويعرف جوزيف فيتشر (Joseph Fichter) العمليات الاجتماعية أنها أشكال التفاعل الاجتماعي التي يمكن تجسيدها وقولبتها والتي تشمل كافة الأدوار الاجتماعية للأشخاص. فالعملية الاجتماعية وفقاً لرأيه تشمل التصرفات والتعاملات القائمة بين شخصين أو أكثر والمشتركة في آن واحد، وإن العمليات الاجتماعية الأساسية هي التعاون، والعمل المشترك، والتكيف، والتوافق، والصراع، والتنافس، والخلاف. فهذه الأنماط من السلوك علاقات متقولبة داخل المجتمع [٣٥].

(٣٣) Korkmaz, "Göç ve Din", 2013.

(٣٤) Joseph Fichter, Sosyoloji Nedir?, çev. Nilgün Çelebi, Anı Yayıncılık, Ankara 2004, s. 123.

(٣٥) Fichter, Sosyoloji Nedir?, s. 124, 126.

ويرى فيتشر أن أكثر أصناف العلميات الاجتماعية شيوعاً تتشكل من تلك التي تعمل في اتجاهين متعاكسين. فهذه العمليات هي عمليات جامعة، وعمليات مفرِّقة في آن معًا. فالعمليات الجامعة والرابطة هي التعاون، والتآلف/ التكيف، والتقبل. وأما العمليات المفرقة فهي الصراع، والخلاف، والتنافس. وإن العمليات الجامعة أو الموحدة حواضن تفاعلية جُمع فيها الأشخاص، وجُعلوا أكثر توحداً وتلاحماً واندماجاً. وأما العمليات المفرقة أو المفسدة للوحدة فهي العمليات التي يبتعد فيها الناس عن بعضهم، ويصبحوا أقل اندفاعاً للاتحاد والتعاون والتعاضد. ووفقاً لرأي فيتشر فإن العمليات الجامعة تعبر في كل وقت عن الفضائل الاجتماعية المتعلقة بالحق والمحبة، وأما العمليات المفرقة فإنها تعبير عن مواطن القصور والخلل الاجتماعي المتعلق بالظلم، والكراهية [٣٦].

إن التشابه هو عملية تأسيس علاقات يقوم بها أشخاص يمتلكون ماضياً إثنياً مختلفاً ومتعدداً داخل مجتمع ما دون أي ضغط أو إكراه فيبدون وكأنهم أعضاء جماعة واحدة منذ زمن قديم، والحفاظ على استمراريتها. ومع كون التماثل من حيث النتيجة عملية تكوين ثقافة ما إلا أن هذا الأمر ليس مطلقاً؛ إذ أن بعض المجموعات الاثنية/ العرقية تبقى محافظة على خصائصها الثقافية داخل المجموعة الجديدة التي انضمت إليها [٣٧].

لكي تصبح الاختلافات والتباينات داخل المجتمع غِنًى، وتبقى كذلك غنًى للمجتمع لا بد أولاً من أن تبدي العناصر الثقافية والأفكار المختلفة احتراماً وتقديراً تجاه القيم الجوهرية للثقافة السائدة والمهيمنة في المجتمع. وبعبارة أخرى؛ فإن الاختلافات عندما تعبر عن ذاتها وتثبت وجودها في المجتمع تكون في الوقت نفسه مجبرة على التكيف والانسجام مع القيم الخاصة والجوهرية للثقافة الرئيسية السائدة. وذلك لأن أعضاء أي مجتمع من المجتمعات بحاجة دائمة إلى قيم مشتركة كي يستطيعوا العيش بأمان وسلام. وإن الثقافة الرئيسة أو الثقافة السائدة والمهيمنة هي المرجع الأساس الذي من شأنه تأمين هذه القيم المشتركة [٣٨]. وفي هذا السياق فإن القواعد والمبادئ السائدة داخل مجتمع ما تعكس القيم الأساسية لذلك المجتمع. وإن إثبات الوجود داخل مجتمع ما والحفاظ عليه دون صراع وصدام يجعل التوافق والتكيف مع هذه القيم الأساسية، واتباع القواعد السائدة في ذلك المجتمع، وبعبارة أخرى الاندماج والتلاحم المعياري أمراً إجبارياً.

إن الاندماج المعياري يعني ضبط الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع لأعمالهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم

(٣٦) Fichter, Sosyoloji Nedir?, s. 127-128.

(٣٧) İbrahim Arslanlıoğlu, Genel Sosyoloji, Gazi Kitabevi, Ankara 2012, s. 101.

(٣٨) Mimar Türkkahraman, Hüseyin Tutar, "Sosyal Değişme, Bütünleşme ve Çözülme Bağlamında Toplumda Farklı Kültür ve Anlayışların Yeri ve Önemi", Uluslararası Alanya İşletme Fakültesi Dergisi, cilt: 1, sayı: 1, 2009, s. 11.

وتنظيمها بما يتفق مع معايير ذلك المجتمع. فالمعايير تضمن التفاهم على الأفكار والقيم؛ لأن القواعد تشكل جزءاً مهماً من الثقافة في المجتمع [٣٩]. لذا فإن ضمان الاندماج والتماسك المجتمعي يجعل اتباع القواعد السائدة في مكان ما والالتزام بها أمراً واجباً على كل الأشخاص المتواجدين في ذلك المكان. وهذه الحالة تحول دون حدوث المشكلات الاجتماعية. ولكن مع ذلك ما ينبغي أن يتحقق الاندماج في إطار القواعد فقط. وكذلك ينبغي أن لا يغيب عنا عدم إمكانية الحديث عن الاندماج بالمعنى المطلق في أي مجتمع من المجتمعات.

إلى جانب دور القواعد في عملية الاندماج سواء داخل المجتمع الواحد أو بين مجتمعين مختلفين هناك تأثير واضح للعناصر المعنوية أيضاً، مثل الدين. ومن هذه الناحية فإن أحد العناصر المهمة في الاندماج الاجتماعي هو الاندماج المعنوي. إن الشرط المهم في الاندماج المعنوي للشعوب التي تعيش في مناطق جغرافية مختلفة وتلتقي مع بعضها هو أن يكون لديها وعي بتشكيلها لأمة من ناحية التاريخ، والثقافة، والقيم المعنوية. فيمكن أن يبدي الناس الذين يعيشون معاً تبايناً واختلافاً في الأعراف، والعادات، والتقاليد، والموسيقى والأغاني، والألعاب، والفنون اليدوية، وحتى في اللغة [٤٠]. ولكن عندما يكون هناك وعي أو تصور حول تشكيلهم أمة فيما بينهم يتحقق وقتها الاندماج المعنوي. كما أن الاندماج المعنوي يُعد أهم وأفضل ثمار الاندماج الاجتماعي فإنه كذلك ضرورة مهمة للانسجام والتآلف الاجتماعي. ويلعب الدين هنا دوراً مركزياً. لأن تأثير الأديان على المجتمعات، والثقافات، والحضارات ومكانتها في غاية الأهمية.

إن الروابط المجتمعية روابط مؤسسة على القيم المشتركة. ولذلك فإن أوجه التقارب، والقيم المشتركة، والوحدة والتضامن داخل المجتمع أهم بكثير من أوجه الخلاف، وذلك من ناحية وجود المجتمع والحفاظ على استمراريته. فالأجزاء أو الشرائح المختلفة لمجتمع من المجتمعات مضطرة إلى امتلاك وعي أو مفهوم السعي للتوحد والاندماج في كيان واحد. فيجب على المجموعات الصغيرة داخل المجتمع ضبط وتنظيم قيمها، وأهدافها بشكل يتوافق وينسجم مع القيم والغايات النهائية للمجموعة (المجتمع) الأكبر منها، والمحيطة بها والحاضنة لها. وإذا لم يتحقق هذا التنظيم والانسجام فلن يستطيع المجتمع الاستمرار في ظل وجودها بسلام، كما أنها ستعجز عن الوصول إلى الهدف المنشود الذي يتطلع المجتمع لبلوغه [٤١]. وفي هذا الإطار ينبغي على المجموعات الأصغر تعلم ثقافات المجتمع الأوسع الذي تتواجد فيه، وكذلك تعلم لغته. وإلا فإن الأمر سيؤدي إلى فتح الباب أمام مشكلات خاصة لهم، وللمجتمع على وجه العموم. إن معرفة الفرد الذي يُعد شخصية اجتماعية لثقافة ذلك المجتمع وللمسؤوليات الملقاة على عاتق أفراده والتصرف بما يناسبه، وبناء علاقات سليمة أمر ضروري من جهة منع حدوث الفوضى الاجتماعية.

(٣٩) Arslanlıoğlu, Genel Sosyoloji, s. 101.

(٤٠) Arslanlıoğlu, Genel Sosyoloji, s. 101-103.

(٤١) Türkkahraman, Tutar, "Sosyal Değişme, Bütünleşme ve Çözülme Bağlamında Toplumda Farklı Kültür ve Anlayışların Yeri ve Önemi", s. 2.

نتائج البحث:

• أسباب اختيار المهاجرين السوريين لتركيا:

أكد اللاجئون السوريون الذي يقطنون في المخيمات خلال دراسة أجريت بشأن المهاجرين السوريين أن ظروف المخيمات القائمة في تركيا أفضل بالمقارنة بما هو قائم في لبنان والأردن. وأما نتائج الاستطلاع الذي أجري مع تسعمائة وخمسة وثلاثين لاجئاً (٩٣٥) المقيمين في «المخيم» وفي «المنازل المسبقة الصنع» المقامة في مدن حران، وآجكا كاله التابعتين لمحافظة أورفا فقد سلطت الضوء على أسباب الرغبة في السكن بتركيا.

إن أول أسباب اختيار اللاجئين السوريين لتركيا هو الثقة والتعاطف الذي يشعرون به تجاه رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان، وذلك بنسبة (٤٪ , ٣٣). ويأتي في المرتبة الثانية القرب من الحدود التركية (٠ , ٣١٪). ومن بين العوامل الدافعة للجوئهم إلى تركيا هو إحساسهم بالقرب من الشعب التركي وروابط القربى. ويعبر السوريون عن سرورهم ورضاهم عن الإقامة في تركيا ويوجهون الشكر للشعب التركي، وذلك خلال اللقاءات التي تمت مع اثنين وسبعين (٧٢) سورياً ممن يعيشون خارج المخيمات في غازي عنتاب، وكلس، وهاتاي، واسطنبول، وإزمير، ومرسين [٤٢] في إطار الدراسة التي قام بها مراد أردوغان باسم «السوريون في تركيا: التقبل والتكيف الاجتماعي» [٤٣].

كنت أراقب وأتعرف على الفعاليات التعليمية للسوريين في كل المخيمات. كان يوجد هنا ممثلون عن الأمم المتحدة. وقد قال: إنهم شبهوا المخيمات القائمة في تركيا بفنادق خمس نجوم مقارنة بغيرها من البلدان. وهذه الحالة جعلت تركيا أكثر جاذبية. وإن سياسة الحكومة صارت مؤثراً إضافياً (عثمان، محمد) [٤٤].

لم تكن التسهيلات التي توفرت في تركيا سواء من قبل الشعب أم الحكومة موجودة في أي دولة أخرى (عثمان، خالد أحمد، نهال، محمد، عبد العزيز).

ويضيف عثمان قائلاً: اشتركت في مؤتمرات في إلازغ (Elazığ) وفي ملاطية وإسطنبول وأضنة. وهذه

(٤٢) Mahmut Kaya, "Komşuda Misafirlik: Suriyeli Sığınmacılarca Kurulmuş Mülteci Derneklerinin Perspektifinden Türkiye'de Yaşamak", The Journal of Academic Social Science Studies, Autumn III, 2015, s. 263-279, Ayrıca bakınız: Mehmet Güçer, Sema Karaca, O. Bahadır Dinçer, Sınırlar Arasında Yaşam Savaşı: Suriyeli Mülteciler, USAK Sosyal Araştırmalar Merkezi, Mayıs 2013.

(٤٣) Murat Erdoğan, Türkiye'deki Suriyeliler: Toplumsal Kabul ve Uyum, Hacettepe Üniversitesi Göç ve Siyaset Araştırmaları Merkezi, Ankara 2014.

(٤٤) الأسماء الواردة بين قوسين هي أسماء الأشخاص الملتقى بهم. وتم إيراد جدول في نهاية المقالة يبين أحوال الأشخاص. يعود الاسم الأول المقدم داخل قوسين مع البيانات لصاحب الكلام، وأما الأسماء الأخرى فهي للإشارة إلى أنهم تحدثوا بكلام مشابه.

هي المؤتمرات التي نظمت للسوريين تحت اسم «ليل السوريين». وكانت القاعات في كل منها تعج بالحضور. وكان هناك المئات ينتظرون حتى خارج قاعة المؤتمر الذي اشتركت فيه، وذلك في «ليل السوريين» المنظم في إسطنبول. وهذا يدل على المحبة التي يكنها الأتراك للسوريين الذين يصفونهم بـ «إخوتنا» (عثمان).

إن بين سوريا وتركيا روابط وثيقة وعميقة أبعد من كونهما دولتين متجاورتين. فبين الدولتين علاقات اقتصادية، وروابط تاريخية وثقافية. وكذلك هناك روابط القربى بين مواطني الدولتين. وإن هذه العلاقات والروابط بين تركيا وسوريا جعلت تركيا خياراً مهماً ويحظى بالأولوية على غيرها. ومن بين الأمور التي جعلت تركيا أولوية لدى اللاجئين هي توليها مهمة تقديم حلول لمشكلاتهم الأساسية مثل: المأوى، والأمان. ومن هذه الناحية شكلت تركيا كميناء آمن خياراً جيداً بالنسبة للمهاجرين السوريين. فهناك عوامل متعددة أثرت على اختيارهم تركيا للتوجه إليها منها السياسة الإيجابية التي اتبعتها الحكومة القائمة في تركيا تجاه النازحين السوريين، والترحاب الحار الذي أبداه الشعب في تركيا من استقبال اللاجئين والاهتمام بهم، ومد يد العون لهم، وبالإضافة إلى ذلك نظر المهاجرون السوريون لتركيا كبوابة للهجرة إلى أوروبا.

• دور الدين في عملية التكيف:

استيطان المهاجرين في المكان الجديد لا يعني بالنسبة لهم انتهاء المشكلات. فهناك الكثير من المعضلات تظهر في ميادين الحياة الجديدة، والتي يجب عليهم مواجهتها. وإحدى هذه المشكلات هي التكيف مع المجتمع الجديد، ومع ثقافة هذا المجتمع ونمط حياته. فمن المهم للغاية استمرار المجتمعين المختلفين في حياتهما بشكل منسجم ومتآلف. وسوف تساعد القيم المشتركة بين المجتمعين ووجود التشابه في الماضي التاريخي والثقافة على تجاوز عملية التوافق والتآلف بشكل أيسر. وفي هذا الإطار فإن كون غالبية الشعبين – سواء التركي أم السوري – من المسلمين فتح الباب أمام الدين الإسلامي للعب دور مؤثر في عملية تآلف المجتمعين والتكيف معًا:

لقد سهل تدين السوريين وبشكل خاص حرصهم في مسألة الصلاة، وارتداء لباس متوافق مع الدين، مثل ارتداء النساء السوريات للحجاب، كل ذلك سهل تقبل الأتراك لنا (عثمان، خالد أحمد).

يوجد الآن في تركيا مليونان وسبعمائة وخمسون ألف سوري (٢٧٥٠٠٠٠). وهناك أسباب كثيرة تقف وراء اختيار السوريين لتركيا على غيرها من الدول كوجهة لهم. فقد كان ينظر الأتراك إلينا باعتبارنا مهاجرين. فكان الأمر كذلك وخاصة في السنوات الأولى للهجرة والنزوح (أحمد، محمد).

لا نشعر بأننا منبوذون في تركيا. وبالأخص لدى المتدينين فلا نشعر بالنبذ والتهميش أبداً. وأما لدى غير المتدينين، والذين يحملون رأياً أو يتبنون توجهاً معارضاً للتوجهات السياسية للحكومة الحالية فنشعر بالنبذ والإقصاء (أحمد، محمد، عثمان).

بعد القدوم إلى تركيا تغيرت نظرة السوريين إلى الأتراك على نحو إيجابي. فنمت وتطورت الأخوة الإسلامية. فقد كانوا يطلقون تسمية الأجنبي على غير العرب، أما الآن تغير الأمر، إذ يقولون عن الأتراك «إخوتنا المسلمون» (إبراهيم، بهزام).

إن الأمر الذي لاحظته على السوريين في تركيا هو: أن الدين يزيد من ترابطهم في الغربة، ويقربهم من بعضهم. وبناء على ذلك فإنهم يهتمون بالشؤون المشتركة، ويجتمعون فيما بينهم. ولذلك فإن ما يؤكدون عليه باستمرار هو الدين والإسلام (إبراهيم).

إن للهجرة جانب عملياتي تتم تجربته من قبل الناس. فالهجرة ليست مجرد مفارقة الإنسان لدولة ما والوصول إلى دولة أخرى، كما أن الحدود المجتازة ليست مجرد حدود لدولة ما. إذ إن ترك دولة ما ومغادرتها تعني ترك الحياة اليومية، ترك العادات والتقاليد، والاستعدادت والطباع المكتسبة والمتجذرة. والعادات كسلوك اجتماعي «مُجسد، متحول إلى جسد» يُعد بالنسبة للشخص «البيت الذي يقطنه، وتصوره ووعاه مليئاً بالمعاني والمفاهيم والمصالح والمنافع المباشرة» [٤٥]. والناس في الهجرة الاضطرارية يخوضون تجربة ترك بيوتهم والمنافع والمصالح والمفاهيم والمعاني التي تحملوا في سبيل إيجادها الكثير من المشاق والصعاب، وتأسيس بيت جديد في وسط ثقافي جديد. وهذه العملية تمثل حالة اجتياز للحدود الثقافية، وإخلال بها، وتوسعتها، وإعادة تشكيل الحياة اليومية المعتادة، ومتعلقة أيضاً بالاضطرار لإعادة بناء البيئة الاجتماعية [٤٦]. ويلعب الدين دوراً مهماً ومؤثراً في عملية إعادة تشكيل الحياة اليومية، وإعادة بناء البيت هذه. لأن الدين بالنسبة للمؤمنين آلية مهمة للواقع الاجتماعي المراد تأسيسه، وتجربة مشتركة تقرب الذين يتشاركون البيئة ذاتها من بعضهم البعض.

يتبين مما تقدم أن الدين يلعب دوراً مهماً في عملية الاندماج بين مجتمعين مختلفين. فإحدى أهم الوظائف التي يقوم بها الدين في المجتمع هي تحقيق الاندماج والتآلف في المجتمع. إذ الدين يلعب دوراً مركزياً في تماسك ووحدة المجتمع وتعاونه وتعاضده. فللدين تأثيرات مهمة على المجتمعات، والثقافات، والحضارات الإنسانية. ويمكن القول في هذا السياق إن للدين مكانة وتأثيراً مهماً كما رأينا فيما سبق في عملية التكيف بين المهاجرين السوريين والشعب التركي. فكما أن الدين يقوم بدور الوسيط بين الشعبين ويخفف من الصدام بينهما، فإنه يلعب دوراً مؤثراً في قبول وضع السكان المحليين وحالاتهم، وفي تأمين تقديم السكان المحليين المساعدات والإغاثة والتسهيلات اللازمة للمهاجرين. وإن كافة الدراسات والأبحاث الميدانية التي أجريت وتجري في مختلف المحافظات التركية تؤكد هذه النتيجة وتؤيدها [٤٧].

(٤٥) Pierre Bourdieu, L. Wacquant, Düşünümsel Bir Antropoloji İçin Cevaplar, çev. Nazlı Ökten, İletişim Yayınları, İstanbul 2003, s. 119.

(٤٦) Hatice Şule Oğuz, "Kültürlerarası Karşılaşmaların Uzak İhtimali: Sığınmacılık Deneyiminde Gaziantep Örneği", Tesam Akademi Dergisi – Turkish Journal of TESAM Academy, Temmuz - July 2015, 2 (2), s. 130.

(٤٧) Hıdır Apak, Suriyeli Göçmenlerin Uyumu ve Gelecek Beklentileri: Mardin Örneği, (Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi), Mardin Artuklu Üniversitesi, SBE, Mardin 2014.

ويتبين من الوقائع أن الدين قدم خياراً مهماً من ناحية درء المخاطر وتبديد مشاعر انعدام الأمان التي واجهها المهاجرون السوريون في تركيا. فالدين كمصدر للأمان والمفاهيم قدم بيئة آمنة للمهاجرين بشأن ما واجهوه من مصاعب في الظروف الجديدة. ويمكن أن يكون الدين أهم مرجع بشأن مساعي مجموعات المهاجرين السوريين في تحقيق تماسكهم داخل البيئة الجديدة، وخاصة ما تم التنويه إليه بالنسبة لما يحتاجون إليه من الإحساس بالأمان ومساعي إثبات الوجود في الوسط الجديد. وبذلك فإن الشعبين سواء المهاجرون أو السكان المحليون يعملون على تجاوز عملية التكيف مع الظروف الاجتماعية الجديدة بالاستفادة من قدرة وخاصية الدين التوحيدية والجامعة، ويبذل السوريون جهوداً لتجاوز مشكلة إثبات الوجود في البيئة الاجتماعية الجديدة بالمرجعية التي وفرها لهم الدين.

• عوامل أخرى مؤثرة على الاندماج الاجتماعي:

إن الحاجات تدفع الناس وتجبرهم على التلاقي والتعايش بشكل جماعي. فالناس من هذه الناحية مترابطون ومتعلقون ببعضهم البعض. وعندما تجتمع مجموعة من الناس يقيمون فيما بينهم أشكالاً من التواصل، ويحدث بينهم تفاعل وتأثير متبادل. وإن التواصل والتفاعل المتبادل يجعل تكيف الناس وتآلفهم مع بعضهم أمراً ضرورياً. وتُعد أشكال الخطاب الدائرة حول الحق والفضيلة في غاية الأهمية من أجل قيام الأفراد المكونين لنسيج المجتمع بالأنماط السلوكية المحققة للتعاون والتآلف والتوافق والتقبل، والتي تسمى بالعمليات الجامعة والموحدة من أجل ظهور وشيوع هذه الأنماط داخل المجتمع. وفي العلاقة بين المهاجرين السوريين والشعب التركي يمكن رؤية ظهور قوالب من أشكال التعاون والتقبل المتبادل وتأثير التشابه الثقافي والاندماج النوعي والمعنوي في عملية الاندماج بصورتها العامة.

• الماضي المشترك:

لا يُعدُّ الدين المؤثرَ الوحيد في عملية اندماج الشعب التركي والشعب السوري، وإنما هناك مؤثرات أخرى إضافة إلى الدين مثل: امتلاكهما لماضٍ مشترك، والتشابه الثقافي بينهما:

لم يكن جدي يذهب إلى حلب من أجل التسوق، وإنما كان يأتي إلى كلس وعنتاب. فكانت ثقافتنا واحدة. وقد استشهد أحد أجدادي في معركة (تشاناق قلعه). ويرد اسمه في لائحة أسماء الشهداء باسم «إسماعيل الحلبي». واستشهد أحد أجدادي أيضاً في الموصل مع الجيش العثماني (عثمان).

هناك أوجه تشابه كثيرة بين السوريين والأتراك مثل: الثقافة، والفكر والعقيدة، والآراء، والطعام والشراب، واللباس. فهذه المناطق الحدودية واحدة وقريبة جداً من بعضها (محمد).

عندما كان الشعب السوري قبل هذه الأحداث (قبل ٢٠١١) يشاهد أحد المواطنين الأتراك في سوريا

كان ينظر إليه وكأنه أحد إخوته الذي لم يره ويلتقي به منذ وقت طويل. وكان يقول أحدهم «أتركي؟» مُظهراً محبته له وسروره برؤيته. لأن ماضينا وشعبنا كان واحداً (عثمان، أسماء).

نحن إخوة وشعب واحد، ولا فرق بيننا. وهناك الآن في سوريا، في الشام منطقة تسمى بمنطقة «الأتراك». وفي سوريا يوجد تركمان، وجبل التركمان، وحي التركمان، والحي التركي. وعندما كنت أدرس في الشام عام ١٩٩٣ كنت ألتقي بمواطنين سوريين أتراك كبار السن لا يعرفون العربية (عثمان).

عندما تلتقي شعوب مختلفة تمتلك جملة من الاختلافات والتباينات الثقافة فإن تصورهم وسعيهم لتشكيل أمة بجملة من الخصائص المشتركة مثل التاريخ والثقافة، والقيم المعنوية يبرز كمؤثر مهم في تحقيق وحدة هذه الشعوب وتعاونها. وهذا يؤكد أن امتلاك الشعب التركي والمهاجرين لقيم وماض مشترك مثل الدولة العثمانية إلى جانب العقيدة المشتركة يُعتبر من المؤثرات المسهلة لتآلفهم وتكيفهم معاً.

كانت العناصر العرقية في هذه المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى متداخلة مع بعضها البعض، وتعيش كشعب واحد. وفرقت الحدود المرسومة بعد الحرب بين هذه الشعوب. ومع ذلك فإن وعي سكان هذه المنطقة بامتلاكهم ماضياً مشتركاً وأنهم أمة واحدة بقي حياً. وقد أثرت هذه الحالة إيجاباً على تكيف وعيش المجتمعين اللذين التقيا مجدداً بسبب الهجرة واللجوء.

• الاندماج المعياري:

إن القواعد والمبادئ القائمة في مجتمع ما مرتبطة بالقيم الأساسية لذلك المجتمع. وإن العيش داخل مجتمع ما بشكل منسجم ومتكيف يفرض على الأفراد في ذلك المجتمع ضبط وتنظيم أعمالهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم بحيث لا تتعارض ولا تتنازع مع القيم الأساسية للمجتمع المذكور، واتباع القواعد والمبادئ والمعايير السائدة فيه. ويمكن ملاحظة هذه الحالة في تصرفات وسلوكيات المهاجرين السوريين:

نقول جميعاً: «نحن ضيوف في تركيا، وعلينا ألا نفسد حياة الناس ونقلق راحتهم. وعلينا أن نحافظ على النظام الاجتماعي لتركيا ونحترم قوانينهم وتقاليدهم. وأن نحرص على عدم إلحاق أي ضرر وأذى بالناس. وإننا نتحدث عن ذلك في كل تجمع، وكل نشاط اجتماعي نقوم به. ونفكر في هذا الأمر في كل تصرف أو عمل نقوم به» (أحمد، خالد أحمد، فاطمة).

يمكن للمهاجرين السوريين إقامة علاقات سليمة في تركيا، والعيش بسلام وهدوء من خلال اتباع القواعد والمبادئ التي تنطبق على الجميع. وبالأصل يتبين من الحديث المذكور آنفاً أنهم مهتمون بالتكيف والانسجام مع المجتمع. وأنهم يعتبرون «الالتزام بالقواعد والمبادئ» خياراً جيداً لحل مشكلاتهم. ويتبين من التصريحات الواردة في الأعلى أن الالتزام بالقوانين والقواعد الاجتماعية يأتي لصالح المهاجرين. وكذلك يظهر

من الحوارات أن النازحين مدركون للمسؤوليات الملقاة على عاتقهم، وأنهم يتصرفون وفقاً لما هو منتظر منهم. ومع ذلك، فإن الالتزام بالقواعد والمبادئ ليس عاملاً كافياً وحده من أجل تحقيق الانسجام والاندماج الاجتماعي. وإنما ينبغي من أجل دمج المجتمع مع بعضه، وتأسيس علاقات أكثر قرباً أن تتدخل مؤثرات أخرى ماعدا المبادئ والمعايير مثل التماثل/ التشابه الثقافي.

ج. التماثل/ التشابه الثقافي:

إن المجتمع عبارة عن وحدة بشرية تنطوي على تفاعل وتأثر مستمر. وإذ ما نظرنا من هذه الزاوية فإن ظهور تفاعل مع ظاهرة الهجرة بين المهاجرين والسكان المحليين وحدوث تماثل وتشابه بينهم يُعد عملية طبيعية. وإن المهاجرين السوريين بصدد تحقيق تكيف وانسجام مع ثقافة الأتراك إلى جانب الحفاظ على خصائصهم الثقافية من أجل التكيف مع المجتمع التركي طواعية دون أي ضغط أو إكراه. فحماية النظام السائد في المجتمع مرتبط بإبداء العناصر الثقافية المختلفة القاطنة في مكان ما الاحترام للقيم الجوهرية والأساسية للثقافة المهيمنة على ذلك المجتمع. إلا أن هذا الأمر لا يعني التخلي عن الاختلافات والتباينات الثقافية الذاتية والقضاء عليها. فهذه العناصر الإثنية المختلفة إذ تحافظ من جهة على وجودها وإثبات نفسها باختلافاتها وخصائصها الثقافية الذاتية، فإنها من جهة أخرى تعيش في حالة من الانسجام والتآلف مع القيم الأساسية للثقافة السائدة. فالحفاظ على استمرارية حياة أعضاء مجتمع ما بحالة من الأمان والطمأنينة مرتبط بالقيم المشتركة. وإن الثقافة الأساسية أو الثقافة السائدة والمهيمنة مصدر مهم لتأمين هذه القيم المشتركة:

لقد حدث تغير في نمط لباس السوريين. فنحن كنا نرتدي ثوباً طويلاً سابغاً الجسم يسمى «الجلابية». وكان يرتدي هذا النوع كبار السن بشكل خاص. وبعد المجيء إلى تركيا لم يبق لهذا الثوب وجود إلا في حالات نادرة. فأنا لا أتذكر أن أبي لبس قميصا وبنطالا (طقماً) في سوريا، بينما الآن فيرتديها أبي وهو يقول: «علينا أن ننسجم مع الناس، ولا نبدو مختلفين» (عثمان، محمد، عبد العزيز).

ها نحن ننظم حياتنا بما يتلاءم مع حياة الأتراك. ونتكيف مع طبيعة وشكل عملهم، وشروطهم وظروفهم (خالد أحمد، بهزام).

نساؤنا السوريات يرتدين عادة لوناً واحداً، ويضعن حجاباً بعيداً عن الزركشة، ويكون بشكل عام باللون الأسود. وأما النساء التركيات فتفضلن بشكل عام تعدد الألوان والثياب والحجاب المطرز والمزركش. والآن أنظر فأجد أن السوريات بدورهن بدأن في ارتداء الثياب الملونة والمزركشة. ولكن في الفترات الأخيرة بدأت النساء التركيات أيضاً في ارتداء الثياب على نمط النساء السوريات (فاطمة، أسماء).

بدأت الفتيات السوريات بتعليق أشياء مثل الخرز في أنوفهن. فأنا لم أصادف أبداً مثل هذه الأمور في سوريا. ولا ترضى أي أم بذلك الشيء لابنتها (نهال).

إن التأثر/ التفاعل الاجتماعي ليس ذا جانب واحد. إذ إن العلاقات الاجتماعية تولد تفاعلاً متبادلاً. فالشعب المحلي إذ يؤثر بثقافاته وأنماط حياته على المهاجرين من جهة، فإنه من جهة أخرى منفتح على تأثيرات المهاجرين أيضاً:

كان لدينا الكثير من الفتيات اللاتي يضعن على رؤوسهن الحجاب وفي الوقت نفسه يرتدين السراويل الضيقة، فكان هذا الأمر عادة شائعة جداً. ولما جئنا إلى تركيا لم يكن هذا النمط من الثياب في رأيي منتشراً كثيراً. وأما الآن فقد انتشر هذا النمط بين الأتراك على نطاق أوسع بتأثير من الفتيات السوريات (نهال).

ليس هناك اندماج بالمعنى المطلق في أي مجتمع من المجتمعات. فلا يمكن الحديث عن الاندماج والامتزاج التام بين مجتمعين متباينين بشكل من الأشكال. إلا أن الروابط المجتمعية تبنى على القيم المشتركة. فأوجه التقارب في المجتمع، والقيم المشتركة، والتعاون والتعاضد مهم لأجل استمرارية المجتمع أكثر من الاختلافات والتباينات.

إن الوعي بمسألة التوحد في كتلة واحدة أمر ضروري لكافة عناصر المجتمع. فيجب على المجموعات الأصغر داخل المجتمع ضبط وتنظيم وتحديد قيمهم، وأهدافهم بشكل يتوافق وينسجم مع القيم والغاية النهائية للمجموعة (المجتمع) الأكبر منه، والمحيطة بها والحاضنة لها. وبدون تحقيق هذا التنظيم والانسجام لن يستطيع أعضاء المجتمع الاستمرار في وجودهم وحياتهم بسلام، كما أنهم سيعجزون عن الوصول إلى الهدف المنشود الذي يتطلعون لبلوغه. فمصدر الغموض والريبة التي تسود في اللقاءات والمواجهات الاجتماعية المختلفة هو عدم التعارف بالشكل الكافي، والمواقف المسبقة التي يتخذونها بحق بعضهم، والجهل باللغة التي تُعد العنصر الأساسي للتواصل والتفاهم. وبناء على ذلك ينبغي على النازحين السوريين لسد الطريق أمام حدوث المشكلات الاجتماعية تعلم ثقافات ولغة الشعب التركي، وتحقيق الانسجام مع ثقافة الأتراك والتكيف معها. وفي هذا الإطار يمكن رؤية تفاعل بين المهاجرين السوريين والسكان المحليين وتماثل ثقافي.

ويُفهم من ذلك أن المهاجرين قد أقدموا على التصرف بما يتلاءم مع ثقافة السكان المحليين بهدف تحقيق الانسجام والتكيف معهم.

مشكلات المهاجرين السوريين في عملية الاندماج:

خلال عملية الهجرة الاضطرارية يُجبر اللاجئون على ترك بيوتهم وعائلاتهم وأصدقائهم وأحبائهم ونسق حياتهم اليومية وعاداتهم وتقاليدهم التي ترسخ في وعيهم احتواؤها وفق مفاهيمهم ومصالحهم. وفي هذا السياق يحاول اللاجئون إثبات وجودهم في ساحة لم يشتركوا في إنشاء مفهومها وفحواها، أو لم يتدخلوا في إنتاج فحواها، أو اضطروا اضطراراً إلى تأسيس الفحوى [٤٨]. إلا أن الأمر ليس بالعملية السهلة. وذلك لأن

(٤٨) أوغوز، "الاحتمالات البعيدة لمواجهة الثقافات: على ضوء تجربة اللجوء، غازي عنتاب نموذجاً" (Karşılaşmaların UzakİhtimaliSığınmacılıkDeneyiminde Gaziantep Örneği Kültürlerarası)، ص. ١٦٢.

الهجرة، كعملية تغير اجتماعي، تفتح الباب أمام ظهور جملة من المشكلات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. وهناك أيضاً جملة من المشكلات التي يجلبها التقاء مجتمعين مختلفين. وبناء على ذلك فإن هناك جملة من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يجب على الشعوب الملتقية تجاوزها والتغلب عليها. وإن إحدى المشكلات التي يتوجب على المجتمعات تجاوزها هي مشكلة التكيف/ الاندماج الثقافي. فأي مجتمع عندما يخرج من نطاق الظروف التي يعيش ضمنها يواجه ظروفاً جديدة وغريبة عليه منذ اللحظة الأولى لخروجه. وإن المهاجرين إذ يحاولون من جهة التماسك والعيش بثقافاتهم السابقة، يتوجب عليهم من جهة أخرى تحقيق انسجام وتكيف مع الظروف الجديدة. إلا أن هذا الأمر قد يتسبب باضطراب وانتكاس، سواء على صعيد الفرد أم على صعيد المجتمع.

كانت عطلتنا أيام الجمعة. وكان يوم الجمعة أجمل الأيام وأكثرها خصوصية وتميزاً. والآن جميعنا يشتاق ويحن إلى هذا اليوم. كنا نلهو ونستمتع مع الأطفال ذلك اليوم. وكانت حياتنا الاجتماعية تبدأ بعد صلاة الجمعة. بينما هنا نستغرق في العمل طوال يوم الجمعة. وإن مصادفة العطلة الأسبوعية ليوم الأحد تسببت لنا بحالة من الاضطراب، ولم نتمكن إلى الآن من التكيف مع الأمر (عثمان، أحمد، فهمي).

إن مشكلة اللغة تمنع المجتمعين من بناء علاقات أكثر قرباً وحميميّة (عبد العزيز، عثمان).

إن المشكلات الاقتصادية التي نعيشها في تركيا شرعت الباب أمام ظهور مشكلات أسرية. فقد ازدادت نسبة الطلاق بين السوريين لأسباب اقتصادية (أحمد).

كانت لدينا في سوريا علاقات أكثر قرباً. وأما هنا فقد ازدادت الفردية. وإن اضطرار جميع أفراد العائلة إلى العمل نتيجة للأزمات والمشكلات الاقتصادية أثر سلباً على علاقاتنا الاجتماعية. فلا نستطيع أن نجتمع فيما بيننا (محمد، عبد العزيز).

يحب الأتراك تقديم المساعدات، ولكن عندما يتعلق الأمر بالعمل يختلف الوضع. إذ لا يريدون إتاحة العمل للسوريين (نهال).

لقد أثر مجيء السوريين سلباً على ظروف العمل في تركيا، وهذا بدوره يؤثر سلباً على نظرتهم تجاه المهاجرين (عبد العزيز، بهزام).

من بين المشكلات التي يعاني منها السوريون: عدم معرفة اللغة، والبطالة، والاختلافات الاجتماعية والثقافية، والاستغلال في العمل [٤٩]. وإن كل هذه المشكلات إلى جانب مشكلة التعليم [٥٠] تشكل موانع مهمة

(٤٩) مدحت آرمان كاراصو، «مشكلة تكيف اللاجئين السوريين في شانلي أورفة مع المدينة»، مجلة كلية العلوم الاقتصادية والإدارية في جامعة سليمان دميريل، عام: ٢٠١٦، مجلد: ٢١، ص، ١٠١٢.

(٥٠) أحمد أتاصوي، حسن دمير، «تأثيرات اللاجئين السوريين على كركهان (هاتاي)» مجلة الدراسات الاجتماعية الدولية، مجلد: ٨، عدد: ٣٨، حزيران ٢٠١٥، ص، ٤٥٧- ٤٧٠.

في تحقيق التكيف والاندماج الاجتماعي والانتماء. ومع حركة الهجرة يصبح المجتمعان والثقافتان المختلفتان في مواجهة مع بعضهما بعضاً. يمكن أن يتم تصور اللاجئين وأنماط حياتهم كتهديد للثقافة المحلية، مما يتسبب بانعدام الثقة والأمان. ومن ثم يمكن أن يتحول الأمر إلى مشكلة صدام ومواجهة بين المجتمعين في الحياة اليومية. ويمكن أن يفتح التقاء مجتمعين الطريق أمام مشكلات من الناحية الاقتصادية أيضاً. ولهذا فإن العلاقة بين المهاجرين والسكان المحليين بالأساس حبلى باضطرابات وتوترات. وإن هذا التوتر قد ينتهي أحياناً بحالات سلبية مثل: تجاهل المهاجرين من قبل الثقافة المحلية، والتحفظ في إقامة علاقات معهم، وإبداء مقاومة في مسألة التفاعل والتأثر، أو القيام بردود فعل سلبية تجاههم.

يمكن أن يواجه المهاجرون أزمات مختلفة من الناحية الثقافية والاقتصادية، ومن حيث التواصل، ويمكن أن يتعرضوا لمواقف وردود فعل سلبية من قبل الشعب المحلي. وإلى جانب ذلك يمكن أن تؤثر ظروف العمل الجديدة بالنسبة للمهاجرين بشكل سلبي على حياتهم.

يسعى المهاجرون، الذين بينوا أن تركيا أكثر علمانية، وأن الظروف الاقتصادية والعمل أكثر صعوبة في تركيا، يسعون إلى إعادة تشكيل نمط حياتهم وفقاً لهذه الظروف والشروط، وإن كانت عملية صعبة ومسببة لتوتر واضطراب لهم.

١. أوجه التشابه والاختلاف بين السوريين والأتراك في وعي/ فهم الدين والحياة الدينية:

أ. أوجه التشابه والاختلاف في الحياة الدينية:

الدين عامل مهم في صياغة وتشكيل حياة المجتمع. فالدين يؤثر على حياة المجتمع من الناحية الثقافية والاقتصادية والسياسية. إلا أن التفاعل/ التأثير بين الدين والمجتمع ليس ذا جانب واحد. فالدين إذ يؤثر من جهة على المجتمع فإنه يمكن من جهة أخرى أن يتأثر بالمجتمع من حيث فهمه وتفسيره وتطبيقه. وبذلك فإن الدين في المجتمعات المختلفة، وإن كانت تمتلك عقيدة مشتركة، ومفاهيم وممارسات مشتركة، يمكن أن يأخذ أشكالاً مختلفة. ولهذا فإن كل مجتمع يمكن أن يتخذ لنفسه حياة دينية خاصة به.

١. من ناحية مكانة الدين في المجتمع:

إن تأثير الأديان ليس بمتشابه ومتماثل على كل المجتمعات. إذ إن مستوى تأثير الأديان يتباين من مجتمع إلى آخر.

كان كلام علماء الدين في سوريا أكثر قبولاً واعتباراً. إلا أن الأمر ليس كذلك في تركيا. ونلاحظ ذلك بشكل خاص في البيع والشراء. فمثلاً إذا حدث خلاف بين تاجرين أو صناعيين، فإن أول إجراء يقومان به هو قولهما: «لنسأل أحد المشايخ عن هذا الأمر، فما يقوله الشيخ، وما تمليه والشريعة نفعله». وقد رأيت نزاعات

وحالات مشابهة في تركيا. فيقول أحدهم: «هذه تجارة، فما علاقة الدين بها!» (عثمان، محمد، عبد العزيز).

كان هناك شعور بتأثير الخطاب الديني على المجتمع. فإذا حدث نزاع بين شخصين، وقال أحد الحضور «صلوا عليه» أي صلوا على النبي، كانا يقلعان عن الشجار (فهمي).

لقد كانت الفعاليات والمجالس والأوساط الدينية منتشرة أكثر من هنا (إبراهيم، محمد).

كان الناس يبدون مزيداً من الاهتمام والاعتبار لطلبة العلم، ويقدمون لهم المساعدات (إبراهيم).

إن ما يشغل فكر الأتراك خلال تصرفاتهم هو ما سيقوله الناس بحقهم، أكثر من تفكيرهم بحكم الله تعالى. فقد رأيت مرة أحد علماء الدين يدخن بشكل سري. وكان يفعل ذلك كي «لا يقول الناس أن عالم الدين يدخن» (نهال).

في تركيا يولي الناس عقد النكاح الرسمي اعتباراً أكبر. وأما لدينا فالأولوية والاعتبار الأكبر لعقد الشيخ. وتتم حماية حق المرأة بعقد النكاح الديني. وكانت إذا طلقت المرأة تستحق ٥٠٪ من المهر.

إن إنتاج الخمر منتشر في تركيا بشكل أوسع مما هو عليه في سوريا (نهال).

وفقاً لرأي المهاجرين السوريين فإن تأثير الدين على المجتمع السوري أكبر. وحسب رأيهم أيضاً فإن الدين له تأثير أقل على العلاقات اليومية للأفراد في تركيا، وأقل فعالية في تحديد طبيعتها.

٢. من ناحية الفهم الديني:

إن الظروف السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الناس تؤثر بشكل مباشر على وعيهم وفهمهم الديني. لذا فإننا يمكن أن نصادف فهماً وتفسيراً مختلفاً للدين ذاته حسب كل مجتمع.

كان الناس فقراء، ولم تكن لديهم آمال كثيرة حول تحولهم إلى حالة الغنى والوفرة. ولذلك كان لديهم مفهوم ديني أكثر تسليماً. وكانوا يفسرون أحوالهم بقولهم «هذا من تقدير الله تعالى» (فهمي).

كون العربية لغتهم الأم مكنهم ذلك من فهم القرآن والأحاديث بشكل مباشر، وفتح الطريق أمام جعل التدين لديهم مستنداً على القرآن والحديث. وكذلك كانوا أكثر تيقظاً تجاه أشكال استغلال الدين. ونتيجة لتأثير اللغة أيضاً لم تكن الجماعات الدينية، والتعصب للجماعة منتشراً بالقدر الموجود في تركيا. ولم يكن نفوذ الجماعات ذا تأثير كبير كما هو الحال في تركيا (فهمي، محمد، عبد العزيز).

كانت الحياة تسير ببطء أكثر، واستقرار أكبر. لم تكن المنافسة الاقتصادية وهدف التوسع بالمعنى الاقتصادي مهيمناً على حياة المجتمع. وهذا الأمر ينعكس على نشاطاتهم الاقتصادية، كما ينعكس على

العلاقات مع الزبائن. فلم يكونوا منظمين كثيراً في حياتهم المتعلقة بالعمل. فهم يفتحون مقرات وأماكن في الوقت الذي يريدون، ويغلقونها في الوقت الذي يشاؤون دون تقيد بوقت وموعد محددين. ولم يبدوا اهتماماً كبيراً بالزبائن. وهذا النمط من الحياة تسبب بنمو مفهوم ديني أكثر تسليماً وتوكلاً لديهم (إبراهيم).

عندما كنت في سوريا كنت ألاحظ على الطلبة الأتراك أنهم لا يؤدون الصلاة، ويقولون مبررين «قلبي نظيف». وهذا الأمر نادر في سوريا. وشاهدت ذلك في تركيا أيضاً. فالرجل يشرب الخمر، ولا يصلي، ثم يقول: «قلبي نظيف». وأما في سوريا فإن الرجل حتى إن كان يكذب، ويشرب الخمر، وسيئ المعاملة في تجارته إلا أنه بشكل عام يصلي. ولا يترك الصلاة. ويقول «سأؤدي حق الله» (عثمان).

إن التعصب المذهبي والتفريق بين الشافعي والحنفي ليس شديداً لدينا بقدر ما هو قائم في تركيا. فالأمر أكثر مرونة في هذا المجال (فهمي).

هناك تصور لدى أغلب الناس، سواء في تركيا أم في سوريا أن المتدينين أقل تمدناً. فهناك القليلون جداً الذي يقيسون التمدن والتحضر لدى الشخص بناء على تصرفاته وسلوكه (نهال).

إن تركيا الأكثر تقدماً في الصناعة والحياة المدنية، وصاحبة الكثافة السكانية الأعلى، سواء على مستوى الدولة عموماً أم على مستوى المدن، تمتلك مفهوماً دينياً مختلفاً بالمقارنة مع سوريا. إن الحياة الحديثة تضطر الأفراد للتصرف بشكل أكثر عقلانية/ منطقية، وقد يترافق مع ذلك حدوث تباين واختلاف في الفهم/ الوعي الديني. يتم تفسير الدين في المجتمعات التي استطاعت الحفاظ بشكل أكبر على بنيتها التقليدية بمفهوم أكثر تسليماً وتوكلاً. بينما يمكن أن ينمو فهم عقلاني للدين في المجتمعات التي تهيمن عليها القيم الحديثة بدرجة أكبر.

وإن تجربة التحول للحداثة التي شاهدتها تركيا لعبت دوراً تأثيرياً مهماً على الدين هنا، وذلك بشكله المختلف وفهمه وتطبيقه. فالحداثة كانت تتطلع لحجز مكان لها في الساحة العائدة للدين. وفي هذا السياق فإنها كانت تقدم العقل والعلم. لذا يمكن رؤية تأثيرات الحداثة على الدين في عملية العلمنة/ العلمانية بشكل جلي[٥١]. فالعلمانية عملية أضعفت الاهتمامات الاجتماعية بالمعتقدات والشعائر والمؤسسات الدينية، وخاصة في المجتمعات الصناعية الحديثة[٥٢]. ولكن لا يمكن القول: إن الحداثة بأكملها تفتح الباب نحو العلمانية. فبينما يفتح التحول للحداثة الطريق أمام ظهور العلمانية في ميادين معينة، حتى أنها تبدو أكثر وضوحاً في بعض المناطق، فإنه في الوقت ذاته يُعد عاملاً مؤثراً في ظهور حركات بالغة القوة ضد العلمانية. وبالأساس فإن القوى العلمانية والاقتصادية لعملية الحداثة إذ تضعف من جهة النشاط الاجتماعي الديني، فإنها من جهة أخرى تحمل

(٥١) محمد علي كيرمان (M. Ali Kirman)، الدين والعلمانية (دراسة اجتماعية على المرحلة الجامعية)، مكتبة كاراهان، أضنة ٢٠٠٥، ص، ١٧.

(٥٢) غوردون مارشال (Gordon Marshall)، معجم علم الاجتماع، ترجمة: عثمان آكنهاي- دريا كومورجو، منشورات العلم والصناعة، أنقرة ١٩٩٩، ص، ٦٤٥.

في داخلها مضامين انفعالية تعيد تسليط الضوء على الدين من جديد. وبعبارة أخرى؛ إن أطروحة العلمنة/ العلمانية جزء من جدلية تقوم بفعل أطروحة مضادة لها. ومن هذه الناحية فإن المسافة بين الدين والحداثة قريبة للغاية، ومع ذلك فإن الأمر قد يصل إلى علاقة بالغة التعقيد والإشكال (٥٣).

٣. من ناحية العبادات:

إن أحد مظاهر الأديان هو العبادات. ومع محافظة العبادات على بنيتها الجوهرية والأساسية فإنها قد تتباين وتبدو عليها مظاهر الاختلاف حسب المجتمعات من حيث الشكل. ومن جهة أخرى؛ فإن مفهوم التدين لدى الأفراد قد يلعب دوراً تحديدياً في سلوكياتهم ومواقفهم المتعلقة بالعبادات.

كان في سوريا أربعة أصناف من المتدينين (من ناحية العبادات):

١) المتدينون ظاهرياً وباطنياً: وهؤلاء كانوا قلة.

٢) المتدينون ظاهرياً: وكان هؤلاء يشكلون الغالبية.

٣) غير المتدينين: وكان هؤلاء قرابة ٤٠٪. وقسم من هؤلاء كانوا يقولون "قلبي نظيف" ولا يؤدون العبادات. وأما القسم الآخر فلم تكن لهم علاقة بالدين أبداً (عبد العزيز).

عندما نصلي لا نهتم كثيراً بصلاة السنن. بينما في غازي عنتاب في تركيا يهتم المصلون بشكل عام بأداء صلاة السنة، وبالتسبيح بعد الصلاة (عثمان).

بإمكاني أنا أن أقف في أي مكان جاف فأقول «الله أكبر» وأصلي فيه دون مد أي شيء على ذلك المكان. فيكفي ألا تكون هناك نجاسة ظاهرة. إلا أن الأتراك يستغربون هذا الأمر. ثم بإمكاني الصلاة بحذائي. وأحياناً أصلي كذلك. ولكن الأتراك يقولون باستغراب: «انظروا إلى الرجل يصلي بحذائه!» (عثمان، فهمي، إبراهيم).

كان صيام أيام الاثنين والخميس أكثر شيوعاً في سوريا. وأما لدى الأتراك فيكاد يكون معدوماً (عثمان).

كان رمضان في سورياً أكثر خصوصية وروحانية وحيوية (إبراهيم).

إن صلاة التراويح أكثر انتشاراً في تركيا، وتُصلى عشرين ركعة. وأما في سوريا فبعد انقضاء ثماني ركعات ينخفض عدد المصلين في المسجد إلى النصف تقريباً (محمد، إبراهيم، عثمان).

في تركيا يتم إيلاء أهمية كبرى للشهور الثلاثة ولياليِ النصف من شعبان والرغائب. وإن أغلب الناس من غير المصلين يذهبون تلك الليلة إلى المسجد (محمد، إبراهيم).

(٥٣) كيرمان، الدين والعلمانية، ص، ١٨.

خلال الليالي الفضيلة في سوريا تمتلئ المساجد. ولكن ليس في سوريا «فعاليات أسبوع الميلاد المبارك» كما هو الحال في تركيا (فهمي، نهال، عثمان).

السوريون أكثر حساسية من الأتراك في مسألة الزكاة. فالرجل يقول: «سأدفع الزكاة مهما كان مقدارها». ولم أجد هذه الحساسية في تركيا (عثمان).

إن الدين ببعده الإدراكي والتطبيقي ظاهرة خاضعة لإعادة التفسير والإنتاج، وتحمل المعاني الجديدة بشكل مستمر. وإن تفسير الدين ونقله إلى ساحة التطبيق ليس مستقلاً عن تراكمات معلومات الأفراد أو المجتمعات ولا عن تجاربهم الحياتية ولا عن ماضيهم وتوجهاتهم وميولهم. فالوقائع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية تبدو كعامل محدِّد في فهم وتفسير الأفراد والمجتمعات للدين. ولهذا يمكن العثور على مظاهر مختلفة للدين لدى الطبقات المختلفة لمجتمع ما، حتى في مراحله التاريخية المختلفة، وذلك بناء على فهم الدين وتطبيقه على الصعيد الفردي والمجتمعي.

٤. من الناحية المرئية والشكلية:

إن كل جماعة تميز نفسها من أعضاء المجتمعات الأخرى بجملة من الرموز والتصرفات. ويوجد في الإسلام أيضاً جملة من الأشكال والرموز مثل: الحجاب، واللحية، والعمامة. إلا أن هذا الأمر قد يؤدي إلى اختزال مفهوم الدين والتدين في جملة من الرموز والشكليات وتمزيق جوهره وأسسه، وإلى تفسير التدين بصور تقليدية وشكلية.

ففي سوريا المظهر والزي الديني أمر مهم. فرجال الدين يميزون أنفسهم بلحاهم ولباسهم. ومن هذه الناحية هناك مفهوم دين شكلي ويبدو مهماً. وإن تغطية النساء لوجوههن بالخمار منتشر أكثر من تركيا. إلا أن البعد الأخلاقي كان متراجعاً عن هذا الأمر (فهمي، إبراهيم، عبد العزيز).

لدينا في سوريا كل نساء وبنات المشايخ ورجال الدين محجبات دون استثناء. وهذا الأمر ليس نابعاً من العادات والتقاليد، وإنما من معتقداتنا. ولكن ما رأيته في تركيا مختلف، إذ قد تكون بنات ونساء المشايخ، أو علماء الشريعة، أو الرجال الملتزمين بالدين ممن يحجون ويصلون غير محجبات (محمد، نهال، ياسمين، عبد العزيز).

إن مسألة اللباس والمظهر الخارجي في سوريا قد تحولت إلى عرف وعادة أكثر من عقيدة. وهناك شعور في هذا المجال بضغط العائلة والمجتمع والعادات (إبراهيم، عبد العزيز، فهمي).

في سوريا حتى العبادات تحولت إلى عادات وتقاليد. فذهاب الصغار والكبار معاً إلى المسجد وإقامة الصلاة تجذرت في الحياة كسلوك تقليدي اعتيادي أكثر من كونها عبادة. ومع هذا في الجانب الظاهري للدين

لم نعد نرى الأخلاق الدينية في العلاقات الاجتماعية وخاصة في التجارة (إبراهيم).

لا يهتم السوريون بصلاة السنة. ولكنهم يهتمون بالسنة المرئية والشكلية (فهمي).

إن عالم الدين في سوريا لا يجري مقابلة تلفزيونية مع مذيعة مكشوفة الرأس. وإن اشتراك عالم الدين في برنامج تلفزيوني مع مذيعة مكشوفة الرأس يُقابل بالاستهجان حتى من قبل غير المتدينين (عبد العزيز).

يؤدي السوريون عباداتهم. إلا أنهم ليسوا متدينين في المعاملات والأخلاق. كان هناك محجبات إلا أنهن غير متدينات أخلاقياً. لأن الحجاب قد تحول إلى عرف وعادة. وأما في تركيا فتوجد حالة معاكسة، إذ تجد فتاة مكشوفة الرأس ولكنها تصلي (عبد العزيز، نهال).

يوجد في سوريا نساء محجبات وحتى يرتدين الخمار أيضاً. ولكن يوجد بين هؤلاء من لا تصلي أيضاً (نهال، عبد العزيز).

لدينا في سوريا يجب أن يكون اللباس والمظهر الخارجي مناسباً للشيخ، ولمن يلقي دروساً دينية. ويقابل إلقاء الدروس الدينية بزي غربي حديث بالاستغراب (نهال).

إن أهم دلالة على التدين لدى النساء هي الحجاب. وعلى المتدينة استعمال الحجاب الأسود. فهناك تصور بأن حجاب المرأة إن كان أسود فهذا يعني أنها متدينة. ولذلك فإن الشكلية أكثر بروزاً وأهمية في سوريا. وأما في تركيا فيولون الأهمية بدرجة أكبر للمعنويات والأدب (نهال، ياسمين، أسماء، فاطمة).

هناك اختلافات بين الحياة الدينية في تركيا والحياة الدينية في سوريا من الناحية الشكلية أيضاً:

يوجد فرق في الدعاء والصلوات المحمدية. فهناك تباين في مقامات الصلاة على النبي – عليه الصلاة والسلام – مثلاً: تكبيرات العيد والصلوات في سوريا أسرع، وأكثر حركية وحماسية. فيخيم شعور وإحساس داخل المجتمع بقدوم العيد (فهمي، عثمان).

في بعض المساجد القديمة في سوريا يرفع الأذان على شكل جوقة جماعية باستمرار. وفي نهاية الأذان يقوم المؤذن بترديد الصلوات على النبي بشكل مطول. ويفعلون ذلك كرد على الشيعة، وللإشارة إلى أنهم ليسوا شيعة (فهمي).

في صلاة التراويح تقرأ آيات من القرآن بشكل أكبر. ولا يوجد لديهم مفهوم ترتيب سور القرآن في الصلاة كـ «ألم تر» وما بعدها كما هو الحال في تركيا (فهمي، نهال).

إن الطراز الإسلامي في تركيا أكثر تمدناً وحداثة. فالشخص إذا تصدق، أو قدم مساعدة فإنه يفعل ذلك بشكل حضاري أكثر (نهال).

يوجد أدب تجاه الدين، والمفهوم الديني. والناس في تركيا أكثر تعلقاً بالأدب. أي أن هناك تعظيماً أكبر في القيام بالعادات الدينية (محمد، عبد العزيز).

إن امتلاك المجتمعات لتجارب تاريخية مختلفة، واحتوائها على عناصر مذهبية وعرقية مختلفة يؤثر بلا ريب على تجاربها الدينية. فمثلاً؛ تجربة الانتقال إلى الحداثة على النمط الأوروبي التي شهدتها تركيا أثرت على عملية إعادة تفسير الدين، وفتحت الطريق أمام انعكاسات على المستويات والأشكال المختلفة للدين. وإن الظروف القائمة في المجتمع والمشكلات التي شهدها دفعت الناس إلى إنتاج حلول عملية شعروا بالحاجة إليها بالمعنى الديني. ونتيجة لذلك فُتح الطريق أمام حدوث تباين واختلاف في الحياة الدينية.

٥. من ناحية المظاهر الدينية في الحياة اليومية:

تؤثر الأديان بعقائدها وتعاليمها على حياة الأفراد والمجتمعات. فهي تكتسب وجودها وكيانها بدعوى تغيير أنماط الحياة. إلا أن انعكاسات الأديان على الحياة اليومية لا تكون بأشكال متشابهة. وذلك لأن للدين والمجتمع، والدين والثقافة تأثيرات متبادلة.

إن الجامع في سوريا يحتل مكانة أكثر مركزية في الحياة ولدى الجميع لكون الجمعيات والأوقاف والجماعات غير منتشرة بشكل واسع. كان الذكر الديني الجهري منتشراً في الجوامع ويقام بكل أريحية. وكان عند الدخول إلى الفناء الخارجي للمساجد تُخلع الأحذية. وكان عند حلول الموعد تلقى الخطب، ويبث صوت الخطبة إلى الخارج حتماً. وكان في أثناء صلاة التراويح في الجوامع يُقدم شراب السوس الشائع في سوريا... لقد رأيت ذلك في حلب، وفي الشام، فهذه عادة (فهمي).

يطلب الإمام الذي يعقد النكاح الديني من الزوجين بالتوقيع على وثيقة غير رسمية. وهذه الوثيقة صالحة للاستخدام في المحاكم الشرعية (فهمي).

بعد تفاهم العوائل بشأن الزواج يتم تشكيل ما يشبه الوفد. وهو مؤلف من عدة أشخاص معينين ثم يتوجهون إلى دار الفتاة، وعادة ما يصطحبون معهم شيخاً لكي يلقي كلمة هناك ويتحدث في الأمور التي يتطرقوا إليها فيما بينهم سابقاً إن وجد (عثمان).

النسب مؤثر في طلب الفتاة. والعائلات المتدينة تفضل الطلب من العائلات المتدينة مثلها (نهال).

لن تجد أعراساً واحتفالات يجتمع فيها النساء والرجال مع بعضهم بعضاً. وفي الأعراس لا يسمحون بالأطفال فوق ست سنين بالدخول إلى جناح النساء. وليس بإمكان أحد التقاط الصور هناك دون إذن من أصحاب الشأن. لأن النساء في الأعراس يتبرجن كثيراً من ناحية اللباس والزينة (فهمي، إبراهيم، نهال).

إنهم يدققون كثيراً في العلاقات مع النساء وأكثر حرصاً بالمقارنة مع تركيا. فهناك مسافة في العلاقة بين الرجل والمرأة (فهمي، إبراهيم، نهال، محمد، عبد العزيز، ياسمين).

عندما يولد مولود جديد يأخذونه إلى عالم دين قبل إطعامه وسقايته أي شيء. فيأخذ العالم تمرة في فمه فيمضغها ثم يضعها في فم الطفل. وهذا الأمر بالأصل سنة، ويقال لها "التحنيك". وهذه السنة منتشرة في سوريا. وكذلك إن كان المولود ذكراً فإنهم يقومون بختانه خلال الشهر الأول (فهمي).

مدة العزاء هناك ثلاثة أيام. ولا يذهب أحد للعزاء بعد انتهاء الأيام الثلاثة (إبراهيم).

لقد شاهدت في تركيا أن الناس يدفعون النقود للشيخ ليقوم بختم القرآن. وأما عندنا فكل إنسان في مكان العزاء يقرأ جزءاً من القرآن لتتم ختمة من أجل الميت. وفي العزاء لدينا تجري أحاديث ومواعظ دينية بشكل كبير. وأما في تركيا فيقرأ القرآن بدرجة أكبر. لم أجد عندنا عادة قراءة التوحيد لأجل الميت (عثمان، نهال).

لدينا (في تركيا) محاكم حسب القانون المدني فقط. أما هناك فتوجد محاكم شرعية. والمحاكم الشرعية تنظر في القضايا الشخصية والأسرية (إبراهيم).

يوجد في البيوت السورية ثياب خاصة بالصلاة بيضاء أو ملونة، تتكون من غطاء الرأس وثوب طويل وذلك من أجل النساء اللاتي يأتين كضيفات. وأما في تركيا فلا يوجد لباس خاص من أجل الصلاة (نهال، أسماء، فاطمة).

كانت هناك علاقات وثيقة بين المسلمين والمسيحيين. فالكنائس كثيرة. وكان يتم الاشتراك مع المسيحيين في مناسباتهم وأعيادهم الدينية. وكان بإمكان رجال الدين المسيحيين التحدث بأريحية في الجوامع. وقد شاهدت ذلك مرات عدة في جامع «أبو النور» في الشام (فهمي).

رأيت هنا توزيع حلاوة عاشوراء في محرم (عثمان).

لا تصادف الكثير من الكلاب في المدن، فمثلاً في الشام لن تجد كلباً واحداً. وهذا الأمر نابع من كون الكلب نجساً وفق المذهب الشافعي (فهمي)

لا يلقى الخبز عندنا في حاوية النفايات. وإذا رأيناه على الأرض نلتقطه ونضعه جانباً. حتى كان يتم أحياناً نقاش جديّ في سوريا حول قدسية الخبز (عثمان، خالد أحمد، بهزام).

هناك لا يأكلون لحم الحمام بدعوى أنه حرام. وأما نحن فنأكله في سوريا. وكذلك من أحد الحيوانات الذي لا يؤكل هنا ويؤكل هناك هو الثعلب (عثمان). وفي بعض مناطق سوريا لا يأكلون الأرنب (محمد).

إن التصريحات الواردة في الأعلى تظهر ما بين المجتمع السوري والمجتمع التركي من تباين وفرق في فهم/ تصور الدين وشكل تطبيقه. فالدين لا يتيح فهماً وتصوراً مماثلاً ومتشابهاً لدى جميع الناس وفي كل المجتمعات. فعقلية وطريقة تفكير الفرد والمجتمع والحالة التعليمية والماضي والثقافة.. كل ذلك يلعب دوراً رئيساً في الفهم/ الوعي الديني لدى الفرد والمجتمع. ومن هذه الزاوية فإن الدين يمتلك مظاهر وتأثيرات مختلفة سواء على الصعيد الفردي أم على الصعيد الاجتماعي. ويمكن رؤية هذه الحالة بين الشعب التركي والشعب السوري. لذا فإن فهم/ وعي الدين والتدين لدى الفرد لا يتطور بشكل مستقل عن الظروف الاجتماعية. فالدين والثقافة ظاهرتان تمتلكان تأثيرات متبادلة. ولهذا السبب يمكن مصادفة أشكال وصور مختلفة للأديان تتباين من مجتمع لمجتمع آخر.

مع أن هناك من ناحية تأثير الدين في الحياة اليومية جملة من التباينات والفروقات المتعلقة بفهم الدين وتطبيقه بين السوريين والسكان المحليين، فإنه بالإمكان رؤية جملة من الممارسات والتطبيقات المشتركة أيضاً:

يوجد لدينا من يشربون ماء زمزم وهم واقفون. احتراماً له. ولكن الأكثر شيوعاً هو شربه جالساً (عثمان، نهال).

ولدى عودة الإنسان من العمرة أو الحج لا بد أن يذهب إليه الأقرباء ومعهم هدايا. وهو بدوره يعطيهم هدايا جلبها معه ويقدم لهم ضيافة. وهي عبارة عن حلوى خاصة. وكذلك يتم تزيين بيت الحاج برسومات وكتابات وديكورات تتضمن شعارات الحج وذلك في واجهة المنزل وسقوف الغرف. وبعد مضي ٥- ١٠ أيام بعد العودة من الحج يدعو الحاج الناس إلى وليمة غداء أو عشاء (نهال، عثمان).

مع مرور الزمن يمكن أن تظهر جملة من التغيرات في مفاهيم الدين وممارساته وتطبيقاته لدى مجموعة المهاجرين السوريين. إذ إن تغير المحيط الثقافي قد يفتح الباب أمام حدوث تغييرات في فهم الدين وممارسته العملية أيضاً. وذلك لأن فهم/ وعي الدين والتدين مفتوح على التفاعل الاجتماعي والثقافي والتأثر المتبادل. لذا فإن الهجرة تجعل الفرد عرضة لتفاعل وتأثر شامل وواسع جداً ابتداء من طريقة التفكير وانتهاء بالسلوكيات والتصرفات الشخصية وحتى الحياة الثقافية عامة.

بشكل عام في سوريا يلي الأدعية التي تتم في نهاية الطعام المقدم في العزاء قراءة الفاتحة. ولا تقرأ الفاتحة بعد دعاء كل طعام. ولكن الآن في تركيا صرنا نحن أيضاً نطلب قراءة الفاتحة بعد كل طعام (محمد، عبد العزيز، عثمان).

هنا في الصلوات الجماعية تقوم الجماعة فور الانتهاء من صلاة السنة بالإقامة والمباشرة بصلاة الفرض. بينما عندنا بعد الانتهاء من السنة تقرأ الفاتحة والصلوات المحمدية. ورأيت أن ما يفعله الأتراك أقرب إلى السنة (عثمان).

أنا أذهب إلى مساجد السوريين. فكانوا في السابق يصلون الفرض فقط، ولا يقرؤون التسبيحات مع المؤذن. وأما الآن فهم أيضاً يقومون مثلنا بأداء التسبيحات مع المؤذن (إبراهيم).

بدأت أُولي مزيداً من الاهتمام بصلوات السنن وصلاة التراويح (خالد أحمد).

إن المهاجرين المتدينين لم يقوموا فقط بنقل معتقداتهم وممارساتهم الدينية من مواطن إقامتهم السابقة إلى مكان جديد. وإنما تتعرض ممارسات ومعتقدات المهاجرين نتيجة إقامتهم وعيشهم في موطن جديد للتغير والتبدل تأثراً بالواقع القائم. وفي هذه العملية يمكن أيضاً ملاحظة العناصر المحلية في تصرفات وسلوكيات المهاجرين الدينية. إلا أن التأثر ليس ذا اتجاه واحد. وإنما يمكن أن يتأثر السكان المحليون أيضاً بالتصرفات والسلوكيات الدينية للمهاجرين:

المذهب الشافعي منتشر في سوريا بشكل أوسع. ولذلك لدى انتهاء الإمام من قراءة الفاتحة في الصلاة الجهرية يقول المصلون معاً وبصوت مرتفع قليلاً: "آمين". ولم يكن الناس يفعلون ذلك في غازي عنتاب لكون المذهب الحنفي هو الشائع لديهم. وأما الآن فأرى في بعض المساجد أن المصلين يقولون "آمين" بصوت مرتفع وبشكل جماعي متأثرين في ذلك بالسوريين (أحمد).

عندنا صلاة التراويح عشرون ركعة. ولكن كان هناك الكثيرون يغادرون المسجد بعد صلاة ثماني ركعات منها. والآن أشاهد أن الأتراك أيضاً ينظرون إلينا ويخرجون من المسجد بعد ثماني ركعات. فهذا الأمر ينتشر بينهم (محمد، عثمان).

ينقل الناس بالهجرة أنماط حياتهم الخاصة إلى أماكن أخرى أيضاً. وإن التفاعل بين ثقافة المهاجرين والثقافة القائمة هناك أمر حتمي لا مفر منه. فهي تؤثر على بعضها، وتتفاعل بشكل متبادل. وبناء على ذلك فإنه من المتوقع ظهور تفاعلات وتغيرات وتماثلات/ تشابهات، سواء في السلوكيات والتصرفات الدينية لدى المهاجرين أم في التصرفات والسلوكيات الدينية لدى السكان المحليين.

ب. التغير في سلوكيات وتصرفات السوريين الدينية بعد الهجرة:

يُعد التلاقي الثقافي من العوامل المؤثرة في تغير الثقافة. ويمكن في هذه العملية ملاحظة تغيرات في السلوكيات والتصرفات الدينية أيضاً[٥٤]. وبناء على ذلك يمكن أن تحدث تغييرات في التصرفات والسلوكيات الدينية لدى المهاجرين الذين يواجهون ظروفاً مختلفة وجديدة عليهم. فالمهاجرون من الآن فصاعداً أمام عالم غريب ومختلف. وإن الظروف والشروط الجديدة سوف تؤثر في إعادة تشكيل وصياغة حياة المهاجرين.

(٥٤) طورخان، تغيرات الثقافة (دراسة من حيث علم النفس الاجتماعي)، ص، ٨٤- ٨٨.

وانطلاقاً من ذلك فإن المهاجرين الذين صاروا ضمن ظروف جديدة قد يتعرضون لتغيرات في سلوكياتهم وتصرفاتهم الدينية سواء كانت تغيرات إيجابية أم سلبية. ورغم أن هجرة السوريين إلى دولة مسلمة مثل تركيا، فإن الظروف والأحوال السائدة التي يواجهونها هناك مثل: الكثافة السكانية، والوضع الصناعي، والتمدن؛ وتغير المحيط القريب مثل: الأقرباء والجيران، واللغة الغريبة التي لا يعرفون عنها شيئاً ولا يفهمونها.. كل هذا سوف يؤثر على حياتهم الدينية. لأن فهم وتفسير الدين والتدين مفتوح على المؤثرات الثقافية والاجتماعية، ومن ثم يمكن أن يتعرض للتغيير والتبديل:

لقد حدث تغير في تدين السوريين. إلا أن ذلك يختلف حسب المدن. أي إن البيئة المحيطة هي التي تحدد، ويتغير التدين حسب المحيط. مثلاً: الشعب في قونيا أكثر تديناً بالمقارنة مع المدن الأخرى، لذا فالسوريون يصبحون أكثر تديناً تأثراً بهم. إلا أن تدين السوريين أقل في مدينة أخرى مثل إسطنبول (عثمان).

إن لمشكلة اللغة أثراً سلبياً على تدين السوريين. وقد أضعفت ارتباطهم بالمساجد. لأنهم لا يفهمون الأحاديث والدروس الدينية، فهم يصلون ويخرجون منه فقط (أحمد، محمد، عبد العزيز).

كان الناس في سوريا يذهبون نوعاً ما إلى الدروس والمجالس الدينية. مثلاً: في يوم الجمعة كان يتم تنظيم الحياة الاجتماعية بما يتناسب مع هذا اليوم. وقد ألغي هذا الأمر هنا. فهم لا يستطيعون الذهاب إلى المجالس والدروس الدينية. على أن بعضهم يذهبون هنا إلى الجماعات الدينية. وبعضهم يتقرب إلى الجماعات التركية. فيقيمون العلاقات مع الجماعات التي يوجد فيها شيوخ سوريون وتلك التي يرونها قريبة إليهم. ولكن عدا ذلك لم تتشكل فعالية أو جماعة دينية مؤثرة. ويبدأ السوريون الآن بتكوين جماعات دينية. وأثر هذا الأمر على تدينهم (عثمان).

إن تأسيس شبكة علاقات اجتماعية، أو الانضمام إلى شبكة قائمة واستمرار هذه الشبكة يؤمن للمهاجرين رصيداً اجتماعياً. وإن المهاجرين «عند مفارقتهم بلدانهم يضطرون إلى فقدان قدرتهم على الوصول إلى مصادر وموارد محدودة؛ أي ترك أرصدتهم الاجتماعية بفعل اشتراكهم في شبكة علاقات ومجموعات ثقافية أو الانتساب إلى كيان اجتماعي» [٥٥]. وإن هذه الحالة تعني أيضاً بالنسبة للمهاجرين التخلي «عن إمكانية استنفار واستعمال هذه الموارد والمصادر المحدودة وقت الحاجة» [٥٦]، وذلك بفعل هذه الانتماءات، والانتماءات التي

(٥٥) Alejandro Portes, "Economic Sociology and The Sociology of Immigration: A Conceptual Overview", In the Economic Sociology of Immigration: Essays on Networks, Ethnicity and Entrepreneurship, edited by Alejandro Portes, Russel Sage Foundation, New York 1995, s. 12.

(٥٦) Portes, "Economic Sociology and The Sociology of Immigration: A Conceptual Overview", s. 12.

تُعد من المحددات المهمة للحياة اليومية. فحتى يستطيع اللاجئون إعادة بناء حياتهم اليومية داخل الثقافة الجديدة التي انضموا إليها لا بد لهم من إعادة إنتاج أرصدتهم الاجتماعية أيضاً [٥٧].

ويمكن قراءة انضمام المهاجرين إلى الجماعات الدينية القائمة أو تشكيل جماعة دينية جديدة في هذا الإطار. إلا أن غاية الحفاظ على البناء المعنوي والأخلاقي تُحدد كعامل مهم أيضاً.

تأثر تدين السوريين سلباً عندما تقلص تأثير المسجد فيهم. إلا أن التدين ازداد لدى الشباب الذين استمروا بالتردد على الجماعات (أحمد).

إن تأثير الدين انخفض على السوريين في تركيا. ففي رمضان الماضي كان عدد السوريين المفطرين أكبر من الصائمين. وازدادت نسبة الذين تركوا الصلاة بين الشباب (خالد، أحمد، محمد).

ضعف تأثير الدين على الفتيات السوريات. فالفتيات يغطين رؤوسهن إلا أنهن يرتدين الثياب الضيقة، ويرتدين سراويل الجينز. ولا يوجد هنا شعور بتأثير القرابة. فتركيا دولة أكثر تحرراً، والوسط العام عامل مساعد على ما ذكرنا (أسماء).

عندما كان السوريون يعيشون في سوريا كانوا يهتمون أكثر بصلاة الجماعة. وقد تراجع هذا الأمر هنا (عثمان).

أعتقد أن تدين السوريين تأثر سلباً في تركيا. فهم متحررون أكثر في اللباس، ويفضلون الثياب المكشوفة. وبدأت الفتيات السوريات بمصافحة الرجال (نهال).

العلاقات بين الذكور والإناث في تركيا أكثر أريحية. ولكن بدأ الأمر يتغير لدى السوريين المقيمين في تركيا أيضاً. فهم صاروا يستطيعون بأريحية إجراء حوارات وأحاديث مع الجنس المقابل. وبإمكان العائلات الجلوس معاً رجالاً ونساءً (أسماء، فاطمة).

إن العلمانية والوسط المتحرر أثرا سلباً على السوريين. فلم يعودوا ينشغلون بالعلم، وازداد انشغالهم الدنيوي (محمد، عبد العزيز).

عند التأمل بهذه التصريحات نستنتج أن الوسط الجديد الذي دخل إليه السوريون أثر بشكل سلبي على تدينهم. ويتبين أن هناك عدة عوامل لعبت دوراً مهماً في ذلك؛ وهي: ضعف الروابط الاجتماعية، وتغير روابط

(٥٧) أوغوز، «الاحتمالات لبعيدة لمواجهة الثقافات: على ضوء تجربة اللجوء، غازي عنتاب أنموذجاً» (Karşılaşmaların UzakİhtimaliKültürlerarası: Sığınmacılık Deneyiminde Gaziantep Örneği)، ص. ١٥٥.

وظروف العمل، والبيئة الثقافية الجديدة، ومشكلة التواصل الناتجة عن اللغة. ولكن ينبغي الإشارة إلى أن إحدى المقاربات التي تُفسر على أنها تأثر سلبي للتدين هي مستقلة عن فهم الدين والتدين.

هناك مبادرات ومحاولات يقوم بها السوريون لتلبية احتياجاتهم الدينية والمعنوية الخاصة بهم:

افتتح السوريون مدارس شرعية (الأئمة والخطباء) خاصة بهم، وهناك مدارس جديدة سيتم افتتاحها. وتلقى الخطب هناك باللغة العربية (أحمد).

لقد دعيت كممثل عن السوريين إلى أحد الاجتماعات التي حضرها موظفون من مديرية الشؤون الدينية وممثلون عن مؤسسات المجتمع المدني. ودار حديث حول: «تخصيص مساجد تلقى فيها الخطب والدروس الدينية باللغة العربية من أجل السوريين». وحينها اعترضنا على الأمر وقلنا: «نريد أن نندمج مع هذا المجتمع لكوننا مسلمين جميعاً». فلم نرد أن يقال: «هذا مسجد السوريين، وهذا مسجد الأتراك». وقلنا: «جميعنا مسلمون، فلم نفتح الطريق أمام حدوث تفرقة بين الشعبين من خلال المساجد، فليبق الأمر على ما هو عليه. ويكفي أن تطلبوا من الأئمة قراءة الآيات والأحاديث باللغة العربية في أثناء الخطب» (عثمان).

ويتحدث السوريون عن قيام رئاسة الشؤون الدينية بجملة من الأنشطة والفعاليات لتأمين احتياجات السوريين الدينية:

لقد أضافت رئاسة الشؤون الدينية إلى موقعها الالكتروني الخطب باللغة العربية والإنكليزية بعد أن كانت باللغة التركية فقط. والآن بإمكاننا قراءتها من هذا الموقع وفهم موضوع الخطبة قبل الذهاب إلى المسجد (أحمد، عثمان).

إن الطبيعة الحركية لظاهرة الهجرة تجلب معها تغييراً ذا أبعاد كثيرة. وإن إحدى الظواهر المتأثرة بالتغير الحاصل بالهجرة هي فهم وتطبيق الدين والتدين. وكما أن التأثير الذي يظهر على التدين بالهجرة يمكن أن يكون أحياناً من حيث الكم والنوع، فإنه قد يكون سلبياً أيضاً. فمع الهجرة برز وضع جديد. ولا يمكن الحديث عن التدين ذاته الذي كان قائماً في السابق. والأمر الجلي الذي لا يحتاج إلى عناء كبير في الإثبات هو أن ما سيتعرض للتراجع والضعف في بيئة جديدة تطغى عليها العلمانية والتمدن والحركة الصناعية هو الروابط والعلاقات التقليدية. وتبعاً لذلك هناك احتمال قوي لتأثر التدين سلباً.

ج. محاكمة الثقافات الخاصة:

إن العلاقات بين الناس والثقافة في المجتمع تسير داخل مجرى الحياة اليومية بصورة عامة بالشكل الذي حددته الثقافة. إلا أن الناس حتى ضمن هذا الروتين يجرون أحياناً مراجعة ومحاكمة لبعض رموز الثقافة

ومقوماتها وقوالبها وأشكالها وعناصرها التقليدية، وكذلك للعادات والأعراف...إلخ [٥٨]. ويمكن ملاحظة هذه المراجعات والمحاكمات بشكل أوضح في حالة الهجرة. لأن المهاجرين خلال الهجرة يواجهون ظروفاً وأنماط حياة جديدة لا عهد لهم بها من قبل.

بعد أن رأينا الحياة القائمة في تركيا وجدنا أن ثقافتنا كانت أفضل. إذ كانت روابط القربى وعلاقاتنا مع جيراننا أقوى وأمتن. أما هنا فلا زيارات بين الناس إلا نادراً. فلا تعرف حتى جارك المقابل لمنزلك. ولكن يمكنني القول: إن تركيا أفضل في بعض الأمور (محمد، عبد العزيز، عثمان).

عندما تسأل أي سوري فإنه يحدثك عن أن تركيا أكثر نظافة، وأنهم يولون أهمية كبيرة للنظافة. ومع ذلك فإن موقفنا هذا من النظافة ليس نابعاً من الدين، بل من ثقافتنا. وكذلك الأمر عندكم؛ فالموقف صادر عن الثقافة. لأنه حتى غير المتدينين لديكم يهتمون كثيراً بالنظافة (ياسمين، نهال).

لا ينجب الأتراك الكثير من الأبناء. ويقول السوريون أيضاً: «لم ننجب الكثير من الأطفال؟ الأتراك محقون إذ لا يكثرون من الإنجاب». ينقل هذا الكلام بشكل خاص عمن يعانون من ضيق مالي. ولكن يقول الذين يتمتعون بوضع مالي واقتصادي جيد ولديهم أبناء قليلون: ليت لدينا أبناء كثيرين (عثمان).

لقد تغير تصورنا عن تركيا. فقد كنا نعتقد أنهم يتمتعون بظروف معيشية أحسن وأفضل. نعم، هناك نوع من الارتياح المالي/ الاقتصادي لدى الشعب في تركيا، إلا أننا أدركنا أن ظروف الحياة أكثر صعوبة ومشقة (عبد العزيز، محمد)

كنا نعرف تركيا من خلال المسلسلات التلفزيونية التركية. ولكن لما جئنا إلى هنا أدركنا أن الأمر ليس كما تصورناه، إذ عرفنا أن تركيا متجهة نحو الأفضل من حيث الإسلام (محمد، عبد العزيز).

عندما يلتقي الإنسان بمجتمعات مختلفة عنه، ويبدأ بالعيش ضمن بيئة وظروف اجتماعية جديدة، فإنه سوف يقوم بإجراء مقارنة بين أنماط حياته وبين الثقافة الجديدة. وعندما يقوم بإعادة تقييم ومراجعة لثقافاته فسيجد جوانب إيجابية وأخرى سلبية. وسوف يجد في الثقافة الجديدة التي واجهها جملة من التقييمات التي يمكن وصفها بالإيجابية. وهذا الأمر قد يفتح الباب أمام حدوث تغييرات لديه. وبذلك فإن الهجرة تبدو كظاهرة تفتح الطريق أمام التغيير الاجتماعي بأبعاد كثيرة، وتجعل تغير الفرد والمجتمع أمراً حتمياً لا مفر منه. ويمكن ملاحظة هذا التفاعل/ التأثر والتغير بين المهاجرين السوريين والمجتمع التركي أيضاً.

(٥٨) أوكوموش، "تفاعل الدين والثقافة في سياق المجتمع"، ص، ٢٧٤.

النتيجة:

إن الربيع العربي الذي بدأ في العام ٢٠١١ فتح الطريق أمام حدوث تطورات وتغيرات اجتماعية وسياسية في الكثير من دول منطقة الشرق الأوسط. وصارت سوريا التي تُعد إحدى هذه الدول أكثر دولة متأثرة بهذه التطورات. فقد دفع الرد المسلح لنظام البعث الذي يترأسه الأسد على مطالب الشعب بإجراء الإصلاحات، دفع البلاد إلى حرب همجية بربرية. ونتيجة لهذه الحرب الهوجاء اضطر الملايين من السوريين إلى ترك بيوتهم ووطنهم واللجوء إلى الدول المجاورة. واحتلت تركيا المرتبة الأولى من بين الدول التي اختارها المهاجرون السوريون وجهة لرحلة لجوئهم.

لقد أثر الموقف الإيجابي الذي اتخذته الحكومة القائمة في تركيا تجاه النازحين السوريين، والترحاب الحار الذي أبداه الشعب في تركيا لاستقبال اللاجئين والاهتمام بهم، ومد يد العون لهم، أثر على قرارات المهاجرين السوريين. ويمكن ملاحظة ظهور تلاحم منسجم ومتناغم بين اللاجئين السوريين والشعب التركي، إذ أصبحوا بعد الهجرة في حالة من العيش المشترك. ومما لاريب فيه أن الدين الإسلامي الذي يُعد عقيدة مشتركة بين المجتمعين قد لعب في هذه العملية دوراً مهماً. وقد ظهر الدين الإسلامي للمجتمعين معاً كمرجع مهم للعيش سوية، ولتجاوز المشكلات التي تستجد بالتشارك مع بعضهم بعضاً. وكذلك فإن ما سهل عملية الانسجام والاندماج بين المجتمعين هو القيم والماضي المشترك والتشابهات الثقافية. وإن التزام المجتمعين خلال عملية التكيف والاندماج بالمبادئ والقواعد القانونية السائدة في المجتمع جعل التعايش المشترك أمراً ممكناً وميسراً.

وإلى جانب ذلك يتبين مما سبق أن اللاجئين السوريين تعرضوا في تركيا لمشكلة اللغة من ناحية التواصل، وتعرضوا كذلك لصعوبات من حيث شروط وظروف العمل. وبالإضافة إلى ذلك يلاحظ أن للمهاجرين احتياجات عدة مثل: التعليم وغيره. وهم عرضة لجملة من المشكلات المرتبطة بذلك. وإن هذه المشكلات تستوجب حلولاً ومقاربات صائبة ومسؤولة.

يلاحظ أن هناك تماثلاً وتفاعلاً قد ظهر بين المهاجرين والسكان المحليين مترافقاً مع عملية الهجرة. ويتبين أن المهاجرين السوريين في سعيهم إلى تحقيق انسجام وتكيف مع المجتمع التركي حققوا تكيفاً مع ثقافة الأتراك أيضاً. ويلاحظ في هذا الإطار حدوث تغيرات في أنماط حياة اللاجئين. ولكن يظهر أن التفاعل لم يكن ذا اتجاه واحد، وإنما كان متبادلاً. وفي هذا السياق فإن فهم كل مجتمع من المجتمعين للدين وتطبيقه قد أثر على الطرف الآخر بشكل متبادل أيضاً.

عند التأمل في تصريحات المهاجرين السوريين بشأن المواقف والتصرفات الدينية وتقييمها يتبين أن للشكلية والجانب الظاهري المرئي أهمية لدى اللاجئين السوريين في فهم الدين ووعيه. حيث يُفهم أن اللباس

والمظهر الخارجي وعادة الحجاب قد اكتسبت هوية وتحولت إلى ضغط اجتماعي، إلا أن البعد الأخلاقي للدين قد تخلف عن الأهمية المعطاة لهذه الشكلية. وبالمقابل يتبين أن الأولوية في تركيا بدرجة كبيرة للنية، ونظافة/ طهارة القلب، والأخلاق. ويلاحظ أن هناك فروقات واختلافات في مسألة العبادات بتأثير الثقافة، وذلك سواء على صعيد الفهم أم من الناحية الشكلية.

والمحصلة: إن للدين مستويات وأنماطاً ومظاهر مختلفة حسب المجتمعات. وينطبق هذا الأمر على الإسلام أيضاً. إن الأخذ ببنية النص الذي يستند إليه الدين الإسلامي والذي يمكن تفسيره بشكل مختلف، والظروف الاجتماعية للدين الإسلامي بعين الاعتبار يتيح فهمه وتفسيره وتطبيقه بأنماط وأشكال مختلفة في حياة الفرد أو المجتمع. وتظهر هذه الحالة بشكل جلي في فهم الدين لدى اللاجئين السوريين والشعب التركي، وعند مقارنة الحياة الدينية القائمة في سوريا مع الحياة الدينية الموجودة في تركيا.

الملحق ١: معلومات الذين أجريت معهم المقابلة:

الاسم	الجنس	الجنسية	العمر	المستوى التعليمي	المهنة في سوريا	المهنة في تركيا
عبد العزيز	ذكر	سوري	٣٥	إجازة/ شريعة	معلم	مدرس
أحمد	ذكر	سوري	٤٣	إجازة	تجارة	تجارة/ مدير جمعية
بهزام	ذكر	سوري	٢٧	المرحلة المتوسطة	عامل	عامل
فاطمة	أنثى	سورية	٢٢	-	طالبة/ شريعة	-
فهمي*	ذكر	تركي	٣٣	إجازة/ شريعة	طالب	مدرس
إبراهيم*	ذكر	تركي	٢٨	إجازة/ شريعة	طالب	عضو جمعية إغاثية/ باحث
محمد	ذكر	سوري	٤٥	إجازة لغة عربية	معلم	مدرس
نهال	أنثى	سورية	؟	إجازة	معلمة	مدرسة
عثمان	ذكر	سوري	٤١	إجازة/ شريعة	معلم	تجارة/ مدير جمعية
أسماء	أنثى	سورية	٢٢	-	طالبة/ شريعة	-
ياسمين	أنثى	سورية	٢١	-	طالبة/ شريعة	-
خالد	ذكر	سوري	٥٠	-	تاجر تجزئة	تاجر تجزئة

*- متزوج من سيدة سورية. سنوات إقامته في سوريا: ٢٠٠٢- ٢٠١١.

*- متزوج من سيدة سورية. سنوات إقامته في سوريا: ٢٠٠٧- ٢٠١٢. بعد عودته إلى تركيا عمل لسنتين في جمعية إغاثية كناشط ومهتم بشؤون السوريين.

الملحق ٢: أسئلة المقابلة:

أ. دور في الاندماج الاجتماعي:

- كيف تعرف عن نفسك؟
- هل تشعر أنك منبوذ ومهمش في تركيا؟ ولماذا؟
- لماذا ترى أن على الأتراك مساعدتكم، وتقبلكم؟

ب. التباينات والفروق الثقافية والدينية:

- ما هي العناصر الثقافية المختلفة/ المشتركة بين الشعب التركي والشعب السوري؟
- هل هناك فوارق واختلافات متعلقة بالحياة الدينية لاحظتموها، وصادفتموها بينكم وبين الأتراك؟ وما هي؟
- هل تسببت تصرفاتكم وأفكاركم الدينية الناتجة عن الفروقات والاختلافات الثقافية بإثارة الاعتراض من قبل الأتراك؟
- هل هناك أمور تأثرتم فيها بالأتراك فيما يتعلق بالحياة الدينية؟ وهل هناك أمور تعتقد أنها تأثيرات من السوريين على الأتراك في الحياة الدينية؟

ج. الهجرة والدين:

- هل تغير فهم الدين والتدين لديك أو لدى أحد من الوسط القريب منك بعد المجيء إلى تركيا سواء بشكل إيجابي أم سلبي؟

هل قمت بعملية مراجعة ومحاكمة لثقافتك وحياتك الدينية بعد أن رأيت الحياة الدينية في تركيا؟

المراجع:

- AKDOĞAN, Ali, "Kültür ve Din", içinde: Din Sosyolojisi El Kitabı, editörler: Niyazi Akyüz, İhsan Çapcıoğlu, Grafiker Yayınları, Ankara 2012, s. 437-451.
- AKGÜN, Birol, Suriye Krizi'nde Bölgesel ve Küresel Aktörler (Perspektifler, Sorunlar ve Çözüm Önerileri), Sosyolojik Düşünce Enstitüsü Analiz, Haziran 2012.
- APAK, Hıdır, Suriyeli Göçmenlerin Uyumu ve Gelecek Beklentileri: Mardin Örneği, (Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi), Mardin Artuklu Üniversitesi, SBE, Mardin 2014.
- ARSLANLIOĞLU, İbrahim, Genel Sosyoloji, Gazi Kitabevi, Ankara 2012.
- ATASOY, Ahmet, Hasan Demir, "Suriyeli Sığınmacıların Kırıkhan'a (Hatay) Etkileri", Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, cilt: 8, sayı: 38, Haziran 2015, s. 457-470.
- AYDIN, Mustafa, Sistematik Din Sosyolojisi, Açılımkitap Pınar Yayınları, İstanbul 2014.
- BAUMAN, Zygmunt, Sosyolojik Düşünmek, çev. Abdullah Yılmaz, Ayrıntı Yayınları, İstanbul 2013.
- BİLGİN, Vejdi, "Din ve Kültür", içinde: Din Sosyolojisi, editör: Mehmet Bayyiğit, Palet Yayınları, Konya 2013, s. 107-130.
- BOURDİEU, P., Wacquant, L., Düşünümsel Bir Antropoloji İçin Cevaplar, çev. Nazlı Ökten, İletişim

Yayınları, İstanbul 2003.

- ÇELİK, Celaleddin, "Göç, Kentleşme ve Din", içinde: Din Sosyolojisi El Kitabı, editörler: Niyazi Akyüz, İhsan Çapcıoğlu, Grafiker Yayınları, Ankara 2012, s. 297-306.
- ERDOĞAN, Murat, Türkiye'deki Suriyeliler: Toplumsal Kabul ve Uyum, Hacettepe Üniversitesi Göç ve Siyaset Araştırmaları Merkezi, Ankara 2014.
- FİCHTER, Joseph (2004), Sosyoloji Nedir?, çev. Nilgün Çelebi, Anı Yayıncılık, Ankara 2004.
- GÜÇER, Mehmet, Sema Karaca, O. Bahadır Dinçer, Sınırlar Arasında Yaşam Savaşı: Suriyeli Mülteciler, USAK Sosyal Araştırmalar Merkezi, Mayıs 2013.
- GÜNAY, Ünver, Erzurum Kenti ve Çevresinde Dini Hayat, Erzurum Kitaplığı, Erzurum 1999.
- GÜVENÇ, Bozkurt, İnsan ve Kültür, Remzi Kitabevi, Ankara 2005.
- KARASU, Mithat Arman, "Şanlıurfa'da Yaşayan Suriyeli Sığınmacıların Kentle Uyum Sorunu", Süleyman Demirel Üniversitesi İktisadi ve İdari Bilimler Fakültesi Dergisi, yıl: 2016, cilt: 21, s. 995-1012.
- KAYA, Mahmut, "Komşuda Misafirlik: Suriyeli Sığınmacılarca Kurulmuş Mülteci Derneklerinin Perspektifinden Türkiye'de Yaşamak", The Journal of Academic Social Science Studies, Autumn III, 2015, s. 263-279.
- KİRMAN, M. Ali, Din ve Sekülerleşme (Üniversite Gençliği Üzerine Sosyolojik Bir Araştırma), Karahan Kitapevi, Adana 2005.
- KORKMAZ, Arif, "Göç ve Din", içinde: Din Sosyolojisi, editör: Mehmet Bayyiğit, Palet Yayınları, Konya 2013, s. 337-390.
- KURT, Abdurrahman, "Dindarlığı Etkileyen Faktörler", Uludağ Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, cilt: 18, sayı: 2, 2009, s. 1-26.
- MARDİN, Şerif, Din ve İdeoloji, İletişim Yayınları, İstanbul 2004.
- MARSHALL, Gordon Sosyoloji Sözlüğü, çev. Osman Akınhay-Derya Kömürcü, Bilim ve Sanat Yayınları, Ankara 1999.
- OĞUZ, Hatice Şule, "Kültürlerarası Karşılaşmaların Uzak İhtimali: Sığınmacılık Deneyiminde Gaziantep Örneği", Tesam Akademi Dergisi – Turkish Journal of TESAM Academy Temmuz - July 2015, 2 (2). s. 127-165.
- OKUMUŞ, Ejder, "Toplum Bağlamında Din-Kültür Etkileşimi", Turkısh Studıes -International Periodical for the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic-, ISSN: 1308-2140, Volume 11/7 Spring, Ankara 2016, s. 269-292.
- PLÜSS, Caroline, "Göç ve Küreselleşen Din", çev. İlkay Şahin, içinde: Din Sosyolojisi (Yaşadığımız Dünya), der. Peter B Clarke, İmge Kitabevi, Ankara 2012, s. 295-316.
- PORTES, Alejandro (1995), "Economic Sociology and The Sociology of Immigration: A Conceptual Overview", In the Economic Sociology of Immigration: Essays on Networks, Ethnicity and Entrepreneurship, edited by Alejandro Portes, Russel Sage Foundation, New York, 1-41.
- SANDIKLI, Atilla, Ali Semin (Hazırlayanlar), Bütün Boyutlarıyla Suriye Krizi ve Türkiye (Bilge Adamlar Kurulu Raporu), Bilgesam Yayınları, İstanbul 2012.
- TURHAN, Mümtaz, Kültür Değişmeleri (Sosyal Psikoloji Bakımından Bir Tetkik), Çamlıca Yayınları, İstanbul 2002.
- TÜRKKAHRAMAN, Mimar, Hüseyin Tutar, "Sosyal Değişme, Bütünleşme ve Çözülme Bağlamında Toplumda Farklı Kültür ve Anlayışların Yeri ve Önemi", Uluslararası Alanya İşletme Fakültesi Dergisi, cilt: 1, sayı: 1, 2009, s. 1-16.
- WACH, Joachim (1995), Din Sosyolojisi, çev. Ünver Günay, Marmara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

Yayınları, İstanbul.

- WAGGONER, Watt, "Kültür ve Din", çev. Mustafa Arslan, içinde: Din Sosyolojisi Kuram ve Yöntem, der. Peter B. Clarke, Ankara 2012, s. 339-361.
- WEBER, Max, Din Sosyolojisi, çev. Latif Boyacı, Yarın Yayınları, İstanbul 2012.
- WEBER, Max, Protestan Ahlakı ve Kapitalizmin Ruhu, çev. Zeynep Gürata, Ayraç Yayınları, Ankara 2005.
- YALÇIN, Cemal, Göç Sosyolojisi, Anı Yayıncılık, Ankara 2004.
- YANG, Fenggang, Helen Rose Ebaugh, "Yeni Göçmen Dinlerindeki Değişimler ve Küresel Etkileri", çev. İhsan Çapcıoğlu içinde: Din Sosyolojisi (Klasik Ve Çağdaş Yaklaşımlar), editör: Bünyamin Solmaz, İhsan Çapcıoğlu, Çizgi Kitabevi, Konya 2009, s. 125-156.

نظام اللجوء مقارنة بالحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية *

د. حسين بيضا

جامعة كيليس – كلية الإلـهيات: huseyinbaysa@kilis.edu.tr

ترجمة: د. عدنان آلكول

الخلاصة:

لقد تناول هذا البحث – الذي كُتِب لأجل تحديد وضع اللاجئين تحت رعاية الشريعة الإسلامية – دراسةَ نظام اللجوء مقارناً بأنظمة الحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية. نظام حماية اللاجئين – الذي أنشئ نتيجة الهجرات الجماعية الناجمة عن الحروب التي وقعت منذ بداية القرن العشرين – يشبه إلى حد كبير أحد أنظمة اللجوء السياسي الموجودة في الشريعة الإسلامية وهو نظام الأمان والهجرة. وبالأخص كون وضع اللاجئين – الذي يشابه عقد الأمان من حيث الحقوق التي يقتضيها القانون والإقامة الموقتة – مختلفاً عنه تماماً من حيث دافع اللجوء والتشرد وضرورة تغيير البلد. أما مشابهة اللجوء للهجرة فهو في أن وجود طلب اللجوء في كليهما قائم على أساس القمع والظلم والاضطهاد الذي يتعرض له كلٌ من المهاجرين واللاجئين. ومع ذلك فإن الهجرة الإسلامية تحتفظ للمهاجر بحق المواطنة مباشرةً حال وصوله في حالة كون الانتماء الديني للمهاجرين وبلدان اللجوء هو الإسلام، في حين لا تعطى – في حالة اللجوء – فرصةٌ كهذه للاجئين.

الكلمات المفتاحية: اللاجئ، الأمان، المهاجر، أنظمة الحماية

İslâm Hukukundaki Himaye Geleneği Müvâcehesinde Mültecilik Sistemi

ÖZET

Mülteci statüsünün İslâm himaye hukukundaki yerini tespit etmek amacıyla hazırlanan bu bildiri çalışmasında mültecilik, İslâm hukukundaki klasik koruma sistemleri ile karşılaştırmalı olarak incelenmiştir. 20. yüzyılın başlarından itibaren meydana gelen savaşların yol açtığı kitlesel göçler sonucunda ihdas edilmiş bir koruma sistemi olan mültecilik, İslâm hukukundaki himaye sistemleri arasında daha çok, emân ve muhacirliğe benzemektedir. Özellikle, gerektirdiği haklar ve geçici ikamet açısından emâna benzeyen mülteci statüsü, sığınma saiki ve yer değiştirmenin gerekliliği bakımından emândan farklılık arz etmektedir. Mülteciliğin

* لقد قدم هذا النص في المؤتمر الدولي الثاني حول الشرق الأوسط في ندوة «قضايا الهجرة في سياق الصراع في الشرق الأوسط» (كيليس ٢٠١٦).
وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "İslâm Hukukundaki Himaye Geleneği Müvâcehesinde Mültecilik Sistemi" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (حسين بيضا، نظام اللجوء مقارنة بالحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ٣٧-٤٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

muhacirliğe benzeyen yönü ise her ikisinde de baskı veya zulüm gerekçesiyle sığınma talebinin söz konusu olmasıdır. Ancak muhacirlik, sığınan kişi ile sığınılan ülkenin dinî âidiyetinin İslâm olması durumunda vatandaşlık hakkını tanırken, mültecilik statüsü sığınana böyle bir imkân vermemektedir.

Anahtar Kelimeler: Mültecilik, Emân, Muhacirlik, Koruma Sistemleri

The Refugee System in Comparison Political Asylum Tradition in Islamic Law

Abstract

In this paper, which aims to determine the status of refugees in terms of Islamic political asylum law, the term 'refugee' has been emphasized by comparing it with the classical protection systems of Islamic law. The refugee status has been introduced as a protection system after the massive migration caused by wars that have been occurred since the beginning of the 20th Century, similar to Emania and the Muhajir in terms of those political asylum systems that exist in Islamic law. The refugee status, similar to Emania, especially in terms of the laws required and temporary rights, is different from Emania in terms of reasons for asylum and requirements related to relocation. The similarity of refugee to Muhajir is that in both of them there is a demand for asylum due to repression or persecution. However, Muhajir provides the right of citizenship on the condition that the religious affiliation of the asylum seeker and the asylum country are Islamic.

Keywords: Refugee, Emania, Muhajir, Protection Systems

المدخل:

لقد تخلى الناس على مر التاريخ عن أماكنهم بسبب الحروب والقمع والكوارث الطبيعية وأمثالها، وهاجروا إلى مناطق أكثر أمناً. ولأجل أن يقيموا في تلك المناطق التي وصلوا إليها ويستمروا في عيشهم هناك في أمنٍ وسلامٍ احتاجوا إلى حماية السلطات والأفراد ذوي التأثير ورعايتهم. ومع هذه الاحتياجات إلى اللجوء تشكلت بمرور الزمن ثقافةُ الحماية وقوانينُها. ومن ثمّ ظهرت – خلال هذه العملية – وضعية اللجوء التي هي نظام الحماية الدولي.

وقد تم تحديد الإطار الرئيس لوضع اللاجئين عام ١٩٤٧م من قبل المنظمة الدولية للاجئين التابعة للأمم المتحدة. ونظراً لحاجة الأمم المتحدة لأنظمة قانونية جديدة لشؤون اللاجئين؛ فقد وقعت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥١م في جنيف «الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين» تحقيقاً لهذا الغرض. ولقد اعتمد في هذا العقد على تعريف اللاجئ المقبول من قِبَل المنظمة الدولية للاجئين [١]. وهذه الأنظمة القانونية الدولية

(١) Özcan, Mehmet, Avrupa Birliği Sığınma Hukuku-Ortak Bir Sığınma Hukukunun Ortaya Çıkışı, Uluslararası Stratejik Araştırmalar Kurumu (USAK) Yay., Ankara 2005: 8.

المعروفة أيضاً باسم «اتفاقية جنيف ١٩٥١م» صارت مصدراً في الفترات اللاحقة للاتفاقات الإقليمية والدولية المتعلقة باللاجئين [٢].[٣]

نظام اللاجئين – الذي تم تحديد البنية الأساسية منه بالاتفاقات الحكومية الدولية – يشبه في بعض جوانبه مؤسسات الحماية التقليدية الموجودة في الشريعة الإسلامية. ومع ذلك فإن آلية الحماية هذه تختلف في الأساس عن غيرها من المؤسسات. ففي هذه الدراسة – التي تهدف إلى تحديد السمات المشتركة والمختلفة بين نظام اللاجئين وبين مؤسسات الحماية الموجودة في الشريعة الإسلامية – ستدرس معلوماتٌ عامة عن مؤسسة اللاجئين وأنظمة الحماية التقليدية أولاً. ثم ستتم مقارنة نظام اللاجئين بمؤسسات الحماية المعروفة في الشريعة الإسلامية في إطار السمات الأساسية.

الهيكل العام لنظام اللاجئين:

كلمة «الملتجئ» مشتقة من فعل «لَجَأَ»، يقال: لجأ إلى الشيء والمكان، يلجأ لَجْأً ولجوءاً وملجأً، وكذا يقال: لجأتُ إلى فلانٍ وعنه، والتجأتُ، إذا استندتَ إليه واعتضدتَ به أو عدلتَ عنه إلى غيره، وألجأه إلى الشيء أي اضطره إليه [٤]. وعُرِّفتْ في اللغة بمعنى اللاجئ [٥]. وتُستخدم كلمة «اللاجئ» في العربية بدلاً من كلمة «الملتجئ» للتعبير عن نفس المفهوم [٦]. ومن المتوقع أن يكون سبب استخدام كلمة «الملتجئ – Mülteci» – التي لا يستعملها العرب في يومنا – في اللغة التركية هو انتقال هذه الكلمة من العثمانية إلى التركية [٧].

يُعرَّف اللاجئ في القانون الدولي كالآتي: «اللاجئون هم الأشخاص الذين تعرضوا في موطنهم الأصلي أو البلد الذي كانوا يعيشون فيه في الفترة السابقة لمخاطر جدية، أو عانوا من الخوف الشديد لأسباب معينة،

(٢) Özcan, 2005:1; Acer, Yücel, İbrahim Kaya, Mahir Gümüş, *Küresel ve Bölgesel Perspektiften Türkiye'nin İltica Stratejisi*, Uluslararası Stratejik Araştırmalar Kurumu (USAK) Yay., Ankara 2010: 46; Ergüven ve Özturanlı, 2013:1016.

(٣) لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة عند تحليل البيانات بشأن وضع اللاجئ على "اتفاقية جنيف ١٩٥١" وقانون "الأجانب وقانون الحماية الدولية رقم ٦٤٥٨" والأخير أعد في تركيا وفقاً لمحتويات اتفاقية جنيف ١٩٥١.

(٤) ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١ ص ١٥٢.

(٥) Türk Dil Kurumu, 2016, "Mülteci", http://www.tdk.gov.tr/index.php?option=com_gts&arama=gts&guid=TDK.GTS.571e713dd881c1.57441213 (25.04.2016).

(٦) فارس علي مصطفى، اللجوء السياسي بين عقد الأمان في الفقه الإسلامي الدولي العام، مجلة البحوث الإسلامية والاجتماعية المتقدمة، ٢٠١٢، ج ٢، ص ٣١٥؛ السعوي: عبد العزيز بن محمد، حقوق اللاجئين بين الشريعة والقانون، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا- قسم السياسة الجنائية، ماجستير، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ٥٥.

(٧) Durmaz, Osman, *İslâm'da Mülteciler Hukuku*, Yüksek Lisans Tezi, Çanakkale Onsekiz Mart Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Çanakkale 2014: 13.

بسبب العِرْق أو الدين أو الجنسية أو الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة أو الرأي السياسي» [٨]. ووفقاً لمحتويات هذا التعريف فقد جاء في بعض الاتفاقات الإقليمية بشأن اللاجئين: «اللاجئ هو الشخص الأجنبي الموجود خارج البلد الذي ينتمي إلى جنسيته، ولا يستطيع الاستفادة من الحماية التي يؤمنها هذا البلد لأسبابٍ مُحِقَّة تتعلق بخوفه من تعرضه للظلم بسبب عِرْقه ودينه وانتمائه وانتسابه إلى مجموعة اجتماعية معينة أو بسبب أفكاره السياسية، أو لا يرغب في الاستفادة من هذه الحماية بسبب هذا الخوف، وكذلك الشخص عديم الجنسية الذي يوجد خارج البلد الذي كان يعيش فيه سابقاً، نتيجة أحداث مماثلة، ولا يمكنه العودة إلى هناك أو لا يرغب بالعودة بسبب هذا الخوف» [٩].

نظام اللجوء يعطي الفرصة للحصول على الحقوق الإنسانية الأساسية للاجئين، كما أنه يمنحهم حقوقاً ومزايا وحريات كانوا مستحقين لها فعلاً، ومعاملتهم بشكل أفضل مثل مواطني الدولة المضيفة. وحتى إذا لم تكن استفادة اللاجئ من الحقوق الممنوحة للمواطنين ممكنة فنظام اللجوء يمكّن من تنفيذ قانون الأجانب على أقل تقدير [١٠].

لقد اشترط القانون الدولي عدداً من الشروط لأجل الحصول على وضع لاجئ. ويمكننا أن نلخصها في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: أن يكون اللاجئ قد تعرض في الواقع للظلم والقمع أو عاش هذا الخوف. ومن أجل التأهل للحصول على وضع لاجئ – كما ورد في تعريف كلمة اللاجئ – فيجب أن يكون الخوف من الاضطهاد بسبب العرق أو الدين أو الرأي السياسي أو الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة، أو يجب أن يكون بسبب الفوضى الناجمة عن الصراعات الداخلية في البلاد؛ لأنه لا يُعَدُّ الخوف بسبب الجرائم التافهة من الأسباب المقبولة للحصول على اللجوء [١١].

النقطة الثانية للاستفادة من حماية اللاجئين: أن يكون خارج حدود بلد جنسيته، ولا يستطيع أن يعود إلى ذلك البلد، أو لا يرغب في العودة إليه بسبب الخوف من الظلم والقمع [١٢]. وعلى الرغم من وجود مشكلات أمنية في منطقة ما من بلد الجنسية أو بلد الإقامة فإن فرصة الاستفادة من حماية الدولة في منطقة أخرى من البلاد

(٨) المادة ١ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.

(٩) المادة- ٦١ من قانون الأجانب والحماية الدولية التركي.

(١٠) المادة ٧ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١؛ Acer vd., 2010:52.

(١١) المادة ١ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.

(١٢) المادة ١ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.

تعدّ عائقاً أمام حق اللجوء [١٣]. وبطريقة مماثلة فإن تغيير الإقامة داخل بلد الجنسية أو بلد الإقامة – لأسبابٍ تتعلق بالسلامة – لا يُقبل كحالةٍ تتطلب وضعَ لاجئ [١٤]. وكذا ذُكِر أنه لا يمكن أن يستفيد من حق الحماية الدولية مَنْ دخل تحت رعاية بلد ثالث آمنٍ [١٥].

النقطة الثالثة التي اشترطت لقبول اللاجئين: ألا يكون قد ارتكب الشخص أفعالاً مضادة لأهداف الأمم المتحدة ومبادئها، أو جريمةً ضد السلام، أو جريمةَ حربٍ، أو جريمةً ضدَّ الإنسانية، بالمعنى المستخدم لهذه الجرائم في الوثائق الدولية [١٦].

أنظمة الحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية:

لقد وضعت الشريعة الإسلامية أنظمةً ومؤسساتٍ لحماية المجتمع أو الأشخاص الذين يطلبون الحماية وحفظ مُهَجِهم. ويمكننا تصنيف هذه المؤسسات – ذات الخصائص المختلفة من حيث الفرص التي تتيحها – إلى: الأمان والذمة والهجرة.

الأمان:

كلمة «الأمان» مشتقة من «الأمن». والأمان لغة: ضد الخوف. يقال: أَمِنَ فلانٌ يَأْمن أَمْناً وأماناً، فهو أَمِنٌ [١٧]. واصطلاحاً: هو عبارة عن تأمين الكافر [١٨] – الذي يريد دخول دار الإسلام أو الاستسلام لجيش المسلمين – على ماله ودمه مدة محدودة أو بالعكس [١٩]. ويطلق «المُسْتأمِن» على الذي يطلب الأمان،

(١٣) المادة– ٧٨ من قانون الأجانب والحماية الدولية التركي.

(١٤) إن اتفاقية جنيف ١٩٥١ والبروتوكول الخاص بوضع اللاجئين ١٩٦٧ لا يمنحان حق اللجوء للنازحين داخل البلاد، ولو كانت كافة الشروط المطلوبة متوفرة. وحالياً فإن الوثيقة الدولية الوحيدة التي تعطي وضع لاجئ للنازحين داخل البلاد هي اتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية بتاريخ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٩، والتي تهدف للحفاظ على الأشخاص المهجرين داخل بلادهم (Ergüven ve Özturanlı, 2013:1022).

(١٥) المادة– ٧٤ من قانون الأجانب والحماية الدولية التركي.

(١٦) المادة ١ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.

(١٧) ابن منظور، لسان العرب، ١٤١٤ ه، ٨/ ٢١، لموسوعة الفقهية الكويتية، م ٢٠٠٧، ٧/ ١٠٥ ,Bozkurt, Nebi, "Eman" Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi 1995 m, 11/75.

(١٨) لقد أَمَّن الرسول –عليه الصلاة والسلام– خلال فتح مكة المكرمة كفارَ قريش على دمائهم وأموالهم، ممن وقف بمعزل عن القتال. وعُبِّر عن هذا بالأمان. (الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار، دار الحديث، مصر، ١٩٩٣م، ج ٨، ص٢٩.

(١٩) الموصلي: عبد الله بن محمود بن مودود مجد الدين أبو الفضل، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧، ج ٤، ص ٣٥؛ ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢ م، ج ٤، ص ١٦٦؛ الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، ٢٠٠٧، ج ٤، ص ٢٣٣؛ Bozkurt, 1995: 11/75.

و«الـمُسْتأمَن» على الذي حصل على الأمان [٢٠]، و"الـمُؤَمِّن" على الذي يعطي الأمان. وتستخدم كلمة «الجوار» بدلاً من كلمة «الأمان»، إذ جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦] [٢١].

يتم تفعيل عقد الأمان – في الأساس – في حالتين اثنتين؛ على ما يبدو من التعريف. الأولى: دخول الكفار إلى بلاد المسلمين لأسباب تجارية ودبلوماسية وما شابهها، وكذا دخول المسلمين لنفس الأغراض إلى ديار الكفار. الثانية: استسلام الكفار – القاطنين في المناطق التي استولى عليها جيش المسلمين – للسلطة الإسلامية. ومع ذلك فإن كلمة الأمان حسب معناها اللغوي قد استخدمت في تطبيقات أخرى غير هاتين الحالتين. فعلى سبيل المثال، فإنه قد تم التعبير عن مسالمة المسلمين بعضهم بعضاً في حالة الصراع بكلمة الأمان [٢٢].

إن نظام الأمان يمنح الكافر حق الإقامة في بلاد المسلمين مدة محدودة، ويؤمِّنه على دمه وماله [٢٣]. لكن هناك آراء مختلفة حول مدة هذه الفترة. فأكثر مدة عقد الأمان – عند الحنفية والزيدية والإمامية وقول مروي عن الشافعية – هو عام [٢٤]. وذهب الحنفية والشافعية إلى جواز تجديد العقد – عند اللزوم – بعد انتهاء المدة، بشرط أن يعود المستأمَن إلى بلده. وقال المالكية: إن لم يتم تحديد المدة أثناء العقد فأقصاها أربعة أشهر [٢٥]. وفي يومنا هذا حلَّ مكان عقد الأمان جوازُ السفر والتأشيرة وتصريح الإقامة، وكل ذلك تحت سيطرة الدولة بالكامل [٢٦].

الذمة:

الذمة لغةً: العهد والأمان والضمان والحرمة. وسمي أهل الذمة ذمةً لدخولهم في عهد المسلمين

(٢٠) الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، ٢٠٠٧، ج ٧، ص ١٠٥؛ Bozkurt, 1995:11/75.

(٢١) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين، مفاتح الغيب – التفسير الكبير – دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ه، ج ١٥، ص ٥٣١؛ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج ٨، ص ٧٥.

(٢٢) زيدان: عبد الكريم، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٥٢؛ Bozkurt, 1995: 11/76.

(٢٣) ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩ م، "الديات:٣١"؛ زيدان: ٤٦؛ الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ٧، ص ١٠٦.

(٢٤) ابن قدامة: أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨م، ج ٩، ص ٢٤٤؛ الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م، ج ٥، ص ٥٣؛ الموصلي: ج ٣، ص ١٣٦؛ الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ٧، ص ١٢٥.

(٢٥) Zuhaylî, Vehbe, "Eman-İslâm Hukuku-", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 1995:11/81.

(٢٦) Zuhaylî, 1995 11/81.

وأمانهم[٢٧]. ويُمكن أن يُقال: إنَّ الذِّمَّة لغة تدور حول معنى: التِزام المرء بحفْظ شيءٍ ما يُذمّ المرء بتضْييعه، فسُمّيت باسم الأثَر المترتِّب على التَّفريط في الحِفْظ والالتزام، أو سمّيت بالحالة التي ينبغي أن يكون عليْها المرء من الضَّمان والكفالة وتعاهُد ما وُكِّل إليه [٢٨]. واصطلاحاً: الوصف الذي يصير به الإنسان أهلاً لوجوب الحقوق له، ولزوم الواجبات عليه. وبعبارة أخرى هي الصفة الفطرية الإنسانية التي بها ثبت على الإنسان حقوق وواجبات لغيره. وأهل الذمة: هم رعايا الدّولة الإسلامية من غير المُسلمين، والذين تعاقدوا مع المسلمين على إعطاء الجزية والالتزام بشروطٍ معيّنة، في مقابل بقائهم على دينهم وتوفير الأمن والحماية لهم [٢٩]. ويسمى كل من تعاقد مع المسلمين على إعطاء الجزية «ذمياً» أو «أهل الذمة» [٣٠]. والآية الآتية هي دليل مشروعية عقد الذمة وتُعْرَف في نفس الوقت بآية الجزية: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩]. وبعد ما نزلت هذه الآية بدأ أهل الكتاب من اليهود والنصارى يحصلون بمقتضى عقد الذمة على ما للمسلمين من حقوق وواجبات، ويتمتعون بحرية العقيدة، ويأمنون على دمائهم وأموالهم [٣١]. وكذا يتم إعطاء جميع الحقوق التي يتمتع بها المسلمون – بما فيها حق المواطنة والجنسية الإسلامية والمساواة في الحقوق والواجبات بين المسلم والذمي – إلا المهام ذات الصلة بالعقيدة الإسلامية، أو بالسلامة العامة، فإنهم لا يتمتعون بها [٣٢].

لقد عُقدت سابقاً معاهدةُ الذمة كثيراً مع غير المسلمين الذين كانوا يعيشون في البلاد التي فُتحت من قِبل المسلمين، أو المناطق التي سيطر عليها المسلمون نتيجةَ الحرب مع الكفار [٣٣]. وكذا مُنِح حقُ الاستفادة من معاهدة الذمة للذين دخلوا إلى دار الإسلام بمقتضى عقد الأمان، أو بوجود قرائن دالة على رضا الأجنبي وموافقته على الدخول في الذمة، وعلى صيرورته من أتباع الدولة الإسلامية. على سبيل المثال إذا مضى على إقامة المستأمن في دار الإسلام سنةٌ أو تزوجتْ حربيةٌ من ذميٍ يصيران ذميين [٣٤].

(٢٧) ابن منظور: ج ١٢، ص ٢٢١؛ الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ٧، ص ١٢٠.

(٢٨) Fayda, Mustafa, "Zimmî", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 2013: 44/428.

(٢٩) وقد عُبِّرَ في المصادر في العهد العثماني عن بعض معاملات الذمة بالأمان، وتسمى الوثائق التي يتم التوقيع عليها بـ "Emanname" كنسبة إلى الأمان. وهذه الوثائق كانت تضمن الحقوق الأساسية والحريات لغير المسلمين (İpşirli, 1995:11/77).

(٣٠) الكاساني: علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ج٧، ص ٧١؛ الموصلي: ج ٤، ص ١٣٦؛ زيدان: ٢٢-٤١.

(٣١) Fayda, 2013: 44/428.

(٣٢) زيدان: ٦٤؛ Yaman, Ahmet, "Zimmî (Fıkıh), Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 2013: 44/435.

(٣٣) Fayda, 2013: 44/430.

(٣٤) الكاساني: ج ٧، ص ١١٠؛ الموصلي: ج ٤، ص ١٣٦؛ زيدان: ٣٢-٤؛ الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ٧، ص ١٢١.

ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه إذا طلب غير المسلم عقد الذمة فعلى الإمام إجابته، إلا أن الشافعية استثنوا مَن يُخشى ضررُه – كالجاسوس – فلا تُعْقَد له الذمة. ومذهب المالكية وجوب إجابة الطلب إذا تيقنت المصلحة، وتترجح الإجابة إذا ترجحت المصلحة، وتجوز الإجابة إذا استوى الأمران: المصلحة وعدمها (٣٥).

وهناك عدد من الأمثلة التاريخية حول إجابة الدولة الإسلامية طلبات غير المسلمين بشأن عقد الذمة وحمايتهم. منها التعامل مع الثوار المجريين والبولنديين الذين هُزِموا في الحرب من أجل تحرير المجر ضد النمسا عام ١٨٤٩م، ولجأوا إلى الدولة العثمانية؛ حيث أعلن السلطان عبد المجيد – السلطان العثماني آنذاك – أنه استضافهم وقبلهم كضيوفه الخاصين – فنال إعجاب جميع أوروبا – رغم الضغوط الصادرة من روسيا والنمسا(٣٦).

الهجرة:

الهجرة لغةً: الخروج من أرض إلى أرض، والـمُهاجِر مشتق منه (٣٧). واصطلاحاً: يستخدم في معنييه: العام والخاص. أما معناه الخاص، فيقصد به النبي ﷺ والذين تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله تعالى، وهاجروا إلى المدينة المنورة. وأما معناه العام، فيقصد به المسلمون الذين هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام(٣٨). وبناءً على هذا فإن وضع المهاجر يشير إلى الحقوق والصلاحيات الممنوحة للمهاجرين من قِبَل البلد المُهاجَرِ إليه.

ويمكن أن تتحقق الهجرة من ناحيتين: الأولى: الهجرة من بلد حيث فيه الاضطهادُ والقمعُ إلى بلد حيث فيه الأمنُ، كما هو الحال في الهجرة من مكة المكرمة إلى الحبشة. الثانية: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام(٣٩)، كما هو الحال في هجرة النبي ﷺ والمسلمين إلى المدينة المنورة (٤٠). فحينما كانت تُستخدم كلمة «الهجرة» في مصادر

(٣٥) ابن قدامة: ج ٩، ص ٢٤٤؛ زيدان: ص ٣٠؛ Özel, Ahmet, *İslâm Hukukunda Ülke Kavramı -Dârulislâm Dârulharb-*, İz Yay., İstanbul 1998:221; Karaman, Hayrettin, *Mukayeseli İslâm Hukuku*, İz Yay., İstanbul 1999: 3/238.

(٣٦) Nazır, Bayram, *Mülteciler Meselesi 1849-1851*, Doktora Tezi, Atatürk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Erzurum 1999:13, 353-4.

(٣٧) ابن منظور: ج ١٥، ص ٢٥٠.

(٣٨) Önkal, Ahmet, "Hicret", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 1998: 17/458.

(٣٩) والمقصود من الهجرة في حديث "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفرتم فانفِروا" [رواه الشيخان]، الهجرة إلى دار الإسلام.

(٤٠) Özel, 1998: 17/464.

القدماء كان المقصود منها هذا المعنى الثاني، أي: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام [٤١]. أما في مصادر المعاصرين فنرى أنهم يستخدمون كلمة «الهجرة» في المعنى الأول؛ أي الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، والفرار بالدين من الفتن إلى محل يأمن فيه من الآثام، أكثرَ من استعمالها في المعنى الثاني [٤٢].

ومن الممكن أن نرى في القرآن الكريم أمثلة لكلتَي الحالتين. كما ورد في آيات كثيرة ذكرُ المسلمين الذين هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة [٤٣]، فكذلك يذكر الأنبياء وأممهم الذين غادروا أوطانهم نتيجة الظلم والاضطهاد الذي تعرضوا له [٤٤].

وكنظام الحماية فإن وضع المهاجر يعطي حقَّ المواطنة للمسلمين الذين هاجروا إلى الدولة الإسلامية. ويستند هذا الحق على وصف المسلمين في النصوص – مثل الآيات في سورة الأنبياء: ٩٢، وسورة المؤمنين: ٥٢، وسورة البقرة: ١٤٣، وآل عمران: ١١٠ – بالأمة الواحدة. وإن كون الشخص مسلماً يجعله أهلاً للانتماء إلى الدولة الإسلامية والتبعية لها والارتباط بها قانوناً. فكل مسلم إذن يتمتع بجنسية دار الإسلام على أساس توافر الصفة الإسلامية فيه [٤٥]. وبناءً على هذا، فإن الانقسامات الإدارية ووجود دولٍ إسلامية مستقلة ليس عائقاً أمام استفادة المسلم من الجنسية الإسلامية [٤٦]. ووفقاً لهذا الفهم، أعطت الدولة السلجوقية والعثمانية الجنسيةَ للمهاجرين [٤٧]. ولكن اليوم الهياكل القانونية والسياسية في الدول الإسلامية تمنع تشغيل نظام المهاجر.

(٤١) القرطبي: ج ٤، ص ٣١٩؛ الرازي: ج ١٠، ص ١٧٠؛ الشربيني: ج ٦، ص ٥٤.

(٤٢) سلقيني: إبراهيم عبد الله، الهجرة وأحكامها، دار النوادر اللبنانية، بيروت، ٢٠١٤م، ص ٢٨.

(٤٣) لأنه يُقْصَد من كلمة «المهاجرين والمهاجرات» – في سورة النساء: ١٠٠، وسورة التوبة: ١٠٠–١١٧، وسورة النور:٢٢، وسورة الممتحنة: ١٠ – المسلمون الذين هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.(Önkal, 1998: 17/458) .

(٤٤) فمثلاً سيدنا إبراهيم – على نبينا وعليه السلام – بعدما ألقاه قومه في النار قال: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} [العنكبوت: ٢٦]، فهاجر أولاً إلى فليسطين، ثم إلى مصر، واستقر به المطاف في دار كنعان. وكذا قال المستكبرون من قوم شعيب عليه السلام له: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف: ٨٨] وأجبروه ومن معه من المؤمنين على الهجرة. وأيضا سيدنا موسى – عليه السلام – اضطر إلى مغادرة مصر مع بني إسرائيل بسبب أعمال فرعون القمعية وظلمه. [سورة يونس: ٩٠؛وسورة الشعراء: ٥٢] (Önkal, 1998: 17/458; Aldemir, Halil, *Kur'ân-ı Kerîm'e Göre İhtilâf*, Kitâbî Yay., İstanbul 2010:252).

(٤٥) وقد تبنت المادة ٢٣ من الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان هذا الرأي فقالت: «إن دار الإسلام واحدة. وإن الدولة الإسلامية وطن لكل مسلم. ولا يجوز منع تحركات المسلم داخل الدولة الإسلامية، ولا تقييده بالحواجز الجغرافية واللجوء السياسي. وعلى كل المدن الإسلامية أن تستقبل المسلمين المهاجرين أو الداخلين إليها مثل استقبال الأخ لأخيه الشقيق»." (Akgündüz, Ahmet, *İslâm'da İnsan Hakları Beyannâmesi*, Osmanlı Araştırmaları Vakfı (OSAV) Yay., İstanbul 1997:128).

(٤٦) زيدان: ص ٦٣؛ Özel, 1998:228; Karaman, 1999: 3/248.

(٤٧) ولم تتبنَّ الحكومة الإيرانية هذا الفهم. (Akgündüz, 1997:48).

فاليوم لا تستطيع الأقليات المسلمة – التي تعيش في دول غير مسلمة، أو الذين اعتنقوا الإسلام – أن يهاجروا بحرية إلى دول إسلامية [٤٨]. وعلى الرغم من هذا الواقع فإن فرض النصوص للهجرة في بعض الحالات [٤٩]، وإعلانها المؤمنين إخوة في الأمة الواحدة [٥٠]، يجعل من الضروري إعطاء اللاجئين حق المواطنة.

نظام اللجوء مقارنة بأنظمة الحماية التقليدية:

إن وضع اللاجئ يضمن سلامة الأرواح والممتلكات، مثلما تضمنها طرقُ الحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية. وما عدا هذه السمة المشتركة، فإن هناك جوانب أخرى مشتركة بين وضع اللاجئ وبين كل نظام من أنظمة الحماية المختلفة. ومع ذلك، فهناك جوانب تُظهِر أن نظام حماية اللاجئ يختلف عن الأنظمة الأخرى للحماية. ويمكن أن نبين أوجه التشابه والاختلاف بين أنظمة الحماية المعروفة في الشريعة الإسلامية وبين نظام اللجوء باختصار على النحو الآتي:

اللجوء والأمان:

وقد تم تشبيه وضع اللاجئ بالأمان أكثر من غيره من أنظمة الحماية. وأُخِذَ بعين الاعتبار – للوصول إلى هذا الاستنتاج – أن كل واحد منهما يعطي ضمانَ الأمن لكل مَن يحتاجه، ويعترفُ بإمكانية الإقامة المؤقتة [٥١]. ومع أن اللجوء شبيه بالأمان في هاتين القضيتين، إلا أنه مختلف عنه في القضايا التي سندرجها نحن أدناه:

١ – لا يُرد اللاجئ بأية صورة من الصور إلى بلده الذي تكون حياته أو حريته مهددتين فيه، إلا إذا لم يبق أمام عودته أي عائق من الأسباب التي أجبرته على اللجوء [٥٢]. أما مغادرةُ المستأمَنِ للبلد فتتوقف على الوقت المحدد خلال العقد [٥٣].

٢ – في اللجوء يهاجر اللاجئ من بلد الجنسية إلى بلد آخر [٥٤]. وأما في نظام الأمان – كما ذكرنا حينما تحدثنا عنه – فليس بالضرورة أن يغير وطنه في كل حال.

٣– لأجل الحصول على وضع لاجئ، يشترط أن يكون اللاجئ قد تعرض في بلد الإقامة أو بلد الجنسية

(٤٨) Özel, Ahmet, "Hicret" (Fıkıh), Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 1998: 17/466.

(٤٩) انظر [النساء: ٩٧؛ الأنفال: ٧٢].

(٥٠) انظر: [آل عمران: ١٠٣؛ الأنبياء: ٩٢؛ الحجرات: ١٠].

(٥١) السعوي: ص ٥٥؛ فارس علي مصطفى، ص ٣٢٥؛ Durmaz, 2014:51.

(٥٢) المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١؛ المادة– ٨٥ من قانون الأجانب والحماية الدولية التركي.

(٥٣) Zuhaylî, 1995: 11/81.

(٥٤) المادة ١ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.

للظلم والقمع أو عايش الخوف من ذلك [٥٥]. ولا يشترط حصول ذلك لتحقيق عقد الأمان. فعلى سبيل المثال: يمكن للكافر الآمن في بلده أن يتقدم بطلب عقد الأمان لأغراض تجارية. ومن هذه الناحية يوجد بين اللجوء والأمان عموم وخصوص من جهة.

٤- إن الدافع الأساسي في طلب اللجوء هو الرغبة في الهروب من الظلم والقمع والاضطهاد في بلد الجنسية والإقامة. أما الدافع الأساسي في عقد الأمان فهو الشعور بالأمان في البلد الذي يريد الإقامة به أو الاستسلام له.

اللجوء والذمة:

جميع الفروق الكائنة بين اللجوء والأمان موجودة بين اللجوء والذمة أيضاً. وإضافة إلى هذه الاختلافات فإنه يفترق اللجوء عن الذمة من حيث منح المواطنة للاجئين [٥٦]. إذ إن الذمة تعطي هذا الحق مباشرة لمن يطلب الحماية، في حين أن اللجوء يُسهِّل للاجئ إمكانية الحصول على الجنسية فقط [٥٧].

اللجوء والهجرة:

كما رأينا في المعلومات التي قدمناها حول أنظمة الحماية، فإن للّجوء نفس الميزة في نقطتين مع الهجرة. الأولى: نرى في كلٍ من اللجوء والهجرة أن طالب الحماية قد غادر محل إقامته ولجأ إلى بلد أو مجتمع آخر. الثانية: الدافع الأساسي لهذا النزوح هو التعرض للظلم والاضطهاد والقمع أو معايشة الخوف منه.

وبالإضافة إلى هذه الميزات المشتركة فهناك نوعان من الاختلافات الرئيسة بين المهاجر واللاجئ. يمكن التعبير عنهما على النحو الآتي:

١- بينما لا يوجد أيّ تأثير للانتماءات الدينية في الحصول على صفة لاجئ [٥٨]، فإن وضع المهاجر لا يستفيد منه إلا من يملك الهوية الإسلامية فقط. ومع أن طلبات لجوء الكفار إلى دار الإسلام يتم قبولها أيضاً، إلا أنهم يحصلون على جواب طلباتهم عن طريق مؤسسة الأمان والذمة. وبناءً على ذلك، ففي المؤسستين لا يعتدّ بالانتماءُ الديني في قبول طلبات اللجوء، وإنما يعتدّ به في منح المواطنة الفورية لطالبي اللجوء.

٢- المفوضية العليا للاجئين لا تعطي صفة المواطنة للاجئين. أما الهجرة، فتعطي للمهاجرين إلى دار الإسلام إمكانيةَ الاستفادة من هذا الوضع؛ أي الجنسية.

(٥٥) المادة ١ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.
(٥٦) الكاساني: ج ٦، ص ٢٨١؛ زيدان: ص ٦٣.
(٥٧) المادة ٣٤ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.
(٥٨) المادة ٧ من اتفاقية جنيف لعام ١٩٥١.

النتيجة:

إن الهيكل العام لوضع اللاجئ – الذي حددته الدول في القرن العشرين بالعقل الجمعي – يحمل خصائص مماثلةً مع الأنظمة التقليدية في الشريعة الإسلامية. فليس هناك فرقٌ بين نظام اللجوء وبين أنظمة الحماية التقليدية، من حيث توفير الحماية القانونية للشخص الذي يطلبها، في حال توفر الشروط اللازمة. وبطريقةٍ مماثلةٍ، فنظام اللجوء – كما هو الحال مع غيره من آليات الحماية – يعطي فرصة العيش في أمانٍ للشخص الذي تمت الموافقة على طلبه. وإلى جانب هذه الميّزات المشتركة فهناك جوانبُ أخرى مماثلةٌ بين نظام اللاجئ وبين كل واحدٍ من أنظمة الحماية التقليدية على حدةٍ.

وإلى جانب أوجه التشابه هذه – بين نظام اللجوء وبين المؤسسات الأخرى – فهناك بعض الاختلافات الهيكلية أيضاً. إذْ توجد في نظام اللاجئ – من حيث الدافع الأساسي لطلب الحماية – أسس مختلفة عن الأمان والذمة. وكذا يختلف نظام اللجوء عن أنظمة الحماية الأخرى، من حيث أخذ الانتماء الديني بعين الاعتبار في إعطاء المواطنة لطالب اللجوء. ومن ناحية أخرى، إن أنظمة الحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية تعطي إمكانيةَ الاستفادة من المواطنة، مع مراعاة الهوية الدينية. في حين أن نظام اللجوء لا يتعهد بمنح المواطنة لأيّ لاجئٍ. وبينما تعطي أنظمة الحماية التقليدية في الشريعة الإسلامية المواطنةَ مباشرةً – ضمن نظام الهجرة للاجئ المسلم – فإنها تُقَدِّمُ – في نفس الوقت – لطالبي اللجوء من غير المسلمين فرصةَ الاختيار بين الذمة والأمان، وفي حال اختيارهم للذمة تقبلهم كمواطنين.

المراجع:

- فارس علي مصطفى، اللجوء السياسي بين عقد الأمان في الفقه الإسلامي الدولي العام، مجلة البحوث الإسلامية والاجتماعية المتقدمة، ٢٠١٢ م.
- ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩ م.
- ابن قدامة: أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨م.
- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- الكاساني: علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- الموصلي: عبد الله بن محمود بن مودود مجد الدين أبو الفضل، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧م.

- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين، مفاتح الغيب – التفسير الكبير – دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ه.
- السعوي: عبد العزيز بن محمد، حقوق اللاجئين بين الشريعة والقانون، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا- قسم السياسة الجنائية، ماجستير، الرياض، ٢٠٠٧م.
- سلقيني: إبراهيم عبد الله، الهجرة وأحكامها، دار النوادر اللبنانية، بيروت، ٢٠١٤م.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار، دار الحديث، مصر، ١٩٩٣م.
- الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، دار السلام، الرياض، ٢٠٠٠م.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، "أمان"، "أهل الحرب"، "أهل الذمة"، الموسوعة الفقهية الكويتية، الكويت، ٢٠٠٧.
- زيدان: عبد الكريم، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

المراجع الأجنبية:

- ACER, Yücel, İbrahim KAYA, Mahir GÜMÜŞ, *Küresel ve Bölgesel Perspektiften Türkiye'nin İltica Stratejisi*, Uluslararası Stratejik Araştırmalar Kurumu (USAK) Yay., Ankara 2010.
- AKGÜNDÜZ, Ahmet, *İslâm'da İnsan Hakları Beyannâmesi*, Osmanlı Araştırmaları Vakfı (OSAV) Yay., İstanbul 1997.
- ALDEMİR, Halil, *Kur'ân-ı Kerîm'e Göre İhtilâf*, Kitâbî Yay., İstanbul 2010.
- BOZKURT, Nebi, "Eman", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi 1995.
- DURMAZ, Osman, *İslâm'da Mülteciler Hukuku*, Yüksek Lisans Tezi, Çanakkale Onsekiz Mart Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Çanakkale 2014.
- ERGÜVEN, Nasıh Sarp, Beyza ÖZTURANLI, "Uluslararası Mülteci Hukuku ve Türkiye", *Ankara Üniversitesi Hukuk Fakültesi Dergisi*, 2013, 62, (4).
- FAYDA, Mustafa, "Zimmî", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 2013.
- İPŞİRLİ, Mehmet, "Eman-Osmanlı Dönemi", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 1995.
- KARAMAN, Hayrettin, *Mukayeseli İslâm Hukuku*, İz Yay., İstanbul 1999.
- Mültecilerin Hukuki Statüsüne İlişkin Sözleşme (1951 Cenevre Sözleşmesi),
- NAZIR, Bayram, *Mülteciler Meselesi 1849-1851*, Doktora Tezi, Atatürk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Erzurum 1999.
- ÖNKAL, Ahmet, "Hicret", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 1998, 17.
- ÖZCAN, Mehmet, *Avrupa Birliği Sığınma Hukuku-Ortak Bir Sığınma Hukukunun Ortaya Çıkışı*, Uluslararası Stratejik Araştırmalar Kurumu (USAK) Yay., Ankara 2005.

- ÖZEL, Ahmet, "Hicret" (Fıkıh), Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 1998.
- ÖZEL, Ahmet, *İslâm Hukukunda Ülke Kavramı -Dârulislâm Dârulharb-*, İz Yay., İstanbul 1998.
- ULUSLARARASI GÖÇ ÖRGÜTÜ, Edt. Bülent Çiçekli, *Göç Terimleri Sözlüğü*, Uluslararası Göç Örgütü Yay., 2009.
- YAMAN, Ahmet, "Zimmî (Fıkıh), Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 2013.
- ZUHAYLÎ, Vehbe, "Eman-İslâm Hukuku-", Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi, 1995.

ظاهرة الاختلاف من المنظور القرآني

والاستشهادات الإسلامية المعاصرة حول الهجرة *

د. خليل آل دمير

جامعة ٧ ديسمبر بكيليس – كلية الإلهيات؛ قسم التفسير: aldemirhalil@gmail.com

ترجمة: د. فهمي صوغوك أوغلو

الخلاصة:

الاختلاف هو عبارة عن تباين الناس في تصرفاتهم وأسلوب خطابهم، وهذا التعريف يشمل مناح عديد من الحياة. وأساس هذا المفهوم يستند إلى طبيعة فطرة الإنسان، وكونه كائناً اجتماعياً؛ ولهذا فإن الاختلافات تظهر أمامنا في أبعاد مختلفة. يعيش الناس في الوقت الحاضر حالات من الصراع والتحيز والنفي والاستبعاد والتهجير وما شابه ذلك. وإن الصراعات والمآسي الإنسانية التي تعيشها المناطق جنوب تركيا ناتجة عن ظاهرة الاختلاف. والأوضاع الجارية في سوريا وما ينتج عنها من عمليات التهجير واللجوء والمفاهيم الأخرى المشابهة دفعت الناس لربط هذه المفاهيم مع المفاهيم القرآنية، واستخدام هذه الآخيرة في الحث على جمع التبرعات وحملات المساعدة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الاختلاف، الهجرة، الأنصار

Kur' an' a Göre İhtilaf Olgusu ve İslami Referansların Göç Bağlamında Kullanılması

Özet

Bir insanın diğerinden söz ve davranış bakımından farklı olması şeklinde kapsamlı biçimde tarif edilen ihtilaf, hayatın birçok safhasında kendini göstermektedir. Temeli insanın fıtratına ve sosyolojik varlık olmasına dayanan bu olgu, birçok boyutta karşımıza çıkmaktadır. Bugün dünya üzerinde birçok çatışma, ayrışma, tecrit, sürgün, hicret, savaş ve benzeri süreçler yaşanmaktadır. Ülkemizin güneyinde meydana gelen çatışmalar ve insanlık dramı, esasında insanların yaşadığı ihtilaf olgusunun bir sonucudur. Suriye'deki çatışmalar ve gelişmelere paralel olarak göç, sığınma, göçmen ve sığınmacı gibi kavramlar ülkemizde ve İslam âleminde Kur'ânî kavramlarla ilişkilendirilmeye ve yardım kampanyalarında bu konudaki nasların referans gösterilmesine neden olmuştur.

Anahtar Kelimeler: Kur'ân, ihtilaf, göç, hicret, ensar

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Kur' an' a Göre İhtilaf Olgusu ve İslami Referansların Göç Bağlamında Kullanılması" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (خليل آل دمير، ظاهرة الاختلاف من المنظور القرآني والاستشهادات الإسلامية المعاصرة حول الهجرة، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ٤٩-٦٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

The Analysis of Difference and Help in the Context of Migration according to the Quran

Abstract

Difference, described inclusively as one's being different from another in terms of speech and manner, reveals itself in various stages of human life. Based on human nature and sociological entity of human, this phenomenon surfaces in several dimensions. In today's world we experience many wars, conflicts, disagreements, exile, migration, war, etc. The Syrian crisis, one of the world's worst disasters happening across the south eastern border of Turkey, is the result of the phenomenon of difference. The concepts of migration, refugee, and migrant and asylum seeker are associated concepts within Quran and thereby leading aid campaigns to refer to these principles on the issue.

Keywords: Quran, difference, migration, flight, ansar

المدخل:

يعيش الناس مشكلات عديدة في أماكن مختلفة من العالم بسبب تباين الأفكار والآراء فيما بينهم. وهذه المشاكل قد لا تؤدي إلى أضرار كبيرة، فلا تمنع من التعايش السلمي، وقد تؤدي إلى أضرار فادحة مثل التهجير والحروب والتطهير العرقي. والخلافات التي حدثت في مستهل القرن الـ٢١ في جنوب بلادنا (تركيا) اكتسبت بعداً دولياً. وفي أساسها تباين الناس والمجتمعات بعضهم عن بعض في آرائهم وعاداتهم، وذلك الأمر يهم تركيا من حيث الهجرة واللجوء. مما اضطر كثيراً من السوريين للجوء إلى الدول المختلفة، وعلى رأسها تركيا؛ تاركين بلادهم. والسبب الأساسي في هذه القضية هو الاختلاف الذي يعرف بتباين الناس في تصرفاتهم وأسلوب خطابهم. ولذلك سنستعرض في هذا البحث المحور الأساسي للاختلاف من منظور الآيات القرآنية. ومن ثم سنبحث عن أبعاد الاختلاف التي تؤدي إلى الهجرة والالتجاء. وأخيراً سنتطرق لاستخدام المصادر الإسلامية فيما يتعلق بالهجرة.

هناك نشاطات مختلفة متعلقة بالهجرة ومحاولة لمعالجة مشكلات المهاجرين واللجوء واللاجئين في بلادنا وفي البلاد الأخرى. وتُجْرَى أكثر هذه النشاطات على المستوى الدولي. ويلاحظ بعد أزمة السوريين أن أفراد المنطقة وأكاديميها قد بدأوا الاهتمام بأزمات الهجرة والمهاجرين. وهذا البحث يعتبر من ضمن هذه الجهود أيضاً.

المصادر الأساسية للاختلاف:

كلمة الاختلاف مشتقة من الفعل الثلاثي «خلف» بمعنى: التخلف عن الأصل، أو التخلف عن

المطلوب الحسن[1]. ويمكننا أن نعرفها اصطلاحاً بسلوك المرء في أقواله وتصرفاته بشكل مغاير لما يسلكه الآخرون[2].

أسباب الاختلاف قد تتغير من شخص لآخر، ومن مجتمع لآخر، ومن منطقة لأخرى. وحسب ما وصلنا إليه يمكننا جمع أسباب الاختلافات في إطار القرآن الكريم تحت أربعة عناوين هي: النفسانية، والاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية. ولكن هذه الأسباب الأربع ترجع إلى العنصرين الأساسين، وهما: فطرة الإنسان، واجتماعية الإنسان.

علاقة الاختلاف بالفطرة:

هناك خصائص متعددة لكل إنسان منذ ولادته، تميزه عن غيره، وتسمى فطرة[3]. الناس مختلفون عن بعضهم بفطرتهم؛ لأن الله تعالى خلق الناس مختلفين عن بعضهم عقلاً وفكراً وروحاً، كما خلقهم مختلفين جسماً. كما أن مظهر الناس، ونبرة صوتهم، وأثر إبهامهم يختلف من إنسان لآخر، وكذلك أسلوب تفكيرهم وأذواقهم ورؤيتهم للأشياء والأحداث مختلف[4].

هناك علاقة وثيقة بين الفطرة والفكرة، وبين التلقي والتصرف؛ لأن مزاج الفرد يحمل خصائصَ تصاحبه من نعومة أظفاره، وهذه الخصائص تؤثر على كلامه وتصرفاته. فلذلك من الطبيعي أن تظهر الفروق بين الناس في تلقّي أفكارهم وتصرفاتهم. وفي هذه النقطة تنكشف الصلة بين الفطرة والاختلاف. وبعبارة أوضح يظهر الجانب المختلف في الإنسان عند تواصله مع الأخرين. فإذا أضيف إلى المزاج اختلاف الثقافات واختلاف التعلم، فحينها ستظهر الاختلافات بين الناس لا محالة.

إن أهم ما يؤدي إلى الاختلاف في المعاشرة اليومية بين الناس هو أن ينفرد كل إنسان بفطرته وإظهارها عند تواصله مع الآخرين، فرغبات الناس متباينة حسب فطرتهم، والكل يستوعب الأمور بدوافعه ومزاجه الخاص، يقول سبينوزا: «الذي يبدي لنا الأشياء جميلة ليست آراؤنا بل دواعفنا». إذن الدوافع لها دور في معيار

(١) ابن عباد، المحيط في اللغة، ج ٤ ص ٣٤٥-٣٥٠، الجوهري، الصحاح، ج ٤ ص ١٣٥٣-١٣٥٨، ابن منظور، لسان العرب، ج ٩ ص ٨٢-٩٧، زبيدي، تاج العروس، ج ١٢ ص ١٨٤-٢٠٢، Asım Efendi, Kâmus Tercümesi, III, 570-572، كرمي، الهادي إلى اللغة العرب، ج ١ ص ٦٦١.

(٢) الأصفهاني، المفردات، ص ٢٩٤، السمين الحلبي، عدة الحفاظ، ج ١ ص ٦٠٣، فيروز آبادي، البصائر، ج ٢ ص ٥٦٢، الآلوسي، روح المعاني، ج ٩ ص ٤١٥ محمد عوامة، تفسير الوسيط، ج ١٠ ص ١٦١، محمد عوامة، أدب الاختلاف، ص ٨، جمال فاروق وجبريل محمود، أهمية مراعات أدب الاختلاف، ج ١٢ ص ٥٦٩.

(٣) انظر إلى Hökelekli, Hayati, "Fıtrat", DİA, XIII, 47-48.

(٤) انظر إلى رسائل اخوان الصفا، ج ٣، ص ٣٣٣. Yûsuf el-Karadâvî, İhtilaflar Karşısında İslâmî Tavır, s. 83; Tâhâ Câbir, Edebü'l-ihtilâf, s. 11, 24.

الحُسن والقُبح لدى الإنسان. ويقول ويليام جيمس: «إن تاريخ الفلسفة هو صراع بين أمزجة الناس، وهذا الصراع يظهر أمامنا في مجالات الأدب والفنون والحكم» (٥).

دعونا نتصور مجتمعا وقد تجرد أفراده عن الاختلافات الطبيعية، وتساوى الناس فيه في جميع أحوالهم، فهل يمكن للإنسان أن يعيش فيه، وهل يمكن أن ينشئ العلاقات الاجتماعية في هذا المجتمع. ولذلك خلق الله تعالى الناس مختلفين عن بعضهم وجعلهم يحتاجون بعضهم بعضاً (٦).

إن الاختلاف الفكري ظاهرة طبيعية تنتج عن قابلية التفكير والتقييم لدى الإنسان، وهذه الخصلة تؤدي لظهور الأفكار المختلفة، وهي نعمة عظيمة أنعمها الباري على الإنسان. إذن الشرع لا يجيز عدم استخدام هذه الخصلة، بل المقبول في الشرع والعقل تنظيم وضبط هذه الخصلة كي لا يستهلك الإنسان طاقته في الصراعات(٧).

آيات متعددة في القرآن الكريم تتكلم عن تصرفات الإنسان ومزاجه، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٤]. إن كلمة "الشاكلة" في الآية تُفَسَّر بالطريقة والناحية والطبيعة والنية والمزاج (٨). ونلاحظ أن راغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ\١١٠٩م) فسر هذه الكلمة بالمزاج السائد في الإنسان، وأكد تأثيرها على الإنسان (٩). وذهب البطليوسي (ت: ٥٢١هـ\١١٢٧م) إلى أن الاختلاف من الفطرة، مستدلا بالآية الكريمة: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النحل: ٣٨- ٣٩] وعنده الاختلاف لا يزول إلا إذا تبدلت الفطرة الإنسانية(١٠). وفي نهاية المطاف فإن الاختلاف يبدأ بالظهور بموجبات التنوع، وعلى رأسها اختلاف قدرة الفهم والنظر، وهو أول مفتاح يفتح باب الاختلاف.

كون الإنسان كائناً اجتماعياً:

من المعروف ولا شك أن الإنسان لا يعيش إلا في مجتمع منذ العهود القديمة، ومهما قلبنا الصفحات التاريخية لا نجد الناس يعيشون أفراداً دون مجتمع. وكذلك الأمر لو رجعنا إلى أول إنسان – وهو آدم عليه السلام – فهو لم يعش لوحده، فبين لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى

(٥) Muhammed Ebû Zehra, Mezhepler Tarihi, s. 18.

(٦) Tâhâ Câbir, a.g.e., s. 11.

(٧) Nevin A. Mustafa, İslâm Siyâsî Düşüncesinde Muhalefet, s. 81.

(٨) ابن قطيبة، نفس المصدر، ص ٢٦٠، سجستاني، نفس المصدر، ص ٢٨٧-٢٨٨، ابن ملقن نفس المصدر، ص ٢٢٢، شوقاني، فتح القدير، ج ٣ ص ٣٥١.

(٩) الأصفهاني، المفردات، ص ٤٦٢.

(١٠) البطليوسي، الإنصاف، ص ٢٧.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]، وقال الله تعالى أيضاً في الآية الأخرى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦]. وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن آدم عليه السلام لم يأت إلى الدنيا لوحده، بل كانت معه زوجته، ولنا أن نقول إنهما شكَّلا أول مجتمع إنساني [١١].

الإنسان منذ أن وجد في هذا الكون كان اجتماعياً بفطرته، ولأنه محتاج إلى غيره ولا يرغب بالوحدة، فالحياة الاجتماعية من لوازم احتياج الناس للأخرين. وكما أن الإنسان محتاج إلى غيره، فكذلك المجتمعات محتاجة إلى غيرها سياسياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً، وقد تُقسم بعض حاجات الناس إلى قسمين هما: الحاجات المادية، والحاجات المعنوية [١٢]. وفي نهاية المطاف فهذه الحاجات بعد إضافتها إلى العناصر الفطرية والنفسية تتشكل المجموعات بإرادة متبادلة، فتنشأ العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبين المجموعات.

كون الإنسان كائناً اجتماعياً يرد في المصطلاحات الإسلامية بعبارة «الإنسان مدني بالطبع» [١٣]. وابن خلدون [١٤] – الذي قيل عنه أنه مؤرخ الثقافات وفيلسوف التاريخ وعالم الاجتماع والاقتصادي وعالم السياسة وله ألقاب الأخرى، ويعتبره كثير من علمائنا ومن المستشرقين مؤسساً لعلم الاجتماع – يؤكد على أن الإنسان لا بد له أن يستمر بالحياة الاجتماعية، وأن إدامة حياته مرتبطة بذلك [١٥]. وأفاد ابن القيم – بعد أن أكد أن الناس لا يعيشون إلا في مجتمع – فقال: إن هذه الخصلة قد تؤدي للصراعات بين الناس، بسبب اتجاههم للآراء المختلفة [١٦].

حدوث الاختلافات بين الناس يرجع إلى أن الإنسان كائن إجتماعي بشكل مباشر، وهذه الحقيقة نجدها في المجالات المختلفة، حتى في الاستدلالات المذهبية، فمثلا عند الشيعة صار سيدنا علي خليفة بعد النبي عليه

(١١) Sezen, Yümni, *Sosyoloji ve Din Sosyolojide Temel Bilgiler ve Tartışmalar*, s. 15.

(١٢) Sezen, Yümni, Sosyoloji ve Din Sosyolojide Temel Bilgiler ve Tartışmalar, s. 15. انظر إلى الصواعق المرسلة، ابن القيم ٢\٦٤١، ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٦-٤٨، جرجاني، شرح المواقف، ٣\٣٣٧، رشيد رضا، تفسير المنار، ٢\٢٢٤.

(١٣) الأصفهاني، المفردات، ص ٩٤، الرازي، مفاتيح الغيب، ١٤\١٦٢، ٢٦\١٧٤، ٢٩\٢١١، ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ٤\٣٨٢، ابن القيم، زاد المعاد، ٣\١٥، ابن القيم، الصواعق ١\٣٤٢، ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٦، جرجاني، شرح المواقف، ٣\٣٣٧-٣٦٦، إتحاف السادة، ١\٣٣٣، المناوي، فيض القدير، ٦\٣٢٨، الآلوسي، روح المعاني، ١\١٤٥، ابن عابدين زاده، قرة عيون الأخيار، ٢\١٧، رشيد رضا، تفسير المنار، ٢\٢٢٤، مراغي، تفسير المراغي، ٢\١٢٢.

(١٤) Arslantürk-Amman, Sosyoloji, s. 115. İbn Haldun hakkında bilgi için bk. Uludağ, Süleyman, "İbn Haldun" DİA, XIX, 538-555, XX, 1-12.

(١٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٦.

(١٦) ابن القيم، زاد المعاد، ٣\١٥.

السلام مباشرة، واستدلوا على هذا باستدلالات، ومنها أنهم دعموا فكرتهم بأن الإنسان كائن اجتماعي، وهذا سيُحدث بينهم الظلم والخديعة لا محالة، فالذي يتواصل مع الآخرين سيطمع فيما أيديهم، وفي هذه الحالة فلا بد من إمام معصوم يمنع الناس من الظلم [١٧].

ومن خلال ما مضى يظهر لنا أن العلماء كانوا على استيعاب لفكرة أن الإنسان كائن اجتماعي، وكانوا يرون أن هذه الخصلة تمهد لتصعيد الاختلاف. وفي نهاية المطاف نقول: إن كون الإنسان اجتماعياً يؤدي إلى تواصله مع الآخرين، والإنسان يحتاج الآخرين أيضاً لقضاء بعض حاجاته. وبعبارة أخرى فإن الأفراد والمجموعات تتواصل مع الآخرين حينما تبذل جهداً للتوصل لهدف ما، وهكذا يتولد نظام التواصل [١٨]. تحدث هذه العلاقات في أُطُر معينة. ويمكن تصنيف هذه العلاقات تحت عنواني: الموحد، والمفرق. عمليات التوحيد تكون بالتعاون والتناسب والتوحد، وعمليات التفريق تكون بالتنافس والتفرق [١٩]. وتوجد هذه الأمور بالأساس لتغذية جاجة التواصل لدى الناس المتباينين بفطرتهم.

حدوث الاختلاف بين الناس والمجموعات والمجتمعات والعلاقات الدولية ينبني على حالتين أساسيتين: إحداهما ما بيناه سابقاً من الفطرة الإنسانية، والثانية إقامة الإنسان للعلاقات الاجتماعية مع الآخرين. والاختلاف لا يكون إلا على صعيد اجتماعي، فلولا أن الإنسان كائن اجتماعي لما كانت فطرته تؤدي إلى الخلافات منفردةً.

أبعاد الاختلاف:

قد تصنف أبعاد الاختلافات بتصنيفات مختلفة، وإذا انطلقنا من الآيات القرآنية ملاحظين مصطلاحات الهجرة واللجوء فيمكننا أن نصنف أبعاد الاختلافات بالإقصاء والتهجير والهجرة والحرب. وهذا التصنيف من الأدنى إلى الأعلى في الضرر والتأثير.

الإقصاء:

عندما يذكر القرآن الكريم أوصاف المؤمنين يصفهم بأنهم صابرون ويدرؤون بالحسنة السيئة [٢٠]، وأشارت الآيات أيضاً إلى ما يواجهه الناس الذين اختاروا الطريق الحق من الضغوطات الاجتماعية، الناتجة عن العادات الحاكمة والمعتقدات الدينية [٢١].

(١٧) ابن تيمية، المنهاج، ٣٨٢\٤-٣٨٣.

(١٨) Arslantürk, Zeki-Amman, Tayfun, Sosyoloji, s. 337.

(١٩) Arslantürk, Zeki-Amman, Tayfun, Sosyoloji, s. 339.

(٢٠) القصص: ٥٤.

(٢١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٧٠٤\٥، Muhammed Esed, Kur'ân Mesajı, II, 794.

ونرى أن الكفار كانوا يلجأون أحياناً للتواصل للقضاء على الخلاف بينهم وبين النبي ﷺ، وفي إطار ذلك طلبوا من النبي ﷺ أن يبتعد عن الضعفاء، ولكن الله لم يأذن له بهذا. وهذا الوضع نراه في قصة نوح عليه السلام [٢٢] كما نراه في عهد النبي ﷺ [٢٣]. وقد رفض القرآن الكريم طلب المشركين إبعاد المؤمنين؛ مثل عبد الله بن مسعود وبلال الحبشي بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

الخلافات التي تتعمق بين المؤمنين والمشركين في مكة فرقت بينهم كثيراً، وكان المؤمنون يتعرضون للهجمات والضرب والتحقير، وكأنهم كانوا على هامش المجتمع [٢٤]. ويمكن أن نفهم من هذه المعلومات أن الجهة القوية في الاختلافات تُقصي الجهة الضعيفة. وقد يكون الإقصاء في إطار صغير، وقد يكون كبيراً، مثل إقصاء المشركين للمؤمنين. وقد نلاحظ في عصرنا الحاضر أنواعاً كثيرة من الإقصاء على صعيد المجتمع والدولي. وإذا نظرنا إلى ما يحدث في الأيام الأخيرة في المأساة السورية نرى قوات النظام تطبق الإقصاء في المناطق المختلفة.

التهجير:

هناك تشابه بين التهجير والهجرة، من حيث أن كلا الحالين فيه اغتراب عن الوطن، لكن الهجرة تكون باختيار المهاجر لأسباب دينية، حيث يهاجر من مجتمع لا يستطيع أن يقيم دينه فيه، بينما التهجير يكون بإبعاد المهجرين عن الوطن من قبل القوة الحاكمة في المجتمع. والذين يلجؤون للتهجير يرون أن المطرودين لا يفكرون مثلهم، ويعتقدون أن التعايش معهم سيضرهم.

نرى القرآن الكريم يتطرق للتهجير في بعض الآيات، ويمكننا أن نقسمها إلى قسمين: أولهما: تهجير المسلمين لغيرهم، والثاني تهجير الكافرين للمسلمين. يصف القرآن الكريم الأول بأنه تقدير إلهي [٢٥] إذ نرى أن طرد يهود بني النضير من المدينة يُعتبر حكماً إلهياً.

تبليغ الأنبياء للدين الحق أدى إلى تغيرات اعتقادية واقتصادية وسياسية في المجتمع؛ لأن المجتمع كان قد ابتعد عن الدين الحق والتوحيد. ونرى في قصة شعيب عليه السلام أن قومه هددوه بالطرد بسبب تمسكهم

(٢٢) هود: ٢٧-٢٩، الشعراء: ١١١-١١٥.
(٢٣) مسلم، فضائل الصحابة، ٤٥.
(٢٤) عمري، السيرة النبوية، ١\١٦٩.
(٢٥) الحشر: ٣.

بعاداتهم القديمة [٢٦]، وكذلك الحال في قصة لوط عليه السلام [٢٧]. ومثالا على ذلك في عهد الإسلام تهديد منافقي المدينة بإخراج المهاجرين منها [٢٨]. ولكنهم لم يفلحوا في ذلك وبقيت هذه الرغبة في أنفسهم دون أن يحققوها وكما أنهم عاونوا يهود [٢٩] من خلا منع المسلمين من طردهم من المدينة بعد محاولتهم لاغتيال النبي ﷺ [٣٠].

وفي النهاية نستنتج أن الاختلاف إذا تطور وعظم فإنه يكسب بعدا آخر يتمثل في التهجير. حيث أنه إذا لم تستطع القوى الحاكمة على السيطرة على هذه الخلافات وضبطها فإنها تلجؤ إلى التهجير كطريق نهائي لحل هذه الخلافات. وإن هذه الطريقة أي التهجير طبقها المسلمون معتمدين على التوجيه القرآني كما طبَّقها عليهم الكفارُ من قَبْلِ في بداية الدعوة الإسلامية. ونرى أن القرآن الكريم فيه آيات تأمر بتطبيق التهجير والنفي على أصناف معينة من الناس ومن هنا تستنتج أن مبدأ التهجير والنفي هو أمر معتمد في الدين الإسلامي على الرغم من أن هذا المبدأ قد يطبق سلباً على المسلمين أيضاً وذلك من قبل غير المسلمين.

الهجرة:

إذا ظهرت الاختلافات في وجهات النظر والتباين في الآراء في دولة ما ولم يتم حلها فإنها تؤدي إلى هجرة مواطني تلك الدولة إلى بلاد أخرى تاركين أوطانهم التي نشؤوا فيها. كما حدث ذلك في بداية الدعوة الإسلامية حيث هاجر المسلمون والنبي ﷺ من مكة إلى المدينة بتوجيه من الوحي الإلهي وجاءت آيات في القرآن الكريم تذكر أمر الهجرة والمهاجرين [٣١].

الهجرة عند المسلمين تهدف إلى إقامة تطبيق تعاليم الإسلامي وإقامة مبادئه بحرية أكبر، بعيداً عن الضغط والاضطهاد.

الاختلافات التي حدثت بين المسلمين والكفار لم تكن ناشئة عن الهجرة فحسب بل كانت قائمة بينهم في عهد مكة، ولكن أصبح الاختلاف بعد الهجرة بين مجتمَعَين، في حين كان الاختلاف قبل الهجرة في أفراد مجتمع واحد وبعد الهجرة بين المجتمَعين. في الاختلافات قبل الهجرة لم تكن لدى المسلمين حرية، بينما الاختلافات بعد الهجرة لم تمنع المسلمين من إقامة حدود دينهم بالحرية المطلقة. والهجرة فَتحت بُعداً جديداً في اختلاف المسلمين والكفار، قد نعتبره اختلافاً دَولياً.

(٢٦) الأعراف: ٨٨.
(٢٧) النمل: ٥٦.
(٢٨) المنافقون: ٨.
(٢٩) العمري، السيرة النبوية، ١\٣٠٦-٣٠٧.
(٣٠) الحشر: ١١.
(٣١) آل عمران: ١٩٥، النساء: ٨٩، ٩٧، التوبة: ٢٠، الإسراء: ٧٦، الحج: ٤٠، النور: ٢٢، القصص: ٨٥، محمد: ١٣، الممتحنة: ١٠.

لو بحثنا في القرآن الكريم عن أمثلة أُخرى للهجرة نجد أن بعض الأنبياء قد اضطر للهجرة أيضاً قبل النبي ﷺ، مثل إبراهيم عليه السلام [٣٢] وغيره من الأنبياء. حيث كان النبي يضطر إلى أن يهجر قومه الذين أُرسلَ إليهم في حال عدم استجابة القوم ومعارضتهم له.

ولو أننا بحثنا في جذور التاريخ الإنساني ككل عن مفهوم الهجرة نجد أنه عند ظهور خلافات وتناقضات في الآراء في مجتمع ما فإن الفئة الضعيفة والمغلوب على أمرها تضطر إلى الهجرة من هذا المجتمع. لكن هجرة هؤلاء لا تنهي الخلافات التي كانت دائرة بينهم، بل على العكس من ذلك، فإن هذه الخلافات تكتسب بُعداً آخر، ويتولد عنها مشاكل أخرى، مثل الحنين للوطن، وقطع الصلة مع الأقرباء، وترك الممتلكات من أراض وبيوت وأشياء أخرى قيمة، وهذه المشاكل تزيد في حجم الخلافات.

الحرب:

إن القرآن الكريم قد ورد فيه ذكر بعض الحروب؛ حيث توجد آيات تتحدث عن الحروب التي وقعت قبل البعثة [٣٣]، وآيات أخرى تذكر الحروب التي وقعت في عهد الإسلام [٣٤]، مثل المعركة التي وقعت بين الدولتين العظيمتين [٣٥]. إن هذه الآيات تدل على أن الاختلاف قد يؤدي إلى الحروب والمعارك. أو بعبارة أخرى فإن الناس لجؤوا إلى الحروب لتحقيق مطالبهم وغايتهم.

معركة بدر هي من أهم الحروب التي ذُكرت في القرآن الكريم، وفيها مواعظ لافتة للانتباه، وهي مثال يوضّح لنا ما يمكن أن تؤدي إليه الخلافات؛ لأن بدر قد وقعت بين الأقرباء وأصحاب قبيلة واحدة بسبب عقيدتهم، بعد أن دعاهم الرسول ﷺ إلى الدين الحق.

نلاحظ أن الخلافات العَقَدية في بعض الأسر في مكة وصلت إلى التشتت والتفرق مع الهجرة إلى المدينة، وبعد الهجرة وصلت إلى الحروب بين أبناء الأسرة الواحدة، وإن بدر تلفت النظر كثيراً من هذه الناحية، ومن أمثلة ذلك أن أبا عبيدة قد قتل أباه عبد الله في الحرب [٣٦] وكذلك رغب أبو بكر بقتل ابنه الذي كان مع أهل مكة ولكن النبي ﷺ لم يأذنه له [٣٧] وكذلك قتل عمر أيضاً خاله عاص بن هشام. وهذه الأمثلة كما نجدها في بدر قد نجدها في الغزوات الأخرى، فإن معصب بن عمير قتل أخاه عبيد في حرب أحد [٣٨].

(٣٢) العنكبوت: ٢٦.
(٣٣) البقرة: ٢٤٩-٢٥١.
(٣٤) آل عمران: ١٣، ١٢٣، التوبة: ٢٥.
(٣٥) الروم: ١-٦.
(٣٦) ابن كثير، التفسير، ٥٤\٨.
(٣٧) البغوي، أنوار التنزيل، ٣٣٦\٥.
(٣٨) البغوي، أنوار التنزيل، ٣٣٦\٥.

لم يذم القرآن الكريم هذه الخلافات التي وقعت بين أفراد الأسر، وقد يرجع سبب ذلك إلى أن القرآن استهدف أن ينشئ التوحد بين أفراد الدين، ونلاحظ ذلك الهدف في ذكر خصائص المؤمنين بأنهم لا يتولون من خالف الله ورسوله من آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم [٣٩].

لا شك أن الخلافات قد أدت إلى الحروب بين أفراد العشائر والأسر في عهد الإسلام، ولم تمنعهم صلة الدم من أن يتقاتلوا بينهم، وهذه الصورة توضح أمامنا مدى قوة الخلاف وعمقه، وذلك لم يكن شأن أصحاب النبي ﷺ مع قومهم، بل كانت الحالة متشابهة في أصحاب الأنبياء السابقين مع أقوامهم. وكذلك قد ورد في القرآن الكريم حرب أهل الكتاب فيما بينهم [٤٠]. ونجد مِن هؤلاء أيضاً مَن يتقاتل ويختلف مع أبناء دينه [٤١]. ولقد تقاتل اليهود فيما بينهم، وكان اقتتال المسيحيين فيما بينهم أشد من اقتتال اليهود بعد أن تفرقوا إلى المذاهب واختلفوا في دينهم [٤٢]. يقول «صاله» المستشرق مصوراً ما وقع بين المسيحيين: إذا قرأنا تاريخ الكنيسة نجد أن الناس قد شرعوا بالتحريف بعد القرن الثالث للميلاد؛ لأسباب كثيرة منها: طموحات رجال الدين، ورغباتهم الشخصية، والاختلافات، والنقاشات بينهم في المسائل غير مهمة. تكاد هذه الخلافات تمسح المسيحيين من التاريخ. ولأنهم خاضوا في جدال حول كيفية فهم الدين. وفي هذه العهود المظلمة ظهرت وانتشرت واستقرت بين المسيحيين الخرافات والفساد [٤٣].

ويمكننا القول بعد الاطلاع على الآيات القرآنية: إن قضايا الحروب تتجلى فيها الخلافات بأكره صورها، وفي وقتنا الحاضر الصراعات والحروب الجارية في سوريا تجتمع فيها كلٌ من أسباب الاختلافات السياسية والعقائدية والمذهبية.

الرجوع إلى المصادر الإسلامية كحل لهذه الخلافات:

إن وصول الخلافات إلى حد التجريد أو النفي أو الهجرة أو الحرب يأتي ببعض المشكلات معه، كمعاناة الأفراد أو المجتمعات والتفتت العميق في المجتمع والتشتت نفسانياً واجتماعياً والخسارات المادية والمعنوية وهذه المشاكلات قد تكون في مجتمع ما وقد تكسب بعداً دولياً، مثل ما حدث في سوريا، فإنه بالنسبة لتركيا مشكلة خاصة وفي الوقت نفسه مشكلة دولية. وإن تركيا فتحت للاجئين السوريين أبوابها؛ لأن هذين الدولتين متجاورتين، ولأن بين أفراد المجتمعين علاقة تاريخية ودينية وثقافية، وذلك أدى إلى مواجهة تركيا لبعض المشكلات، وأكبرها مشكلة إعاشة اللاجئين وإسكانهم. وأمام هذه المشكلة بدأ المسؤولون يستخدمون المصادر

(٣٩) المجادلة: ٢٢.

(٤٠) البقرة: ٢٥٣.

(٤١) انظر إلى Cide, Ömer, "Ortadoğu'da Göçü Tetikleyen Savaşların Nedeni Olarak Din", s. 489-495.

(٤٢) رشيد رضا، تفسير المنار، ٣\٧.

(٤٣) العمري، السيرة النبوية، ١\١٣١.

الإسلامية بما يتناسب مع الوقائع، وذلك بما أن أغلبية المجتمع هم من المسلمين. ونلاحظ أن السياسيين، وزعماء الحركات الاجتماعية، وغيرهم من الذين يقومون بمساعدة اللاجئين يتمسكون بالمصطلحات القرآنية لحل الأزمة [٤٤]. ولذلك كثيراً ما نرى في برامج التلفاز أو الإذاعات أو في المناسبات الدينية -كخطبة الجمعة- أن المتكلمين يتطرقون للمسائل المتعلقة بالتعاون بين المسلمين، والزكاة، والإنفاق، والهجرة والمهاجرين، والأنصار، والأخوة [٤٥]. وإن القرآن من خصائصه أنه يحرك مشاعر المجتمع قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقد فسرت كلمة الروح في الآية بإحياء القرآنِ المجتمع [٤٦]. وهذه الحقيقة نلاحظها أيضاً في بداية الدعوة الإسلامية.

إن رئاسة الشؤون الدينية التركية والمنظمات الاجتماعية في تركيا قد استخدمت المصادر الإسلامية في حل القضية السورية، وبذلك تحركت المشاعر الدينية لدى الناس لإيصال المساعدات الإنسانية للسوريين، وإن مواضيع الخطب في محافظة كلس -التي زاد عدد اللاجئين فيها سكان المدينة- توضح لنا أهمية استخدام المصادر الإسلامية.

الجدول الأول: مواضع الخطب التي ألقيت ما بين ٢٠١٠-٢٠١٢:

الرقم	الموضوع	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢
١	الزكاة وأهميتها	٢٠١٠\٠٨\٢٠	٢٠١١\٠٨\١٢	٢٠١٢\٠٦\٢٢ حتى ٢٠١٢\٠٨\٠٣
٢	الهجرة	٢٠١٠\١٢\٠٣		٢٠١٢\١١\٠٩
٣	الوقف في الإسلام وأهميته	٢٠١٠\٠٤\٣٠		٢٠١٢\٠٥\١١
٤	الأضحية	٢٠١٠\١١\١٢	٢٠١١\١١\٠٤	٢٠١٢\١٠\١٩
٥	حق الجار		٢٠١١\٠١\١٤	٢٠١٢\١١\٠٢

يتبين من هذا الجدول أن الموضوعات التي فيها تعاون -كالأضحية- تكررت في ثلاث سنوات ثلاث مرات. ومن الملفت للنظر أن الخطب المتعلقة بالتعاون تكثفت بعد ٢٠١٢ بعد أزمة سوريا. وربما هذه المواضع كانت موجودة في السنوات الماضية. وموضوع الزكاة أيضا تكرر مرتين في عام ٢٠١٢ [٤٧].

(٤٤) انظر إلى Çınar, Mahmut, "Yesrib'e Göç'ten Türkiye'ye Göç'e Sosyolojik ve Teolojik Sonuçları Üzerine Bir Değerlendirme", s. 232-237.

(٤٥) انظر إلى http://www.kilismuftulugu.gov.tr.

(٤٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٥١\٢٥.

(٤٧) Vural, Ahmet, 2010-2012 Yıllarında Okunan Hutbelerin Tahlili: Kilis İli Örneği, (Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi), Kilis 7 Aralık Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Kilis 2015.

الجدول الثاني: الخطب التي استعرضت موضوع اللاجئين والسوريين:

الرقم	الموضوع	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥
١	استصحاب الغرباء		٢٠١٤\٠٧\١١	
٢	الحفاظ على الأخوة والتوحد			٢٠١٥\٠٩\١١
٣	أن يكون الإنسان عونا للمظلومين		٢٠١٤\٠٧\١٨	
٤	الغرباء		٢٠١٤\٠٧\١١	
٥	نكون أهلا لمن لا أهل له		٢٠١٤\٠٦\٢٧	
٦	الأشهر الثلاثة			٢٠١٥\٠٤\٢٤
٧	الأضحى	٢٠١٣\١٠\١٥		

بعد النظر في هذا الجدول نلاحظ أن مشكلات اللاجئين السوريين قد دخلت في موضوعات الخطب على الأقل بعد عام ٢٠١٣، وفي عام ٢٠١٤ قد كثرت الخطب المتعلقة باللاجئين.

في مضمون هذه الخطب التي ألقيت في مساجد محافظة كلس استعملت مصطلحات دينية؛ كالهجرة، والتعاون، والأنصار والمهاجر، مع المصطلحات الحديثة مثل: اللجوء، والمواطن السوري، والملتجئ [٤٨] ونلاحظ أيضاً أنه ذُكِرَ في مضمون الخطب كثيرٌ من الآيات والأحاديث استدلالاً أو حثاً على التعاون [٤٩]. ونلاحظ أيضاً أن مضمون الخطب يُشبه حالة السوريين بالمهاجرين وحالة من يساعدهم بالأنصار، وذلك يستهدف تكثير عدد المساعدين، ولكن لا شك أن وضع السوريين ليس كوضع المهاجرين تماماً، فهناك أمور متشابهة وهناك أمور متفارقة. فأكثر أوجه التشابه في حالة السوريين مع المهاجرين مشكلتهم في معيشتهم وسكنهم. فإذا لاحظنا المهاجرين في عهد النبي ﷺ فسنجد أن الهجرة كانت أمراً مدروساً، وكان للهجرة زعيم يجمع المهاجرين حوله، وكانوا يرجعون إليه في حل مشكلاتهم، وكذلك مكان هجرتهم كان مستعداً لاستقبالهم اجتماعياً ونفسياً، وسبب هجرتهم كان دينياً، وهجرة السوريين تختلف في هذه الأشياء عن هجرة أصحاب النبي ﷺ.

وفي نهاية المطاف نقول إن الخُطب الدينية كان لها دور في تقليل ما يتحمله اللاجئون السوريون من المشكلات التي زادتها الخلافات الدولية والانتهاكات المحلية، وكانت الدعوة إلى الأخوة وتسمية اللاجئين ومساعديهم بالمهاجرين والأنصار أدت دوراً إيجابياً في حل الأزمة.

(٤٨) انظر إلى Baysa, Hüseyin, "İslâm Hukukundaki Himaye Geleneği Muvacehesinde Mültecilik Sistemi", s. 116-123.

(٤٩) انظر إلى http://www.kilismuftulugu.gov.tr.

النتيجة:

الاختلاف مفهوم لا بد منه للإنسان، إذ هو كائن اجتماعي. إذن فالحياة دون الاختلاف حلم لا إمكان له، ولذلك لا بد من جهد لانضباط الاختلاف لا لإنهائه، وإذا لم يمكن ضبط الاختلاف كما يجب فلا يمكن تجنب المشكلات العديدة، ويمكننا أن نعدَّ المشكلات المتعلقة بالهجرة: التجريد، والنفي، والهجرة، والحرب.

ما يحدث في سوريا اليوم يبين لنا إلى ما وصله مفهوم الاختلاف، وإن سوريا اليوم تعيش أكبر كارثة عرفها التاريخ الإنساني، أمام أعين العالم المتقدم والمتحضر، وفي القرن ٢١ أمام أعين المنظمات الإنسانية الدولية، ومن المؤسف جداً أن كثيراً من الناس يبقون صامتين. وأما تركيا فقد بذلت جهداً لمساعدة المظلومين، واستخدام المصادر الإسلامية أدى دوراً إيجابياً في حث الناس على مساعدة اللاجئين، ولأن القرآن الكريم له أسلوب مميز ومؤثر في نفوس الناس، وإذا كان الناس غير مسلمين فلن يكون هناك تأثير للآيات القرآنية.

اللاجئون السوريون سُموا بالمهاجرين، والمواطنون الأتراك الذين ساعدوهم سُموا بالأنصار، وهذه التسميات تبين العلاقة بمفهوم الالتجاء والهجرة، ولكن التشابه بين المفهومين ليس على الإطلاق، تتركز العلاقة بين المفهومين في إسكان اللاجئين وإعاشتهم اليومية والفرق بين هذين المفهومين متركز في عدم تنظيمهم وعدم توحدهم وعدم التشابه بين ما جرى في عهد النبوة واليوم الحاضر، وعدم استعداد محل هجرتهم.

إن ما يجري اليوم في سوريا –مهما حمل من آثار العناصر الدولية– فليس من الصحيح أن يغض المسلمون بصرهم عن هذه المشكلة؛ لأن القرآن الكريم –وهو أول مصدر في الإسلام– يأمر بالتعاون والوقوف مع المظلومين، ولكن لا يكفي إيجاد حل لمشكلة معينة، بل يجب على المسلمين أن يجدوا أسلوباً مناسباً أمام ظاهرة الاختلاف منطلقين من الأسس الإسلامية.

المصادر العربية:

- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، بيروت ١٩٩٥.
- الأصفهاني، راغب: مفردات ألفاظ القرآن، بيروت ١٩٩٢.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤.
- البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد: الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت، دار الفكر، دمشق ١٩٨٣.
- بدر ألماس: الاختلاف أسبابه وضوابته، مكان الطباعة غير مكتوب ٢٠٠٢.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفرى: معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت ١٩٨٥.
- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد: منهاج السنة النبوية، بيروت، تارخ الطباعة غير مكتوب.
- جمال فاروق جبريل محمود: أهمية مراعاة أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، نصر ١٩٩٨.
- الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠.
- الجرجاني، السيد الشريف: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.
- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد: المقدمة، بيروت ١٩٩٥.
- رشيد رضا: تفسير المنار، مكان الطباعة غير مكتوب ١٩٨٣.

- الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، بيروت ١٩٩٠.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: عمد الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، بيروت ١٩٩٣.
- العضد الإيجي: شرح المواقف، دار الجيل، بيروت ١٩٩٨.
- ابن عباد، أبو القاسم إسماعيل: المحيط في اللغة، عالم الكتب للملايين، بيروت ١٩٩٤.
- ابن عابدين زاده، علاء الدين محمد بن محمد الدمشقي: قرة عيون الأخيار للتكملة رد المختار، إسطنبول ١٣٠٧.
- ابن عاشور، محمد طاهر: تفسير التحرير والتنوير، دار الصحنون، تونس، تارخ الطباعة غير مكتوب.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز، إسطنبول ١٩٩٦.
- ابن قطيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: غرائب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨.
- ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين الجوزية: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، رياض، تارخ الطباعة غير مكتوب.
- ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت ١٩٨٧.
- كرمي، حسن سعيد: الهادي إلى لغة العرب، بيروت ١٩٩١.
- ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار الطيبة، رياض ١٩٩٧.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب: بيروت تارخ الطباعة غير مكتوب.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو الحفص: تفسير غرائب القرآن، بيروت ١٩٧٨.
- مجدي، عبد الغفار: الخلاف بين الدعاة ومظاهره وأسبابه وعلاجه، مكان الطباعة غير مكتوب ٢٠٠٥.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، القاهرة ١٩٩١.
- المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، تارخ ومكان الطباعة غير مكتوب.
- المناوي، زين الدين محمد: فيض القدير شرح جامع الصغير، رياض ١٤٠٩.

المراجع والمصادر الأجنبية:

- Kur'ân-ı Kerîm.
- Arslantürk, Zeki, Amman, M. Tayfun, Sosyoloji, Çamlıca Yayınları, Dördüncü Baskı, İstanbul 2001.
- Asım Efendi, Seyyid Ahmed (ö. 1235/1820), Kâmus Tercümesi, I-IV, Matbaa-i Bahriyye, İstanbul 1304.
- Baysa, Hüseyin, "İslâm Hukukundaki Himaye Geleneği Muvacehesinde Mültecilik Sistemi", II. Uluslararası Ortadoğu Konferansları, Kilis 2016. İlahiyat Akademi Dergisi 65
- Cide, Ömer, "Ortadoğu'da Göçü Tetikleyen Savaşların Nedeni Olarak Din", II. Uluslararası Ortadoğu Konferansları, Kilis 2016.
- Çınar, Mahmut, "Yesrib'e Göç'ten Türkiye'ye Göç'e Sosyolojik ve Teolojik Sonuçları Üzerine Bir Değerlendirme", II. Uluslararası Ortadoğu Konferansları, Kilis 2016.
- Eren, Erol, Yönetim ve Organizasyon, Beta Yayınları, Beşinci Baskı, İstanbul 2001, s. 544.
- Hökelekli, Hayati, "Fıtrat", DİA, XIII, İstanbul 1995.
- http://www.kilismuftulugu.gov.tr.

Kur'ân'a Göre İhtilaf Olgusu ve İslâmî Referansların Göç Bağlamında Kullanılması 66

- Karadâvî, Yûsuf el-Karadâvî, İhtilaflar Karşısında İslâmî Tavır (trc. Osman Arpaçukuru), İlke Yayıncılık, İkinci Baskı, İstanbul 1996.
- Muhammed Ebû Zehra, İbn Ahmed İbn Mustafa (ö. 1394/1974), İslâm'da İtikadî, Siyasî ve Fıkhî Mezhepler Tarihi (trc. Sıbğatullah Kaya), Yeni Şafak Yayınları, İstanbul ts.
- Muhammed Esed (ö. 1413/1992), Kur'ân Mesajı Meal-Tefsîr (trc. Cahit Koytak, Ahmet Ertürk), I-III, İkinci Baskı, İşaret Yayınları, İstanbul 1997.
- Nevin A. Mustafa, İslâm Siyâsî Düşüncesinde Muhalefet (trc. Vecdi Akyüz), İz Yayıncılık, Birinci Baskı, İstanbul 1990.
- Sezen, Yümni, Sosyoloji ve Din Sosyolojide Temel Bilgiler ve Tartışmalar, İFAV, s. 15.

İlahiyat Akademi Dergisi 67

- Uludağ, Süleyman, "İbn Haldun" DİA, XIX, İstanbul 1999.
- Vural, Ahmet, 2010-2012 Yıllarında Okunan Hutbelerin Tahlili (Kilis İli Örneği), Kilis 7 Aralık Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Yüksek Lisans Tezi (Yayınlanmamış), Kilis 2015.

مشكلة التعبير عن موضوعات الهجرة

في سياق العمل الخيري والضيافة والإحسان؛ تحقيقات فلسفية*

د. محمد أولو كتوك

جامعة غازي عنتاب – كلية الآداب؛ قسم الفلسفة

ترجمة: د. مصطفى كسكين

الخلاصة:

يبدو أننا لا نستطيع تفسير ظاهرة الهجرة المتكررة في تاريخ العالم في كثير من الأحيان بسبب واحد؛ فالهجرة تقع نتيجة لأسباب سياسية وجغرافية وثقافية واقتصادية، ولذلك تتغير الرؤية للمهاجرين الذين هم موضوع الهجرة.

كشفت هذه الدراسة عن المشكلات التي عبر عنها المهَجَّرون.

في هذ السياق يظهر الاختلاف بين الواقع الموضوعي وبين ما أُلِّف بلغة مختلفة غير موضوعية. فحينما نتحدث عن المهاجرين يظهر لنا واقعهم متجاوزاً الأسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية بل ما وراءها أيضاً.

هل يمكن هنا ذكر واجب أخلاقي تجاه المهاجرين؟

للإجابة عن هذا السؤال حاولنا التصدي لثلاثة أشكال من المناهج الأساسية من خلال المقارنة، الأول: ما تقتضيه الفكرة العالمية عن الضيافة وتطبيقاتها. الثاني: الاستناد إلى فكرة الحق. الثالث: الاستناد إلى أساس فكر المحبة الديني، والاستناد إلى فكر الدافع الخيري.

فهذه المناهج ستعالَج ضمن فلسفة القارة الأوروبية المعاصرة، وستتم مناقشتها في سياق الدراسات المستندة إلى نظرتهم للآخرين.

وسيتم البحث في حدود الضيافة وفكر الدافع الخيري ومفهوم الضيافة وتناقضاتها. فالمناقشات المعمقة المتعلقة بالآثار الفلسفية والتاريخية لهذه المفاهيم في الممارسة ستسهم في تعديل فهم قضية اللاجئين بشكل صحيح، وربما تساعد في فهم القضية وفق أسس أكثر إنسانية. ونأمل أن تسهم في تفسير القضية أيضاً.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، اللاجئون، الضيافة، الدافع الخيري، الآخرون

Göçün Öznelerinin Anlatımı Problemi: Konukseverlik, Hayırseverlik ve Hakseverlik Bağlamında Felsefî Soruşturmalar

Özet

Dünya tarihinde öteden beri sıklıkla görülen göç olgusunu tek bir nedenle açıklamak mümkün görünmemektedir. Coğrafi, kültürel, siyasal ve ekonomik nedenlerle gerçekleşen göç olgusunun özneleri olan göçmenlere bakış da değişmektedir. Bu çalışmada göç ve bir bakıma öznesi bir bakıma ise nesnesi olarak

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Göçün Öznelerinin Anlatımı Problemi: Konukseverlik, Hayırseverlik ve Hakseverlik Bağlamında Felsefî Soruşturmalar" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (محمد أولو كتوك، مشكلة التعبير عن موضوعات الهجرة في سياق العمل الخيري والضيافة والإحسان؛ تحقيقات فلسفية، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ٦٩-٩٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

görülen göçmenlerin anlatımında karşılaşılan problemler ortaya konulmuştur. Bu bağlamda nesnel gerçekliğin öznel dilde birbirinden farklı kurgulanış biçimleri gözler önüne serilmiştir. Göçmenler söz konusu olduğunda ortaya coğrafi, kültürel, siyasal ve ekonomik nedenlerin üstünde ve ötesinde bir durum çıkmaktadır: Göçmenlere karşı etik bir görevden söz edilebilir mi? Bu soruyu cevap mahiyetinde üç temel yaklaşım biçimini karşılaştırarak ele almayı denedik. Evrensel kozmopolitanizmin bir gereği olarak konukseverlik düşüncesi ve uygulamaları, nesnel hukuk merkezli hakseverlik düşüncesi ve dinî temellere ve motivasyonlara dayalı hayırseverlik düşüncesi. Bu yaklaşımlar çağdaş Kıta Avrupası felsefesinin "öteki" üzerine düşünüşleri etrafında yaptıkları temellendirmeler bağlamında ele alınacaktır. Konukseverliğin, hayırseverliğin ve hakseverliğin anlamı, sınırları çelişkileri üzerine çok yönlü bir tartışma zeminin imkânı aranacaktır. Söz konusu kavramların felsefî içerimleri ve tarihsel pratikteki karşılıkları üzerine yapılacak derinlikli tartışmalar gerek mülteci, gerekse de mülteci üzerinden kurgulanan "öteki" meselesinin daha sahih ve belki de daha insani zeminlerde anlaşılmasına ve yorumlanmasına katkı yapacağını ümit ediyoruz.

Anahtar Kelimeler: Göç, Göçmenler, Konukseverlik, Hayırseverlik, Hakseverlik, Öteki

Explanation of Problems of Immigration the Subject: Philosophical Investigations in the Context of Hospitality, Philanthropy and Righteousness

Abstract

It is not possible to explain the phenomenon of immigration, which has been seen in the world history since long, for a single reason. The view of immigrants, who are the subjects of the migration phenomenon carried out for geographical, cultural, political and economic reasons, also changes. In this study, immigration is dealt with as a relational subject, and a reference is the problem of immigrants who are regarded as object. In this context, the forms of objective reality are different from each other in the subjective world. When it comes to immigrants, there is a situation above and beyond geographical, cultural, political and economic reasons: can an ethical duty be addressed to immigrants? We have tried to consider this question by comparing three basic approaches in the nature of the answer. As a necessity of universal cosmopolitanism, hospitality and philosophy based on humanitarian thoughts and practices, objective law-based philosophy of thought and religious bases and myths. These approaches will be dealt with in the context of the assumption that the philosophy of the Continental Continent is around the "other" thoughts. You will have the opportunity to have a multi-faceted debate on the meanings of your hospitality, philanthropy and philanthropy, its contradictions. We hope that the in-depth discussions on the philosophical implications of these concepts and their historical interpretations will contribute to the understanding and interpretation of the "other" issue, which is based on refugees and refugees, on a more authentic and perhaps more human basis.

Keywords: Immigration, Immigrants, Hospitality, Philanthropy, Hospitality, Other

المدخل:

الهجرة، وإن كانت ظاهرة تاريخية طبيعية إنسانية، فدراستها ودراسة موضوعها في هذا اليوم، أو البحث عن ضحاياها، تشترك فيها كل الظروف الحالية وسياقاتها التاريخية واختلافاتها(١).

مناقشة قضية الهجرة اليوم –وإن كانت تتعلق بكثير من المفاهيم مثل: الاقتصاد والصحة والسكان والسكن والغذاء والتعليم وحقوق الإنسان– فإنها تستند في الحقيقة إلى امتداد للتوتر المزمن والصراع بين الغرب والشرق وانعكاساته. وتتكون القضايا الأخرى بأجمعها من نتائج ذلك التوتر والصراع، لأن ما نسميه اليوم بظاهرة الهجرة هو عبارة عن طلب فريق من الناس الذهاب من الجانب الشرقي للعالم إلى الجانب الغربي. وليس هذا من قبيل المصادفة. وبهذا الشكل فإن مسألة العيش المشترك في يومنا هذا تتجسد في هذا المجال– الهجرة– في موضوع اللاجئين السوريين النازحين عن أوطانهم وبلادهم في جميع أنحاء العالم.

إن مسألة العيش المشترك –خصوصاً في غير البلدان الغربية – تتمركز على الذين أخرجوا من بلادهم قهراً، ونحن سنتحدث عنهم خصوصاً(٢). وتواجهنا نظرة الغرب المتناقضة كلياً في قضية اللجوء ونزوح الناس من بلادهم وأوطانهم– وكأنها هي السبب في هذه القضية– ومع ذلك نرجع إليها كأنها الحل للقضية. في حين أنه من المستحيل حلُّ القضية بالعقلية المسببة للمشكلة. وليس غرضنا من هذه الدراسة تشويه سمعة النظام السياسي الغربي وتحقيره، بوصفه الممثل الرئيس لقضايا الهجرة واللاجئين، بل نريد أن نفهم ما يقوله الفكر الغربي حول مسائل الهجرة واللاجئين ونناقشه. كما أن لنا سبباً آخر لمناقشة القضية من وجهة نظر أوروبا والأوروبيين حول هذا الموضوع؛ وهو أن الأوروبيين يرغبون بالذهاب إلى سكان العالم الثالث لرؤية ثقافتهم "الأصيلة" في بلادهم، وفي نفس الوقت لا يبدون اهتماماً بفريق من هؤلاء الناس الذين يعيشون في مدنهم الأوروبية. ففي حين يرون السكان المحليين البعيدين عنهم كأنهم كنز مخفيٌّ ينتظر الاكتشاف، فإنهم يعدّون القريب منهم كأنه قذارة سيئة وخطيرة لا بد أن يبتعد الأوروبيون عنها. ويجب أن نأخذ باعتبارنا أن وضع اللاجئين في أماكن نائية في المدن الأوروبية أصبح أمراً ملفتاً للانتباه(٣). فعلى سبيل المثال، عندما يكون السوري

(١) Abadan-Unat, N. Bitmeyen Göç, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay, İstanbul 2002; Chambers, Iain, Göç, Kültür ve Kimlik, Çev. İsmail Türkmen, Mehmet Beşikçi, Ayrıntı Yay. İstanbul 2014; Tekeli, İlhan, "Türkiye'nin Göç Tarihindeki Değişik Kategoriler", Göç ve Ötesi, Tarih Vakfı Yurt Yay. İstanbul 2008, s. 42- 65; Castles, S. ve Miller, J. M. Göçler Çağı: Modern Dünyada Uluslararası Göç Hareketleri. İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2008.

(٢) Ulukütük, Mehmet, "Konukseverlik, Birlikte Yaşama ve Felsefi Açılımları", *Göçler ve Ortak Geleceğimiz Sempozyumu*, Akadder, Tire Kitap Yay. İstanbul 2016, s. 105-111.

(٣) Yeğenoğlu, Meyda, *Avrupa'da İslam, Göçmenlik ve Konukseverlik*, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2016, s. 36.

البعيد هو موضوع البحث الأوروبي، في نفس الوقت يمكن أن يكون السوريون الذين يحاولون الهجرة إلى أوروبا والذين يريدون أن يعيشوا فيها كائنات تثير الاشمئزاز والرعب.

فكيف يفكر العالم الغربي في اللاجئين والنازحين في مناطق أخرى من العالم؟ ولا نرى أن هذه المناقشات تجري في الأوساط الفكرية والأكاديمية بشكل كاف. وما قلناه ليس للإشارة إلى ما يفكر به الغرب من الناحية النظرية، أو للقول: إن فكر الغرب حول القضية كان جيداً جداً، بل للإشارة إلى الفجوة بين الوجهة النظرية الأوربية والحالة التطبيقية، وللإشارة إلى الأزمة والصراع. ولهذا أريد الوقوف على المشكلات التي يسردها المهاجرون الذين هم موضوع الهجرة من ناحية، والمتأثرون بها من ناحية أخرى. فمثلاً نشاهد الاختلاف بين الحقيقة الذاتية عند الأوربيين وبين التعبير عنها عندما يتحدثون عن اللاجئين.

هل يمكن ذكر واجب أخلاقي تجاه المهاجرين؟

للإجابة عن هذا السؤال حاولنا التصدي لثلاثة أشكال من المناهج الأساسية من خلال المقارنة:

الأول: ما تقتضيه الفكرة العالمية عن الضيافة وتطبيقيها.
الثاني: الاستناد إلى فكرة الحق.
الثالث: الاستناد إلى أساس فكر المحبة الديني والاستناد إلى فكر الدافع الخيري.

فهذه المناهج ستعالَج ضمن فلسفة القارة الأوروبية المعاصرة، وستتم مناقشتها في سياق الدراسات المستندة إلى نظرتهم للآخرين.

الهجرة ومشكلة «التمثيل»: عمن نتحدث، وبأي لغة نحدثهم؟

التحركات الخارجة عن الحدود الوطنية هي إحدى السمات المميزة الرئيسة اليوم لمتعددي الجنسية، وللمنتمين إلى الجماعات الدينية والعرقية. ولكن تلك التحركات لا تحدث لكل الفئات على قدم المساواة؛ فقضية عبور الحدود، في كثير من الأحوال، تؤدي إلى نتائج مختلفة بعضها عن بعض تماماً، بسبب اختلاف الأصل العرقي أو القومي (٤)؛ لأن البنية الاجتماعية هي التي تؤسس الحقيقة والمفهوم. فحينما يكون التفكير من هذه الناحية فإن الهوية التي تعكسها وسائل الإعلام والمعاني المنتسبة إلى هذه الهوية لا يمكن أن ينظر إليها على أنها هوية غير قابلة للتغيير أو أنها تمثل الحقيقة، بل هي ناشئة عن البنية الاجتماعية. فهي هويات تأسست ضمن الظروف التاريخية والثقافية (٥)، وهذا جزء من عملية بناء الهوية «نحن» و«هم»، كما أنه يقدم أفكاراً حول كيفية

(٤) Yeğenoğlu, *Avrupa'da İslam, Göçmenlik ve Konukseverlik*, s. 1.

(٥) Pandır, Müzeyyen; Efe, İbrahim; Paksoy Alaaddin F. "Türk Basınında Suriyeli Sığınmacı Temsili Üzerine Bir İçerik Analizi", *Marmara İletişim Dergisi, Mülteciler ve Medya Özel Sayısı –I*, Sayı: 24, 2015, s. 3.

تكوين هوية اللاجئين السوريين خصوصاً [٦]. ولكن الدراسات السابقة- ممثلةً في وسائل الإعلام- تشير إلى أنَّ إنتاج فكرة «نحن» و«هم» أكثر تعقيداً وانعكاساً مما كان يعتقد سابقاً [٧]. وتذكر كثير من الدراسات أن قوالب تمثيل اللاجئين تظهر بالشكل الآتي غالبا: اللاجئ هو «المحتاج»، «الضحية»، «الألم والحزن واليأس»..

إن تلك القوالب [٨] هي التي تجعل اللاجئين وأمثالهم-مثل الأقليات-كأنهم يمثلون «التهديد» و«المشكلات»، وتتسبب تلك القوالب بأن ينظر إليهم على أنهم عناصر العنف والجريمة [٩]. وعندما نلقي النظر في سياق تحليل الخطاب نرى أن الكلمات الأكثر ترديداً بحسب السنين هكذا: في عام ٢٠١٥: «السوريون»، في عام ٢٠١٤: «الجامعة»، «الاجتماعي»، في عام ٢٠١٣: «اللاجئون»، «الدولي»، «الهجرة»، «التأثير»، في عام ٢٠١٦: «الصحي»، «الحياة»، «الوضع»، «الرأي العام»، فهذه هي الكلمات الأكثر تكراراً من بين الكلمات المستعملة. ونشاهد ضمن تلك الإحصائيات أهمية عام ٢٠١٥ في سياق تحقيق القضية وإشغالها مكانًا مهماً جداً من حيث التأثير في الرأي العام. وبالإضافة إلى ذلك نرى أيضا أن كلمة «الدولي» قد عولجت بها علاقات السوريين في تركيا مع المجتمع الدولي. وبكلمة «الصحة» و«الحياة» و«الوضع» تمت معالجة الجانب الإنساني للقضية، وتم جعلها في مقدمة الأمور [١٠].

ولو لاحظنا القضية بتفكير أوسع نرى أن الحجر الأساس لدراسات الهجرة هي العلاقة الإنسانية. وفي هذا السياق نجد أن «الهجرة والمساحة»، «الهجرة والثقافة»، «الهجرة والدولة»، و«الهجرة والقومية»، و«الهجرة والهوية»، و«الهجرة والأمة» كانت من الموضوعات الثنائية المفيدة في العمل الأكاديمي العلمي [١١].

(٦) Erdoğan, M. Murat, *Türkiye'deki Suriyeliler: Toplumsal Kabul ve Uyum*, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2015.

(٧) Pandır, Efe, Paksoy, "Türk Basınında Suriyeli Sığınmacı Temsili Üzerine Bir İçerik Analizi", s. 4.

(٨) Mannik, L. *Photography, Memory and Refugee Identity: The Voyage of The Walnut, 1948*. UBC Press. Vancouver 2012.

(٩) Mannik, L. *Photography, Memory and Refugee Identity: The Voyage of The Walnut, 1948*. UBC Press. Vancouver 2012.

(١٠) Erdem, Selvin, "Göçün Bilimsel Anlatısı: Türkiye 'Akademiya'sının Suriyeli 'Mülteciler' ile İmtihanı", *Boğaziçi Üniversitesi, Avrupa Çalışmaları Merkezi, Öğrenci Forumu (AÇMÖF) Bülteni (CESSF) Bulletin* Sayı: 5/Mayıs 2016, s. 22; Kirişçi, K. ve Karaca, S. "Hoşgörü ve Çelişkiler: 1989, 1991 ve 2011'de Türkiye'ye Yönelen Kitlesel Mülteci Akınları", Erdoğan, M. M. ve Kaya, A. (der.) *Türkiye'nin Göç Tarihi*. İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2015, s. 295-314.

(١١) Erdem, "Göçün Bilimsel Anlatısı", s. 17; Körükmez, L. ve Südaş, İ. der. *Göçler Ülkesi: Alkışlar, Göçmenler, Araştırmacılar*, Ayrıntı Yay. İstanbul 2015.

صحيفة بوستا ٣ مايو/ أيار ٢٠١٤: الصورة ١ [١٢].

يقول [١٣]: إن هذا المفهوم الذي يُستخدم يعني: تقييم «الآخرين» غير القادرين على تمثيل أنفسهم في الأعمال المجتمعية، والذين يعيشون في الجغرافيا الاستعمارية، والمساكين، واللاجئين وغيرهم [١٤] من المستبعدين عن المجتمع وعن مناطق عمل الحكومة واللاجئين غير القادرين على التعبير عن أنفسهم يقيّمون بوصفهم تهديداً للمجتمع برأي الحكومة. فحالة الانقسام التي يعيش فيها اللاجئون ووضعهم غير الثابت يؤدي إلى تعريفهم بالمفاهيم المادونية [١٥]. من خلال وجهة النظر هذه فإن قضية اللاجئين ليست قضية دينية وثقافية وعِرقية، بل ينظر إليها على أن اللاجئين «كالمعدومين» و«غير المهمين»، و«غير القابلين لأن يسمع لهم»، فاللاجئون «المادونيون» لا يعدون شيئاً، ويقيمون وفق البلدان التي جاؤوا منها أو التي مروا بها أو البلدان التي يقصدونها، وتمنح لهم الحقوق القانونية المختلفة. فعندما ينزح اللاجئون –الذين ينتمون في بلدانهم إلى فئات اجتماعية مختلفة– عن بلدانهم فإنهم يصبحون أشخاصاً أجانب غير مواطنين في البلدان التي ينزحون إليها [١٦]،

(١٢) Pandır, "Türk Basınında Suriyeli Sığınmacı Temsili Üzerine Bir İçerik Analizi", s. 16.

(١٣) Spivak, Gayatri Chakravorty, *Madun Konuşabilir mi?*, Çev. Dilek Hattaoğlu, Gökçen Ertuğrul, Emre Koyuncu, Dipnot Yay. Ankara 2016.

(١٤) Yetişkin, Ebru, "Postkolonyal Kavramlar Üzerine Notlar", *Toplumbilim Dergisi, Postkolonyal Düşünce Özel Sayısı*, 2000, Sayı: 25. ss. 15-20.

(١٥) Altıntaş, Safiye, "Davetsiz Misafirler: Türkiye'deki Mültecilerin Maduniyet Görünümleri", *İdeal Kent*, Sayı 14, Ekim 2014, s. 255.

(١٦) Altıntaş, "Davetsiz Misafirler: Türkiye'deki Mültecilerin Maduniyet Görünümleri", s. 257.

وبهذه الطريقة فإن هذه التفرقة القانونية يمكن أن نقول إنها نتيجة لضرورة سياسية.

الضيافة والدافع للعمل الخيري في إطار الموقف حيال الهجرة:

كما لا تعتمد الهجرة ولا تناقش ضمن الشروط القانونية والسياسية فقط، فإن مناقشتها مستقلة عن تلك الظروف غير ممكنة أيضاً. ولذلك فنحن بحاجة إلى بذل جهد لمقارنتها مع المفاهيم الأخرى ذات الصلة بهذا المعنى.

إن أهمية النقاش حول مفهوم الضيافة [١٧] تنشأ حقيقة من السياق الوطني والدولي الراهن لسياسة الهجرة التي لا تسمح باستضافة المهاجرين في الواقع. فمن الناحية النظرية -أي القوانين المكتوبة- يسمح للأجانب بحرية التنقل، والقوانين تعطيهم حق التمتع بالحرية الشخصية والاستفادة من الضمانات الشخصية والحقوق الأساسية، مثل: ضمان احترام الحياة الخاصة. ومع هذا ففي مرحلة التطبيق يبدو أنَّ تلك الحريات تبدأ بالانكماش والتقيد بالقواعد المتشددة على نحو متزايد. فمثلاً عندما نفكر باتفاقية Schengen شنغن، فمن ناحية نرى أنه قد تم فتح هذه الحدود بين الدول الأوروبية، ومن ناحية أخرى نرى أن نفس الحدود أكثر انغلاقاً ضد من هم خارج الاتحاد. ومع هذا أيضاً نرى أنه قد تم رفض طلبات اللجوء بالنسبة للسنوات السابقة، وتم حظر الطلب من قبل الشرطة الحدودية قبل تنظيم القوانين بهذا الشأن.

/ http://www.radikal.com.tr/dunya/multeciler-dudaklarini-dikti-1478503

(١٧) Kavramın ayrıntılı analizi için bkz. Direk, Zeynep, "Konukseverliğin Düşüncesi", *Defter*, Sayı: 31, 1997, s. 11-36.

لذلك تم حظر حرية الحركة عبر تعميم طلبات التأشيرة، وإغلاق الحدود مع وضع العقبات، مثل معاهدات تسليم المجرمين [١٨]. ومع ذلك قد يتم وضع هذه الموانع في الخطاب السياسي المتطور والأحكام القانونية المضاربة. مع ملاحظة الوفيات المتزايدة ولاسيما في السنوات الأخيرة [١٩]، فالضيافة في المفهوم الأساسي طوال التاريخ ترد فيها المعاني الدينية والاجتماعية والأخلاقية، ولذلك كانت موضوعاً للفلسفة والفلاسفة، فكيف يتم اختزالها في تعريفها القانوني والأخلاقي؟؟ [٢٠].

وكما أن الضيافة قضية قانونية، فكذلك هي عمل سياسي، أي ليست قضية مستقلة عن الظروف السياسية. فالضيافة وفق فلاسفة السياسة وعلمائها، وخاصة الفلسفة السياسية الجمهورية لمقلدي «Kant» قد صارت متناً خاصاً خاضعاً للدراسة. فمعضلة الاستضافة عند الأوروبيين، التي تستند إلى أفكار «Kant» تتحقق عند إصرارهم على إبقاء اللاجئين خارج حدود بلدهم، مثلاً في داخل الأراضي التركية [٢١].

كتاب «نحو السلام دائماً» الذي ألفه «Kant» وصدر عام ١٧٩٥ في «Könisberg» في الفترة التي كانت «Prusya» تحاول فيها حل النزاع مع «فرنسا» من خلال «اتفاقية Bale» يحتوي على الأمل المطلق والسلام النهائي، إنه في الواقع لا يذكر في مشروع السلام المستمر الحل المؤقت والتوصيات المفيدة، بل يؤكد على ما هو معقول عند الناس، ولا يتطرق إلى بنود القوانين المكتوبة [٢٢].

كان «Kant» يسعى لحل دائم لمشكلة الضيافة، ولهذا كان يدعو المسؤولين في الدولة والفلاسفة إلى أن يأخذوا بالاعتبار ما قدمه من مبادرات السلام الشامل. ومن ناحية أخرى كان يسعى من أجل المثل الأعلى للمواطنة العالمية، فقد كان يرى أن السبب الرئيس للجوء هو الحرب والسلاح والجيش والسياسة؛ ولذا يقترح إقامة علاقات ودِّية بين دول الجوار. وللحصول على السلام الدائم كان يقترح أيضاً عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وعدم تحريض المواطنين ضد حكوماتهم ونزع السلاح ورفع الجيش النظامي تدريجياً وعدم الاقتراض لإنتاج الأسلحة وإلغاء الحدود فيما بين الدول [٢٣]. فيقول «Kant» في مقالته «السلام الدائم

(١٨) Tunç, a.g.m. s. 481.

(١٩) Tunç, Serpil, "Konukseverlik: Hukukta ve Hukukun Ötesinde", s. 481.

(٢٠) Tunç, a.g.m. s. 481.

(٢١) Işıklı, Şevki, "İlticanın Yapısökümcü Felsefesi: Konuksevermezlik Sorunu", *Marmara İletişim Dergisi, Mülteciler ve Medya Özel Sayısı –I*, Sayı: 24, 2015, s. 57.

(٢٢) Tunç, a.g.m. s. 482.

(٢٣) Kant, Immanuel, *Ebedi Barış Üzerine Felsefi Deneme*, Çev. Y. Abadan, S. Meray, Ankara Üniversitesi, Siyasal Bilgiler Fakültesi Yay. Ankara 1960, 9-15; Işıklı, Şevki, "İlticanın Yapısökümcü Felsefesi: Konuksevermezlik Sorunu", s. 56; Teson, Fernando R. "The Kantian Theory of International Law", *Columbia Law Review*, Vol. XCII, 1992, s. 56.

والفلسفة»: إنَّ الضيافة ليست عملاً خيرياً [٢٤] بل هي حق واجب [٢٥]، وفي المادة الثالثة المعنونة بـ«السلام الدائم» التي تهمل في كثير من الأحيان ولا يتم التعليق عليها فقد أشار «Kant» نفسه إلى أهميتها المؤكدة [٢٦]. وفي هذا السياق يتحدث «Kant» عن الضيافة ويستغرب هذا التعبير ويقول: إن الضيافة ليس قضية خيرية بل هي حق واجب [٢٧] فهي قضية مهمة جداً عند Kant، ولا يمكن تركها لتردي الوضع الأخلاقي ونسبيته.

فالضيافة لا تعني عملاً خيرياً يقدم للنازحين من بلدهم، ولا تعني الشفقة عليهم، بل تتطلب الالتزام المدني تجاه من يعدّ عضواً محتملاً ضمن مواطني العالم المعترف به. وبهذا يكتسب معنى وجودياً [٢٨]. فالضيافة مستندة إلى وجود الشخص نفسه وإنسانيته التي ولدت من فكرة الحقوق الأساسية [٢٩]. ووفق بيان «Kant» فإن الضيافة هي ألا تعامل الأجانب الذين أتوا إلى بلادك معاملة الأعداء؛ فالساكن الأصلي لبلد ما له حق عدم القبول بالأجنبي ما لم يؤد ذلك إلى هلاكه. ولكن لابد أن يتعامل مع الأجنبي –ما دام يعيش في بلده– بطريقة سلمية، وفي هذه الحالة لا يحق للأجنبي أن يطلب حق الزيارة المستمرة. وهذه الإقامة ليست سوى إقامة مؤقتة يشترك فيها كل الناس، ويمكن عقد اتفاقية خاصة لمنح حق المواطنة الدائمة للأجانب [٣٠]. ووفقاً لـ«Kant» الذي يرى العالم أرضاً للمواطنة العالمية، فإن الإقامة المؤقتة خارج البلد ينبغي أن ينظر إليها دائماً على أنها حق للجميع، يشترك الناس كلهم فيها. هذه التصريحات لـ«Kant» تشير إلى أنه كان يفصل بين الإقامة الدائمة والإقامة المؤقتة. ومع ذلك لا يحدد الضيافة المستمرة كحق أخلاقي فقط، بل يرى أن «الإقامة الدائمة» هي «اتفاقية مبنية على الفائدة» يشكلها المواطنون بحرية تامة [٣١]. وهكذا فإن الضيافة وفقاً لآراء Kant ينبغي أن

(٢٤) Hayırseverlik kavramının analizi için bkz. Alam Choudhury, Masudul, "İnsan Potansiyeli, Saadet ve Hayırseverlik: Felsefi-Ekonomik Bir Araştırma", *İslam İktisadını Yeniden Düşünmek*, 2014, s. 181-222; Adıgüzel, Adnan, "İnsanlık Onurunu Koruma ve Kırma Arasında Hayırseverlik Anlayışı", *Eskişehir Osmangazi Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, 2014, cilt: I, sayı: 1, s. 56-77.

(٢٥) Hayırseverlik kavramının analizi için bkz. Alam Choudhury, Masudul, "İnsan Potansiyeli, Saadet ve Hayırseverlik: Felsefi-Ekonomik Bir Araştırma", *İslam İktisadını Yeniden Düşünmek*, 2014, s. 181-222; Adıgüzel, Adnan, "İnsanlık Onurunu Koruma ve Kırma Arasında Hayırseverlik Anlayışı", *Eskişehir Osmangazi Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, 2014, cilt: I, sayı: 1, s. 56-77.

(٢٦) Almanca metindeki ifade şöyledir: "Das Weltbürgerrecht soll auf Bedingungen der allgemeinen Hospitalitat eingeschrankt sein."

(٢٧) Benhabib, Seyla, *Ötekilerin Hakları Yabancılar, Yerliler, Vatandaşlar*, Çev. Berna Akkıyal, İletişim Yay. İstanbul 2016, s. 36-37.

(٢٨) Duva, Özlem, "Evrensel Konukseverlik ve Haklara Sahip Olma Hakkı", s. 515.

(٢٩) Duva, a.g.m. s. 515.

(٣٠) Kant, *Ebedi Barış Üzerine Felsefi Deneme*, s. 9-15.

(٣١) Duva, a.g.m. s. 515.

تحدد بشكل ملموس، وتعدّ حقاً للأجانب لأجل الحصول على الإقامة المؤقتة. ومع ذلك فحق الضيافة يوفر حق «الإقامة المؤقتة»، بحيث لا يمكن رفضها.

فبدل تحديد «Kant» لحق الضيافة على أنها التزام اخلاقي بحت، وتركها هكذا، عمد إلى جعلها أساساً قانونياً يوفر الحماية للنازحين وضحايا الحرب وعديمي الجنسية، ويسهم في القضاء على المعاملة اللاإنسانية. فالدول التي تقبل الأجانب تتحمل بموجب حق الضيافة "حق الإقامة المؤقتة" أيضاً، وتجعلها تحت الضمان حسب القوانين العالمية.

وتجدر الإشارة إلى أن «Kant» يرى أن الضيافة، بهذا المعنى، ستخدم حق الاندماج في تطوير العالم. وفي الواقع إن الضيافة، بهذا المعنى، ما هي إلا امتداد للحرية الإنسانية، وستساعد على الانتقال تدريجياً نحو مجتمع عالمي [٣٢]. وأما الشرط الوحيد للوصول إلى مجتمع عالمي فهو القانون الموضوعي وليس الأخلاق الشخصية.

وصياغة مشكلة الضيافة في السياق الأخلاقي والسياسي ناقشها «Derrida» متأثراً بتصور – Kant وLevinas. فقسم الضيافة إلى قسمين: الضيافة المؤقتة، والضيافة الدائمة.

ودليل وجود الضيافة المشروطة عند Kant هو المادة الثالثة من «مشروع السلام الأبدي» له [٣٣]. فهذه المادة –كما مرَّ– تحاول رسم الخطوط العريضة للمواطنة العالمية من خلال القانون. إذ ينبغي أن يكون القانون العالمي محدوداً بظروف الضيافة العالمية [٣٤] فيحدد القانون العالمي حق الضيافة، ويتم هذا التحديد بتنظيم قانون الضيافة.

فالضيافة عند «Kant» تعني ألا يُعامل أجنبي وصل إلى منطقة ما معاملة الأعداء، بل ينبغي أن يعامل معاملة الأصدقاء والحلفاء. وهكذا فإن مفهوم الضيافة عند «Derrida» ينقلب من ضيافة العداء إلى ضيافة الصداقة [٣٥].

فكرة الكونية عند «Kant» تنظم العلاقة بين المواطنين والدولة على أساس الضيافة العالمية في مستوى

(٣٢) Duva, a.g.m. s. 515.

(٣٣) Kant, *a.g.e.* s. 9-15; 3. Maddenin yorumu için bkz. Ökten, Kaan Harun, *Immanuel Kant'ın Ebedi Barış Üzerine Felsefi Deneme Adlı Eseriyle Ortaya Koyduğu Ebedi Barış Fikri ve Bu Fikrin Uluslararası İlişkiler Düşüncesinde Yarattığı Etki*, İstanbul Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Yayınlanmamış Doktora Tezi, İstanbul 2001, s. 117-126.

(٣٤) Kant, *a.g.e.* s. 9-15.

(٣٥) Gültekin, Ahmet Cüneyt, "Bağışlanan Konukseverlik ve Konuksever Bağışlama: Derrida Felsefesinde Etik (Olanaksız) ve Politika (Olanaklı) İlişkisi", *FLSF (Felsefe ve Sosyal Bilimler Dergisi)*, 2014 Bahar, sayı:17, s. 16; Derrida, Jacques, *Bağışlama ve Kozmopolitizm*, Çev. Ali Utku, Mukadder Erkan, İstanbul, Birey Yay, 2005, s. 34.

القانون والسياسية [٣٦]. فحق الضيافة المذكور قد يتم وضعه داخل الحدود والقيود. وبتعبير آخر: إن تقديم القانون العالمي كشرط للسلام الأبدي بين الناس يحدد بواسطة حق الضيافة، فيظهر كأن الضيافة نفسها هي المحدد [٣٧].

يشار إلى الضيافة عند «Kant» دائماً كمسألة قانونية في المجال العام وفي الطابع العام، فتعتمد على القوانين والشروط، وتكون تحت إشرافهما دائماً [٣٨]. والضيافة عند «Derrida» لا يمكن أن تكون محددة حسب المعايير القانونية الوضعية التي جعلت الأخلاق مهملة، بل ينبغي أن تكون مقررة حسب إمكانيات الأخلاق الشخصية الحرة. ولكن مشكلة فكرة الضيافة عند «Kant» مختلفة عن مشكلة فكرة الضيافة عند «Derrida». فالاختلاف يظهر فيما يقوله «Kant» في هذ المجال: هل هي بالنسبة للذين وضعهم وحدودهم معلومة؟ أم للبلاد والناس الذين وضعهم وحدودهم غير معلومة؟.. ولهذا ينبغي أن ننظر إلى ما اعترض فيه «Seyla Benhabib» على «Kant» حيث أشار في البداية إلى أن فكرة الضيافة عند «Kant» غير متاحة للاجئين ولمن يريدون الإقامة [٣٩]؛ لأن «Benhabib» يشير إلى أن «حق اللجوء» لا بد أن يؤسس على مستوى الالتزامات الأخلاقية المتبادلة، وهذا يتحقق في إطار إنسانيتنا المشتركة.

فقول «Benhabib» تعليقاً على «Kant» في هذا المجال لا يقدم جواباً واضحاً، «فحق الضيافة هو الاعتراف بحق الإقامة المؤقتة للأجانب الذين قبلوا من قبل الدول وفق الالتزامات الأخلاقية وضمان المنظمات. فهو يستدعي الالتزام الأخلاقي مع قبول العواقب القانونية المحتملة. فهذا النظام ليس مالكاً لقانون أعلى منه لتنفيذه، وفي هذا المعنى فإن التزام الضيافة للأجانب غير قابل للتنفيذ» [٤٠].

كما ينبغي أن تستند الضيافة وتقوم على مستوى من الالتزامات الأخلاقية المتبادلة في إطار إنسانيتنا المشتركة. يقول «Kant»: طلب حق الزيارة هو الحق الوحيد للأجانب. وبهذا يلغي حق تملك الأراضي. ومع ذلك فإن «Benhabib» يقول: إن «Kant» ذكر القانون العالمي نتيجة للتطور الفكري الذي هو نتاج عصر التنوير خصوصاً. وعلى هذا فإن حق الضيافة ليس حباً بشرياً ولا ضيافة غير مشروطة [٤١]. وتلخص هذه

(٣٦) Hent de Vries, "Derrida and Ethics: Hospitable Thought", in *Jacques Derrida and the Humanities, A Critical Reader*, edited by Tom Cohen, Cambridge University Press, 2001, s. 182.

(٣٧) Çotuksöken, Betül, "Kant'ta Barış Kavramı", *Barışın Felsefesi 200. Ölüm Yıldönümünde Kant*, Haz. İonna Kuçuradi), Türkiye Felsefe Kurumu, Ankara 2006, s. 56.

(٣٨) Derrida, *Bağışlama ve Kozmopolitizm*, s. 34.

(٣٩) Benhabib, Seyla, *Ötekilerin Hakları Yabancılar, Yerliler, Vatandaşlar*, Çev. Berna Akkıyal. İletişim Yay, İstanbul 2006, s. 46.

(٤٠) Benhabib, *Ötekilerin Hakları*, s. 39.

(٤١) Tunç, "Konukseverlik: Hukukta ve Hukukun Ötesinde", s. 486.

الكلمات لـ«Benhabib» المسألة بشكل واضح: «اللجوء إلى المساواة السياسية، ولو وسعت بطريقة تحمي بعض الناس، لا يمكن توسيعها بحيث تشمل الجميع أصلاً» (٤٢). ونتيجة لهذا الأمر فإن حل النقاش حول حقوق غير المواطنين هو جزء من المشكلة الحالية التي تنجرف إلى التضاد؛ لأن معايير العالمية تتجاوز حقوق المواطنين، ولها صعوبات متعلقة بالسلطة والالتزام، وهي واضحة كما هو معروف (٤٣)؛ وذلك لأنها على العكس من اتجاه الأخلاق الكونية لحقوق الإنسان، وبتعبير «Benhabib»: «الجهات السياسية الفاعلة في المدن والمناطق ممثلة في الدولة والمسؤولين، الذين يعتقدون أنهم بحاجة إلى المجتمعات المحدودة لإنشاء آليات يمكن نقلها» (٤٤).

يشير «Arendt» إلى أن مفهوم حقوق الإنسان في الدرجة الأولى متاح لمن نزحوا من بلادهم، وثانياً لمن فقدوا حمايتهم من قبل الإدارة السياسية. والسبب في هذا الوضع الصعب للاجئين عديمي الجنسية، من الناس الأبرياء الذين لا يحملون أية صفة سياسية، «ليس العيش والحرية والسعي إلى السعادة والمطالبة بحرية الفكر وبعدم حرمانهم من حقوق متساوية أمام القانون» بل كونهم حرموا من حقوقهم؛ لأنهم عندما فارقوا بلادهم فقدوا حماية الإدارة السياسية. وعليه فإنهم فقدوا مركزهم السياسي، وبتعبير آخر إن السبب الوحيد لسوء حالة هؤلاء الناس هو عدم كونهم أعضاء في أي مجموعة؛ أي مشكلتهم «ليس أنهم غير متساوين أمام القانون، بل مشكلتهم أنه ليس هناك قانون بالنسبة لهم» (٤٥).

وظل هؤلاء الناس طوال مدة حرمانهم من حقوقهم مواطنين خارجين عن القوانين، فهؤلاء الناس ليسوا مدينين بوجودهم للبلاد التي لجؤوا إليها، بل إلى رحمة الناس الأجانب؛ لأنه لا يوجد أيُّ قانون لإجبار أية دولة على إطعام هؤلاء الناس. ولهذا عند «Arendt» كانت فكرة حقوق الإنسان منفصلة عن الحقوق المدنية، وهي متاحة لمن فقدوا حق المواطنة والانتماء إلى مكان ما، كما فقدوا حق العضوية لمجتمع سياسي (٤٦).

والمفارقة هي بالضبط هنا، فالذي هو في شخصه رمز لحقوق الإنسان -أي اللاجئ- هو في الواقع مفهوم يشير إلى أزمة عميقة الجذور حدثت في شخصه ذاته؛ لأن اللاجئين النازحين ليس لهم أية مؤهلات أخرى دون كونهم بشراً. ومع هذا لا يوجد بِشأنهم أيُّ قانون، أي إنهم أناس خارجون عن إطار الحقوق «فالحقوق في الواقع ينبغي أن تكون لمن لا يملك أي حق» (٤٧).

(٤٢) Benhabib, *Ötekilerin Hakları Yabancılar, Yerliler, Vatandaşlar*, s. 76.

(٤٣) Soysal, Özgür, "Evrenselcilik-Tikelcilik Gerilimi Işığında Ötekinin Kaderi", *Birinci Uluslararası Felsefe Kongresi*, 14-16 Ekim Bursa 2010, s. 499.

(٤٤) Benhabib, *a.g.e.* s. 169.

(٤٥) Kaya, Funda Gürsoy, "Hukuk Versus Politika Kıskacında İnsan Hakları", *Birinci Uluslararası Felsefe Kongresi*, 14-16 Ekim Bursa 2010, s. 420.

(٤٦) Arendt, Hannah, *Totalitarizmin Kaynakları: Emperyalizm*, Çev. B. S. Şener, İletişim Yay. İstanbul 1998, s. 299-303.

(٤٧) Kaya, Funda Gürsoy, "Hukuk Versus Politika Kıskacında İnsan Hakları", s. 420.

يقول «Giorgio Agamben» في التعليق على هذه التصريحات لـ«Arendt»: إن Arendt حينما يربط بين مصير حقوق الإنسان وبين مصير الدولة القومية ينطلق من المفارقة الآتية: في الواقع، الشخصية التي لا بد أن تمثل حقوق الإنسان بشكل واضح بدأت تشير إلى أزمة جذرية متطرفة، ففي نظام الدولة القومية حينما تظهر حقوق الناس، التي من المفترض أنها مقدسة ولا تنتزع منهم، حينما تظهر منسوبة لمواطن دولة أخرى تفقد واقعيتها وتبقى من دون حماية [٤٨]، ولهذا يتبين سبب كون حقوق الإنسان ليست حقاً لكل الناس، بل هي حق لبعضهم. وإن سبب كون اللاجئين في نظام الدولة القومية الحديثة عنصراً نافراً هو أنهم يشكلون أزمة بالنسبة للمواطن والإنسان، وتقبع الأزمة في طريق التوسع المستمرِّ بين الولادة والجنسية. فاللاجئون بكشفهم الفرق بين الولادة والجنسية يظهرون المجال السياسي الخفي، يعني الحياة الواقعية، وبهذا المعنى فاللاجئ كما قال «Arendt» في الواقع هو «الإنسان المستحق للحقوق»، «ولذلك من الصعب جداً تحديد اللاجئين سياسياً» [٤٩].

يقول «Arendt»: إن مفهوم اللجوء ينبغي تخصيصه عن مفهوم حقوق الإنسان على وجه التحديد، ومصير حقوق الإنسان مرتبط بمصير الدولة القومية. وإن أية أزمة يعيشها أحدهما تدل على نهاية الآخر. فلا بد من التفكير وفق هذا، ويجب أن ينظر إلى اللاجئين على ما هم عليه: من علاقة الولادة والدولة والإنسان والقومية [٥٠].

هذه التصريحات تعطينا فكرة حول الموقف المناسب الذي لا يجب أن نتخذه تجاه اللاجئين والنازحين.

النقاش حول اللاجئين والنازحين «الآخرين» يحيلنا إلى سؤال آخر: ما هي إمكانات النقاش حول «الآخر»؟ وهل من الممكن أن يكون هذا النقاش في مستوى الفلسفة دون السياسة والحقوق؟

إن هذه المناقشات حول هذه الإشكالية تؤدي بنا إلى التحليلات الواسعة لـ«Martin Buber» و«Immanuel Levinas» و«Hans Georg Gadamer» حول «أنا–هو» و«أنا–أنت». فهذه التحليلات في «أنا–هو» تمثل الخطاب السياسي ضد المهاجرين اللاجئين، ويكون انعكاسها بين «أنا–أنت» انعكاسا أخلاقياً.

ويكشف «Buber» أسلوبين وجوديين بين «أنا–أنت» و«أنا –هو» فالشخص في أسلوب «أنا–أنت» يفهم كأنه جسم جامد يتشكل من المادة وحدها، فهو في هذا الحال مادة من المواد الجامدة منقطع عن هويته الأصلية، ومنفصل عن جانبه الروحي. فهو موجود في الزمان والمكان بوجوده الفيزيائي وحده، ليس له جانب معنوي كشجرة من الأشجار. فالعلاقة بهذا الأسلوب بين «أنا–هو» ليست علاقة واقعية؛ لأن هذه العلاقة

(٤٨) Agamben, Giorgio, *Kutsal İnsan*, Çev. İsmail Türkmen, Ayrıntı Yay. İstanbul 2013, s. 152-153.

(٤٩) Agamben, *Kutsal İnsan*, s. 158.

(٥٠) Agamben, *Kutsal İnsan*, s. 161.

ليست علاقة غائية، بل هي علاقة وسيلة؛ لأن شخصاً آخر عندما يكون بالنسبة لي «جامداً» إذاً فأنا وحيد جداً[٥١]، فطبيعة العلاقة بهذا الشأن بين «أنا–هو» تلغي الحوار وتقطع الاتصال، وتفرض الاتصالات بين الأفراد وفق أسلوب المونولوج [٥٢]؛ لأن من في مقابلك ليس حياً ملموساً، حتى إنه ليس كائناً قانونياً.

يرفض «Levinas» التفهم الأخلاقي المبني على النظرة الذاتية النقية؛ فهذا التفهم قد جاء نتيجة ضرورة موضوعية. وأما «Bumer» فإنه يقول: إن العلاقة بين «أنا–أنت» الآخر بالنسبة لي هي شيء حقيقي، وتوصلك إلى وجودك الحقيقي [٥٣].

إن هذا العالم هو عالم تسيطر فيه الأخلاق، وهذا أمر بديهي لا حاجة للنص عليه.

فلقاء «أنت» مع «أنا» لطفٌ من «أنت»، وليس سعياً من «أنا». فيشرح «أنت» بلا سعي وطلب من «أنا»، وقولي له «أنت» سبب لوجودي [٥٤]. فالمعنى الذي ينسب «للآخر» يعتمد على الواقع الذي يؤسس نفسه عليه ويرتبط به [٥٥]. فتعريف المرء نفسه يتحقق معه إعطاء مفهوم محدد للآخر [٥٦].

العلاقة بين «أنا–أنت» علاقة متبادلة عند «Bumer» «أنت» يوثر فيَّ بنسبة ما، وأنا أؤثر فيه. الحب أعمى ما لم يشاهد الموجودات كلها. وليس تحت سيطرة الكراهية من يرى العالم كله. وسلطة المرء قوله للآخر «أنت». ويمكن أن يصير كل من هو «أنت» «هو» أو أيَّ كائن. فـ«أنت» مع أنه ليس كائناً، ولكنه عندما يدخل وسيطاً يصبح كائناً من الكائنات، ويفقد طبيعته الحقيقية، فكما يستطيع «أنا» أن يجعل الكائن «أنت» كذلك يستطيع أن يجعل «أنت» كائناً [٥٧].

الموقف الفلسفي لـ«Bumer» أو لـ«Gadamer» قادر على توفير رؤى حول النهج الأخلاقي المهم لـ«الآخر». فهذه المناهج في نفس الوقت تحمل الأخلاق إلى ما وراء القواعد الجافة، وتجعلها وسيلة لتبادل المحبة والحوار مع «الآخر». ولعل العلاقات الإنسانية بين البشر –التي هي في ذروة الاغتراب في العصر الحديث– بحاجة ماسة إلى مثل هذه النهج الذي يصور الأخلاق بإخلاص وسيلة للحوار [٥٨].

(٥١) Buber, Martin, *I and Thou*, Charles Scrıbner's Sons, New York, 1958, s. 3-13.

(٥٢) Ulukütük, Mehmet, "Martin Buber ve Hans Georg Gadamer'in Felsefelerinde Ben-Sen İlişkilerinin Ahlakî Açılımları", *Birey ve Toplum: Sosyal Bilimler Dergisi*, 2011, cilt: I, sayı: 1, s. 138.

(٥٣) Buber, *I and Thou*, s. 5-6.

(٥٤) Gözel, Özkan. "'Öteki Metafiziktir': Levinas'ta Var/lık ve Öte/ki", *Tezkire*, Sayı: 38-39, Vadi Yay. An kara 2005, s. 56-70. Buber, *I and Thou*, s 9-11.

(٥٥) Gözel, Özkan. "'Öteki Metafiziktir': Levinas'ta Var/lık ve Öte/ki", *Tezkire*, Sayı: 38-39, Vadi Yay. An kara 2005, s. 56-70. Buber, *I and Thou*, s 9-11.

(٥٦) Ulukütük, "Buber ve Gadamer'in Felsefelerinde Ben-Sen İlişkilerinin Ahlakî Açılımları", s. 137.

(٥٧) Ulukütük, a.g.m. s. 138.

(٥٨) Ulukütük, a.g.m. s. 138.

وعند «Levinas» «الفهم الأخلاقي» هو الأساس الأول الذي تأسست عليه الفلسفة الأولى [٥٩]، وتماشياً مع هذه الفلسفة عند «Levinas» فإن أدب العلاقة مع «الآخر» يجب أن يكون مترفعاً عن الشروط، وفي إطار هذا التفكير تكون الضيافة مهمة جداً.

وتستند فكرة الضيافة دون شروط عند «Derrida» إلى أخلاقية فكرة الضيافة عند «Levinas» لذلك نريد أن نذكر باختصار أدب الضيافة عند «Levinas» من خلال مقارنة أخلاقية مع نظيره عند «Kant»:

أولاً: على الرغم من أن حقوق الضيافة عند «Kant» مرتبطة بالقانون الأخلاقي في مرحلته الأخيرة، إلا أنه لا يمكن التعبير عن أدب الضيافة عنده. ولذلك عُدَّ «Levinas» من المتطرفين حين جعل الضيافة مبنية على أساس أخلاقي [٦٠]، حيث إن التطرف بالفعل هو وضع مفهوم الضيافة وفق أساس أخلاقي [٦١]. ولا تستند هذه الضيافة إلى العقل الأخلاقي كما هو الحال عند «Kant» [٦٢].

ويتميز مفهوم الأخلاق عند «Levinas» من مفهوم الأخلاق عند «Kant» أولاً: من حيث المصدر؛ فهو ليس مسألة قانونية معتمدة على العقل، وليس قضية عالمية. فعند «Levinas» العالمية تأتي من شخص آخر، وليست مبدأ مجرداً [٦٣]. والأخلاق عنده هي لقاؤنا مع الآخر. فتظهر الأخلاق في وجه الشخص الآخر. يذكر «Levinas» لنا صدمة اللقاء مع وجه شخص ما، فهذه الصدمة هي صحوة الأخلاق. إذًا فإن «Kant» عندما يتحدث عن الأخلاق القانونية المجردة العالمية فإن «Levinas» يتحدث عن صحوة أخلاقية عند استضافة الآخر، فهو يأخذ المبادئ الأخلاقية من مصدر خارجي، وليس من مصادر داخلية [٦٤].

إذاً فالأخلاق عند «Levinas» نتيجة للقاء مع وجه الآخر، فكل ما يحتاج إلى الإرادة ليس من الأخلاق. فالمرء يكتشف الأخلاق بواسطة الآخر. ومع ذلك فإن الموضوع عند «Kant» له حكمه الذاتي فلا يخضع لأجنبي ولا لإنسان ولا إله. «Levinas» لا يعترف بحكمه الذاتي، والأخلاق والضيافة عنده يتمان من خلال قبول الآخر [٦٥]. وهذه الضيافة ليست مستمدة من قوة القانون، بل على أساس الإيثار الأخلاقي للآخرين.

وبعد أن شرحنا فلسفة الأخلاق عند «Levinas» نبدأ بما قاله «Derrida» في هذا الشأن:

(٥٩) Levinas, Emmanuel "Aşkınlık ve Yükseklik", çev. Hakan Yücefer, Zeynep Direk, *Sonsuza Tanıklık*'ın içinde, haz. Zeynep Direk, Erdem Gökyaran, Metis Yay, İstanbul 2003, s. 126.

(٦٠) Tunç, "Konukseverlik: Hukukta ve Hukukun Ötesinde", s. 487.

(٦١) Tunç, "Konukseverlik: Hukukta ve Hukukun Ötesinde", s. 487.

(٦٢) Tunç, a.g.m. s. 487.

(٦٣) Tunç, a.g.m. s. 487.

(٦٤) Tunç, a.g.m. s. 487.

(٦٥) Tunç, a.g.m. s. 487.

يعالج «Derrida» المشكلة تحت هذه المواد: أ. لسنا مهتمين بالإنسانية بل مهتمون بالحقوق. ب. ينبغي أن يقتصر حق المواطنة العالمية على الضيافة المقبولة عموماً[٦٦]. فيعالج «Derrida» تعامل الضيافة بهذه الطريقة في المجال الأخلاقي والسياسي قائلاً في المقدمة: «نحن لا نعرف ما هي الضيافة؟» [٦٧].

ويمكن تفسير هذا النهج كوسيلة لتفكير «Derrida» فهو يقف على العتبة، ويظهر معضلات المنهج وظروفه [٦٨]، ويؤكد على التناقضات الكامنة في مجال الضيافة. فهذا الانفتاح بشأن الضيافة التي تستخدم فيها المفردات من مثل: «دعوة»، «الاستضافة»، «سيد بيته» [٦٩] يشير إلى أن الضيافة حق، بل واجب ضروري. فالأجنبي لا بد أن يستضيف «الآخر» كأنه صديق، ومع ذلك لا بد أن يبقى صاحب البيت الذي يقبل اللاجئين مع سيادته، ويحافظ على سلطته في بلده. وهكذا يعترف بقانون خاص بالضيافة يمنح له حق سلطته في بلده [٧٠]. فـ«Derrida» يحاول زيادة المناطق المفتوحة لـ«الآخر»، ويصبح عنده تقييم الضيافة بـ: كيف نتعامل مع المهاجرين واللاجئين؟ [٧١]، ومعنى قول «Derrida» في المقدمة: «نحن لا نعرف ما هي الضيافة» [٧٢] على ما قاله «Işıklı» أنه قصد به الحضارة الغربية.

يبدو أن مفهوم الضيافة المقبولة في المجتمعات الشرقية، مثل تركيا، لم يتم حله بشكل كاف؛ لأن المجتمع التركي كان قد استضاف مليونين وثمانمئة ألف شخص منذ عام ٢٠١١. ومع أنه لم يتم حماية اللاجئين بشكل تام من العنف الجسدي أو الميتافيزيقي والإقصاء، إلا أن السؤال في اللغة التركية بـ«من أنت؟» يعدّ بداية للدعوة، لأنه سؤال لمن هو خلف الباب، ويريد أن يدخل الدار. فهذا السؤال الموجه إليه بـ«مَنْ» يطلب منه إجابة ليس على معارضة «أنا–أنت»، بل على أساس تقديم الجواب بصيغة الغائب. وهذا الجواب ينمّ عن طرف ثالث لا علاقة له بـ«أنا–أنت»، وهو محاولة لإقامة العلاقة والاتصال فيما بيننا، فهو حتى الآن ليس بصديق ولا عدو.

(٦٦) Derrida, Jacques, "Konuksev(-er-/-mez-)lik (Hostipitalité)", Çev. Ferda Keskin, Önay Sözer, *Pera Peras Poros: Jack Derrida ile Birlikte Disiplinlerarası Çalışma*'nın içinde, İstanbul, Yapı Kredi Yay, 1999, s. 3.

(٦٧) Derrida, "Konuksev(-er-/-mez-)lik (Hostipitalité)", s. 51.

(٦٨) Bkz. Evink, Eddo, "Patočka ve Derrida: Sorumluluğun Açmazları", Çev. Ekrem Ekici, *Cogito, Derrida Özel Sayısı*, Sayı: 47-48, Yapı Kredi Yay, İstanbul 2006, s. 256-269.

(٦٩) Derrida, *a.g.e.* s. 51.

(٧٠) Derrida, *a.g.e.* s. 48.

(٧١) Çoban, F. "Bir giriş: Derrida'nın Hayaletlerinden Marks'ın Hayaletlerine", *SDÜ, Sosyal Bilimler Dergisi*, Sayı: 35, 2005, s. 156.

(٧٢) Derrida, "Konuksev(-er-/-mez-)lik (Hostipitalité)", s. 51.

النتيجة:

يعدّ مفهوم «معاً» أو «العيش معاً» -رغم كل الفروق بالنسبة للإنسان الذي يعيش حياة عالمية في العصر الحديث تحت هيمنة النظام العالمي- ضرورةً لها منافع اقتصادية تمنح الإنسان إمكان تنويع المجالات الثقافية والاجتماعية، كما تمنحه فرصة سياسية. فكما يقال للقرب المادي مع الأصول البيولوجية «العيش معاً» كذلك يقال لمن يعيشون في عالم واحد بوجود الاهتمام المشترك: «الحياة». وفي هذا المعنى فإن الحاجة إلى العيش مع الشعور بالقلق تشير إلى تصور حياة مثالية. وهذا يعني أن يكون لها موقف ومستوى رفيع ومتطلبات، لأن نظرتك الخاصة بك كلما كانت محتكمة إلى الأمور المعنوية والأخلاقية فإن نظرتك إلى الآخرين ستكون أكثر ثقة. فإذا كانت لديك أية معضلات وتناقضات مع نفسك فإنك لن تكون في شك وانعدام ثقة بالآخرين فقط، بل ستراهم خطراً وتهديداً لك أيضاً. ولهذا فإن وجود حياة «معاً» هو مسألة تصور وموقف ومستويات.

في عالمنا اليوم تسبب رسم الخرائط في المكاتب ومعارك المصالح السياسية الدولية نزوح الناس عن بلادهم بإجبارهم على الهجرة إلى بلدان أخرى على نطاق واسع.

وعلى الرغم من أن الناس في العصور الوسطى كانوا يسافرون من بلد إلى بلد آخر بشكل حر، فإن بعض الناس في العالم الحديث قد أجبروا على الهجرة من بلدانهم وأصبحوا لاجئين في بلدان أخرى. وقد ظهر عدد كبير على مستوى العالم أجبروا على ترك بلادهم التي ولدوا وعاشوا فيها. وهذا الخلل الديموغرافي في حياة الناس ليس ناتجاً عن العبء الاقتصادي ومسألة الحقوق الديموقراطية فقط، بل هو من القضايا المهمة والحيوية.

نوقشت مسألة العيش معاً اليوم خصوصاً لدى النازحين الذين يعيشون في ظروف صعبة جداً، ولكن يغيب عالمهم الداخلي بين تلك المناقشات والمعطيات العددية والتوازنات السياسية.

إن الدعوة إلى «الحياة معاً» لا تعني سجن من أجبروا على ترك بلادهم وعزلهم عن الوجود، بل تعني إسكانهم في أنحاء البلد أيضاً؛ لأنه في إطار ما قاله «Işıklı»: «عندما قبلت تركيا اللاجئين وفرت احتياجاتهم اللازمة، وحمتهم من غضب وضرر حاكم بلدهم، وأعدت لهم المأوى والمخيمات».

ولو لم يخرج اللاجئون خارج المخيمات ولم يتجولوا في داخل البلد بحرية فإن الضيافة لا تعدّ مستوفاة. فمخيمات اللاجئين في حكم غرفة الضيوف. وإذا لم يكن هناك تجول خارج المخيم فليست هناك ضيافة. ومعنى اللجوء إنما يبنى داخل المنزل. وطالما بقي اللاجئ في مخيمات اللاجئين فإنه لا يتحصل على الضيافة، ولا تتحصل المجتمعات المحلية على حكم الاستضافة.

غاية المخيمات بالنسبة للاجئين هي التجوال في كل البلد. وطالما بقي اللاجئ في المخيمات فليس بلاجئ؛ لأن اللاجئ هو الذي استقبل بالضيافة. وتشمل الضيافة التعامل بالتسامح أيضاً [٧٣]. وتعني الضيافة أن تطعمه مما تأكل، وتكسيه مما تلبس، وتحزن لما يحزنه. والتوازنات السياسية والقانونية قد تقصر حياتهم وتحبس أبدانهم،

(٧٣) Işıklı, a.g.m. s. 72.

لكن العيب أن يكون هذا الموقف من أهل البلد، وهذا العيب يظهر المستوى الأخلاقي أيضاً.

«الحياة معاً» تناقش في عالمنا اليوم على مستوى الشرق والغرب، لأن شعوب الشرق قد أجبروا على ترك بلادهم التي أصبحت جهنمَ، واضطروا للجوء إلى الغرب. ولكن اللاجئين في رؤية الغرب هم عبء اقتصادي وخلل ديموغرافي في الأمس واليوم. والعيش مع «الآخر» في نظرهم هو ما كان له فائدة اقتصادية وضرورة سياسية وفرصة لتنويع الثقافة والعلاقات الاجتماعية. أما إن لم تكن هناك فوائد اقتصادية فإنه لا فرصة للعيش المشترك، لأنه عندما يتعلق الأمر بالمهاجرين فإن كل الناس، سواء المسؤولون أم غيرهم، لا يهمهم سوى النقود، وليس الحياة ولا الإنسان. والحال أن قضية اللاجئين هي ليست قضية اقتصادية وسياسية، بل هي قضية إنسانية وأخلاقية.

أريد أن أختتم دراستي بهذا الاقتراح: قمنا بتقييم ما نعيشه بالمعنى الإنساني من أزمة الهجرة واللجوء من ثلاث نواح: الضيافة–الدافع الخيري–والحق، ولقد ناقشنا المقترحات والتحليلات الإنسانية والأخلاقية، وأومأنا إلى أفكارنا فيما بين السطور، ولو لم نصرح به صراحة. والآن نبدي ما نفضله من بين الاتجاهات: في الواقع كل الاقتراحات من الضيافة والدافع الخير والحق كلها أخلاقية وإنسانية، ولكن حسب ما أرى فإنه في الممارسة العملية هناك ثلاث جهات لديها فرصة للقيام بشيء تجاه قضية الهجرة هي: المجتمعات الأهلية، والشعب، والدولة. وأقترح أن تتبنى المجتمعات الأهلية روح الضيافة، ويتبنى الشعب الدافع الخيري، وتحقق الدولة المعايير القانونية، فيتحقق بهذا الاتجاه توسيع الضيافة واستمرار الدافع الخيري والوصول إلى العقوبات التنفيذية.

المراجع:

- Adıgüzel, Adnan, "İnsanlık Onurunu Koruma ve Kırma Arasında Hayırseverlik Anlayışı", Eskişehir Osmangazi Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, 2014, cilt: I, sayı: 1, s. 56-77.
- Agamben, Giorgio, Kutsal İnsan, Çev. İsmail Türkmen, Ayrıntı Yay. İstanbul 2013.
- Akalın, A. "Açık, Döner, Mühürlü Kapılar. İçinde, Ihlamur-Öner", S. G. ve Şirin Öner N. A. der. Küreselleşme Çağında Göç: Kavramlar, Tartışmalar, İletişim Yay. İstanbul 2012, s. 89-106.
- Alam Choudhury, Masudul, "İnsan Potansiyeli, Saadet ve Hayırseverlik: Felsefi-Ekonomik Bir Araştırma", İslam İktisadını Yeniden Düşünmek, 2014, s. 181-222.
- Altıntaş, Safiye, "Davetsiz Misafirler: Türkiye'deki Mültecilerin Maduniyet Görünümleri", İdeal Kent, Sayı 14, Ekim 2014, s. 252-276.
- Arendt, Hannah, Totalitarizmin Kaynakları II: Emperyalizm, Çev. Bahadır Sina Şener, İletişim Yay, İstanbul 1998
- Ayten, Ali, Empati ve Din: Türkiye'de Yardımlaşma ve Dindarlık Üzerine Psiko-sosyolojik Bir Araştırma, İz Yay. İstanbul 2013.
- Baysa, Hüseyin, "İslâm Hukukundaki Himaye Geleneği Muvacehesinde Mültecilik Sistemi", II. Ortadoğu Konferansları: Ortadoğu'daki Çatışmalar Bağlamında Göç Sorunu, 28-29 Nisan, Kilis, Türkiye 2016.
- Benhabib, Seyla. Ötekilerin Hakları Yabancılar, Yerliler, Vatandaşlar, Çev. Berna Akkıyal, İletişim Yay, İstanbul 2006.
- Bernasconi, Robert, "Levinas ve Ötekilik Politikası", Çev. Zeynep Direk, Tezkire, 38-39, 2004.
- Buber, Martin, Ben ve Sen, Çev. İnci Palsay, Kitabiyat Yay. Ankara 2003.
- Buber, Martin, I and Thou, Charles Scrıbner's Sons, New York, 1958.
- Castles, S. ve Miller, J. M. Göçler Çağı: Modern Dünyada Uluslararası Göç Hareketleri, İstanbul Bilgi

Üniversitesi Yay. İstanbul 2008.
- Chakrabarty, Dipesh, Avrupa'yı Taşralaştırmak Postkolanyal Düşünme ve Tarihsel Farklılık, Çev. İlker Cörüt, Boğaziçi Yay. İstanbul 2012.
- Chambers, Iain, Göç, Kültür ve Kimlik, Çev. İsmail Türkmen, Mehmet Beşikçi, Ayrıntı Yay. İstanbul 2014.
- Çelebi, Volkan, "Giriş", Mono Kusursuz Labirent, Levinas Özel Sayısı, Ed. Volkan Çelebi, Sonbahar, 2010, Sayı: 8-9, İstanbul 2010.
- Çoban, F. "Bir giriş: Derrida'nın Hayaletlerinden Marks'ın Hayaletlerine", SDÜ, Sosyal Bilimler Dergisi, Sayı: 35, 2015.
- Çotuksöken, Betül, "Kant'ta Barış Kavramı", Barışın Felsefesi 200. Ölüm Yıldönümünde Kant, Haz. İonna Kuçuradi, Türkiye Felsefe Kurumu Yay. Ankara 2006.
- De Vries, Hent, "Derrida and Ethics: Hospitable Thought", in Jack Derrida and the Humanities, A Critical Reader, edited by Tom Cohen, Cambridge University Press, (s. 172-192), 2001.
- Derrida, Jacques, "Konuksev(-er-/-mez-)lik (Hostipitalité)", Çev. Ferda Keskin, Önay Sözer, Pera Peras Poros: Jack Derrida ile Birlikte Disiplinlerarası Çalışma'nın içinde, İstanbul, Yapı Kredi Yayınları, (s. 43-71), 1999.
- Derrida, Jacques, "Şiddet ve Metafizik", Çev. Zeynep Direk, Cogito, Derrida Özel Sayısı, Sayı: 47-48, İstanbul, Yapı Kredi Yay, 2006, s. 62- 160.
- Derrida, Jacques, Bağışlama ve Kozmopolitizm, Çev. Ali Utku, Mukadder Erkan, İstanbul, Birey Yay, 2005.
- Direk, Zeynep, "Derrida'nın Düşüncesinin Fenomenolojideki Kaynakları", Çağdaş Fransız Düşüncesi içinde, Ankara, Epos, 2004, s. 133-156.
- Direk, Zeynep, "Konukseverliğin Düşüncesi", Defter, Sayı: 31, 1997, s. 11-36.
- Direk, Zeynep, "Levinas ve Kierkegaard: Etik ve Politika", Baykuş, Sayı: 1, İstanbul 2008, s. 141-164.
- Direk, Zeynep, Başkalık Deneyimi: Kıta Avrupası Felsefesi Üzerine Denemeler, Yapı Kredi Yay, İstanbul 2005.
- Durmaz, Osman, İslâm'da Mülteciler Hukuku, Yüksek Lisans Tezi, Çanakkale On sekiz Mart Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Yayımlanmamış Yüksek Lisans Tezi, Çanakkale 2014.
- Duva, Özlem, "Evrensel Konukseverlik ve Haklara Sahip Olma Hakkı", Birinci Uluslararası Felsefe Kongresi, 14-16 Ekim, Bursa 2010.
- Erdem, Selvin, "Göçün Bilimsel Anlatısı: Türkiye 'Akademiya'sının Suriyeli 'Mülteciler' ile İmtihanı", Boğaziçi Üniversitesi, Avrupa Çalışmaları Merkezi, Öğrenci Forumu (AÇMÖF) Bülteni (CESSF) Bulletin Sayı: 5/Mayıs 2016, s. 15-29.
- Erdoğan, M. Murat, Türkiye'deki Suriyeliler: Toplumsal Kabul ve Uyum, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2015.
- Erdoğan, M. Murat, Türkiye'ye Kitlesel Göçlerde Son ve Dev Dalga: Suriyeliler, Erdoğan, M. M. ve Kaya, A. (der.) Türkiye'nin Göç Tarihi, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2015.
- Evink, Eddo, "Patočka ve Derrida: Sorumluluğun Açmazları", Çev. Ekrem Ekici, Cogito, Derrida Özel Sayısı, Sayı: 47-48, Yapı Kredi Yay, İstanbul 2006, s. 256-269.
- Gözel, Özkan. "'Öteki Metafiziktir': Levinas'ta Var/lık ve Öte/ki", Tezkire, Sayı: 38-39, Vadi Yay. Ankara 2005.
- Gültekin, Ahmet Cüneyt, "Bağışlanan Konukseverlik ve Konuksever Bağışlama: Derrida Felsefesinde Etik (Olanaksız) ve Politika (Olanaklı) İlişkisi", FLSF (Felsefe ve Sosyal Bilimler Dergisi), 2014 Bahar, sayı: 17, s. 13-34.
- Hazan, J. C. "Geçmişten Geleceğe Zorunlu Göç: Mülteciler ve Ülke İçinde Yerinden Edilmiş Kişiler", Ihlamur-Öner, S. G. ve Şirin Öner N. A. (der.) Küreselleşme Çağında Göç: Kavramlar, Tartışmalar, İletişim Yay. İstanbul 2012, s. 183-197.
- Ihlamur-Öner, S. G. ve Şirin Öner N. A. Küreselleşme Çağında Göç: Kavramlar, Tartışmalar, İletişim Yay. İstanbul 2012.
- Işıklı, Şevki, "İlticanın Yapısökümcü Felsefesi: Konuksevermezlik Sorunu", Marmara İletişim Dergisi, Mülteciler ve Medya Özel Sayısı –I, Sayı: 24, 2015, s. 55-75.
- İçduygu, A., Erder, S. ve Gençkaya, Ö. F. (der.) Türkiye'nin Uluslararası Göç Politikaları, 1923-2023, Koç Üniversitesi Göç Araştırmaları Merkezi, İstanbul 2014.
- Kant, Immanuel, "Perpetual Peace: A Philosophical Sketch" Trans. H.B. Nisbet, Kant: Political Writings, Ed: Hans Reiss, Cambridge University Press, 1994, s. 93-130; Türkçe Çevirisi: "Ebedi Barış Üzerine Felsefi Deneme", Çev. Y. Abadan, S. Meray, Ankara Üniversitesi, Siyasal Bilgiler Fakültesi Yay. Ankara 1960.

- Kaya, Funda Gürsoy, "Hukuk Versus Politika Kıskacında İnsan Hakları", Birinci Uluslararası Felsefe Kongresi, 14-16 Ekim, Bursa 2010.
- Kirişçi, K. Misafirliğin Ötesine Geçerken: Türkiye'nin "Suriyeli Mülteciler" Sınavı, Çev. S. Karaca, Brookıngs Enstitüsü & Uluslararası Stratejik Araştırmalar Kurumu (USAK), Ankara 2014.
- Kirişçi, K. ve Karaca, S. "Hoşgörü ve Çelişkiler: 1989, 1991 ve 2011'de Türkiye'ye Yönelen Kitlesel Mülteci Akınları", İçinde, Erdoğan, M. M. ve Kaya, A. (der.) Türkiye'nin Göç Tarihi, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2015, s. 295-314.
- Körükmez, L. ve Südaş, İ. der. Göçler Ülkesi: Alkışlar, Göçmenler, Araştırmacılar, Ayrıntı Yay. İstanbul 2015.
- Levinas, Emmanue, "Fenomenolojiden Etiğe", Çev. Özkan Gözel, Sonsuz'a Tanıklık, Metis Yay. İstanbul 2003.
- Levinas, Emmanuel, "Aşkınlık ve Yükseklik", çev. Hakan Yücefer, Zeynep Direk, Sonsuza Tanıklık'ın içinde, haz. Zeynep Direk, Erdem Gökyaran, Metis Yayınları, İstanbul, 2003.
- Levinas, Emmanuel, "Başka'nın İzi", Çev. Erdem Gökyaran, Sonsuz'a Tanıklık, Haz. Zeynep Direk, Erdem Gökyaran, İstanbul, Metis Yay, 2003, s. 129-146,
- Levinas, Emmanuel, "Özgürlük ve Buyruk", Çev. Hamdi Özyel, Tezkire, sayı: 38-39, Vadi Yay. Ankara 2005.
- Levinas, Emmanuel. "Etik ve Sonsuz", Çev. Özkan Gözel, Sonsuz'a Tanıklık. Metis Yay. İstanbul 2003.
- Mannik, L. Photography, Memory and Refugee Identity: The Voyage Of The Walnut, 1948, UBC Press, Vancouver 2012.
- McLaughlin, G. Refugees, Migrants and The Fall of The Berlin Wall, Greg Philo (Ed.) Message received. Routledge, London 1999.
- Müftüoğlu, Ömer, "Vahiy Geleneğinde "Konuk/DaYF" Kökünün Semantik Analizi", EKEV Akademi Dergisi -Sosyal Bilimler -, 2004, cilt: VIII, sayı: 18, s. 105-114.
- Naas, Michael. "'Alors, qui êtes-vous?' Jacques Derrida ve Konukseverlik Sorusu", Çev. Elis Simson, Cogito, Derrida Özel Sayısı içinde, Sayı: 47-48, İstanbul 2006, s. 236-250.
- Ökten, Kaan Harun, Immanuel Kant'ın Ebedi Barış Üzerine Felsefi Deneme Adlı Eseriyle Ortaya Koyduğu Ebedi Barış Fikri ve Bu Fikrin Uluslararası İlişkiler Düşüncesinde Yarattığı Etki, İstanbul Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Yayınlanmamış Doktora Tezi, İstanbul 2001.
- Pandır, Müzeyyen; Efe, İbrahim; Paksoy Alaaddin F. "Türk Basınında Suriyeli Sığınmacı Temsili Üzerine Bir İçerik Analizi", Marmara İletişim Dergisi, Mülteciler ve Medya Özel Sayısı –I, Sayı: 24, 2015, s. 1-26.
- Spivak, Gayatri Chakravorty, Madun Konuşabilir mi?, Çev. Dilek Hattaoğlu, Gökçen Ertuğrul, Emre Koyuncu, Dipnot Yay. Ankara 2016.
- Stocker, Barry, "Derrida Etiğinde Çelişki, Aşkınlık ve Öznellik", Çev. Özge Ejder, Cogito Dergisi, Derrida Yaşamı Yeniden Düşünürken, Sayı: 47-48, 2006, s. 334- 347.
- Tekeli, İlhan, "Türkiye'nin Göç Tarihindeki Değişik Kategoriler" içinde, Göç ve Ötesi, Tarih Vakfı Yurt Yay. İstanbul 2008, s. 42- 65.
- Teson, Fernando R. "The Kantian Theory of International Law", Columbia Law Review, Vol. XCII, 1992.
- Tunç, Serpil, "Konukseverlik: Hukukta ve Hukukun Ötesinde", Birinci Uluslararası Felsefe Kongresi, 14-16 Ekim, Bursa 2010.
- Ulukütük, Mehmet, Suriyeli Misafirlere Yönelik Sosyal Uyum ve Eğitim Müfredatları Çalışması Raporu, BEKAM, İstanbul 2015.
- Ulukütük, Mehmet, "Konukseverlik, Birlikte Yaşama ve Felsefî Açılımları", Göçler ve Ortak Geleceğimiz Sempozyumu, Akadder, Tire Kitap Yay. İstanbul 2016, s. 105-111.
- Ulukütük, Mehmet, "Martin Buber ve Hans Georg Gadamer'in Felsefelerinde Ben-Sen İlişkilerinin Ahlakî Açılımları", Birey ve Toplum: Sosyal Bilimler Dergisi, 2011, cilt: I, sayı: 1, s. 123-140.
- Van Dijk, T. A. Racism and The Press, Routledge, London 1991.
- Yeğenoğlu, Meyda, Avrupa'da İslam, Göçmenlik ve Konukseverlik, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay. İstanbul 2016.
- Yetişkin, Ebru, "Postkolonyal Kavramlar Üzerine Notlar", Toplumbilim Dergisi Post-kolonyal Düşünce Özel Sayısı, 2000, Sayı: 25, s. 15-20.

القيمة المعاصرة لأسلوب النبي ﷺ في إدارة الأزمات*

د. معمر بيراق توتار

جامعة غازي عثمان باشا – كلية الإلهيات؛ قسم الحديث: muammerbayraktutar@hotmail.com

ترجمة: إسماعيل يلماز – عادل أوزتكين

الخلاصة:

لقد تحولت مشكلة الهجرة إلى أزمة محلية وعالمية من النواحي: الإنسانية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية والقانونية، بخاصة بعد بروز الصراعات الداخلية في منطقة الشرق الأوسط، والتي ما زالت تستمر تداعياتها حتى هذه اللحظة، ولحل هذه الأزمة المعيشة بنجاح فإن الأمر يتطلب منا إدارة ناجحة لها وتفكيرا فيها، وإذا نظرنا إلى عصر النبي ﷺ وجدناه وأصحابه قد خاضوا مثل هذه التجربة بشكل أو بآخر، حيث إن مواجهة النبي لهذه المشكلة وقدرته على حلها سيقدم لنا حلولا معاصرة ذات قيمة وأهمية، خاصة وأنه قد ذاقها بنفسه، وفي هذه المقالة سأتعرض لمعنى الأزمة وكيفية إدارتها، وقد ألمحت في مقالتي إلى تجربة الهجرة التي عاشها المجتمع الإسلامي الأول، بالبحث والتدقيق عن كيفية إرساء النبي ﷺ المبادئ الأساسية وكيفية مراعاته حل ما تولد عنها من مشكلات بوسائل مختلفة، وكيف استطاع النبي ﷺ أن يحول الأزمة السلبية للهجرة إلى قدرة إيجابية، وفرص بنظرته إلى الحياة،وقد حاولت أن أقيم تجربة النبي ﷺ في ذلك، كما حاولت تطبيق النتائج الماضية على مشكلة الهجرة المعاصرة، وقد اقترحت بعض الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: النبي، حديث، سنة، هجرة، أزمة، إدارة الأزمة

Kriz Yönetimi Açısından Hz. Peygamber'in Göç Sorununa Yaklaşımı Ve Güncel Değeri

Özet

Ortadoğu'da yaşanan iç çatışmaların bir sonucu olarak ortaya çıkan göç dalgası ve göç sorunu insanî, toplumsal, ekonomik, siyasî, hukukî vs. yönlerden bölgesel ve küresel bir krize dönüşerek varlığını sürdüren bir mesele haline gelmiştir. Yaşanan göç sorunlarının çözümü ise, her şeyden önce başarıyla yürütülmesi gereken bir kriz yönetimine ve anlayışına bağlıdır. İslâm Peygamberi Hz. Muhammed'in (sas) yaşadığı döneme baktığımızda, kendisi ve kendisine inanan arkadaşlarının da benzer sorunlara muhatap kaldıkları görülmektedir. Bizatihi kendisi de bir Muhâcir/göçmen olan Hz. Peygamber'in, göç hâdisesine ve göçten kaynaklanan sorunlara yaklaşım tarzı ve çözümleri, günümüzde yaşanan benzer sorunların çözümüne yönelik katkılar sunabilecek bir değere ve öneme sahiptir. Bildiride

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Kriz Yönetimi Açısından Hz. Peygamber'in Göç Sorununa Yaklaşımı ve Güncel Değeri" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (معمر بيراق توتار، القيمة المعاصرة لأسلوب النبي ﷺ في إدارة الأزمات، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ٩٩-١٢٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

öncelikle kriz ve kriz yönetiminin anlamı ve mahiyeti hakkında bilgiler verilmiş, akabinde Hz. Muhammed ve ilk İslâm toplumunun yaşadığı göçlere değinilmiştir. Bu arada Hz. Muhammed'in kriz yönetiminde gözettiği temel ilkelere vurguda bulunularak, göç sorununa ve göç sorunundan kaynaklanan krizlere nasıl baktığı, bu hususta ne tür çözümler ürettiği, sonuçta söz konusu sorunlara pozitif bir yaklaşım sergileyerek nasıl birer fırsata ve olumlu gelişmelere çevirdiği araştırılmış ve incelenmiştir. Göç sorununa ilişkin Hz. Muhammed tarafından ortaya konulan ilke ve uygulamalar, halen yaşanmakta olan güncel göç sorunlarının çözümüne sunabileceği katkılar açısından da değerlendirilmiş, konuyla ilgili bazı tespit ve önerilerde bulunulmuştur.

Anahtar Kelimeler: Hz. Peygamber, Hadis/Sünnet, Hicret, Kriz, Kriz Yönetimi

The Prophet Mohammed's Approach to the Problem of Immigration in Terms of Crisis Management And its Current Value

Abstract

The migration issue and movement, which occurs as a result of domestic conflicts in the Middle East, has become a current matter by turning a regional and world-wide crisis in many aspects such as human, social, economic, political, judicial, etc. First of all, solutions of the immigration depend on a crisis management that should be conducted effectively. As can be seen in the period of the prophet Mohammad, he and his companions had similar migratory problems. As an immigrant by himself, the Prophet Mohammad's approaches and implications regarding migration and migration-based problems have a considerable importance which could make contributions to the current similar problems. In this paper, first, the meaning of crisis and crisis management are discussed, and then the immigration movements of the prophet Mohammad and first Islam society are addressed. Meanwhile, emphasizing on the prophet Mohammad's fundamental principles in crisis management, this paper examines his perspective on migration issue and migration-based crises, his solution implications, and how he figures the problems out and makes them opportunities by showing a positive approach. Also, this paper also assesses the Prophet Mohammad's principles and practices related to migration issue in terms of their contributions to the solution current migratory problems, and thereby it makes some determinations and suggestions.

Keywords: The Prophet Mohammed, Hadith/Sunnah, Imigration, Crisis, Cricis Management

المدخل:

يمكن إرجاع تاريخ الأزمة إلى الإنسان الأول؛ حيث تعرض الإنسان في جميع مراحله الفردية والأسرية والاجتماعية إلى أزمات وتحديات متنوعة مما يصعب علينا القول بأن الإنسان أو المجتمع لم يمر بمشكلات أو مضايقات؛ فالأزمات جزء من الحياة، وكما أن هناك أزمات في العصر الذي نعيشه، فمن الممكن أن يكون مثلها في العصور القادمة، لأنه لا يمكننا تجنبها بحال من الأحوال مادام هناك إنسان يعيش في حياة.

إن إنسان ومجتمع هذا العصر يواجهان الأزمات والمضايقات المحلية والعالمية بشتى أنواعها، كالأزمات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والقانونية، والعسكرية، والذاتية، والمعنوية.

ويمكن أن تظهر تلك الأزمات في مظاهر مختلفة؛ فمثلا بين شخصين، أو مجتمعين، أو بين إنسان ومجتمع أو بين دولتين...وأحيانا تقع بعض الهيئات والمؤسسات والشركات والدول في مثل هذه الصراعات.

فمن الممكن أن تكون الأزمات والمشكلات متوقعة أو طارئة غير متوقعة، فمادمنا لا نستطيع أن نمنع وقوع الأزمات، أو أن نعيش في الحياة بلا أزمات فإذن يجب تركيز اهتمامنا على الحل، وتجاوز المشكلة بأقل الخسائر الممكنة.

هناك حقيقة ماثلة: وهي أن الإنسان في تاريخه الطويل قد عاش أزمات متشابهة في أزمنة وأماكن مختلفة، ولذلك فمن الممكن أن نستفيد من حل مشكلات الآخرين وتجاربهم المعيشة، مما يضيف إلينا في حل المشكلات المشابهة.

ومن المشكلات التي تهم بلدنا والمنطقة والعالم من قريب مشكلة الهجرة الحالية التي تولدت نتيجة طبيعة للصراع الداخلي في منطقة الشرق الأوسط، وقد تسببت هذه الصراعات إلى تهجير الملايين من مناطق غير آمنة إلى مناطق ودول آمنة ونتيجة لذلك صارت مشكلة موجة هجرة عنيفة، مما دفع الناس إلى التمسك بالحياة عن طريق الهجرة، أو الالتجاء إلى الدول القريبة أو الأخرى البعيدة.

ومن المعلوم أن كثيرا من المهاجرين قد قضوا نحبهم في مياه البحار في طريق الهجرة، ولذلك فإن مشكلة الهجرة الحالية تمثل صلب المشكلات المعاصرة التي يجب أن تحل.

لقد اضطر الرسول ﷺ والمسلمون الأولون في التاريخ إلى الهجرة إلى دولة ومدينة أخرى، وبوصف النبي مهاجرا وزعيم مجتمع المهاجرين الأولين من المسلمين، وبسبب تعرضه لمشكلة الهجرة ومعاناته في حلها وتماسه معها، فإن من الممكن أن يضيف حلولا ذات قيمة لمشكلة الهجرة المعاصرة.

ولذلك فسوف يتم تحليل معالجة النبي ﷺ مشكلة الهجرة في زمنه في ثنايا هذا البحث، ومدى الاستفادة من ذلك في حل المشكلة المعاصرة، فجدير بنا قبل الحديث عن مشكلة الهجرة نفسها أن نتحدث عن فكرة إدارة النبي ﷺ للأزمة ومنهجه في الحل.

١- ماهيتها إدارة الأزمة بشكل عام:

يمكن أن نعرف الأزمة في اللغة بأنها مشكلة تواجه الفرد أو المؤسسة أو الجماعة في مرحلة ما(١) وفضلا عن ذلك فإن مصطلح الأزمة يمثل حادثة سلبية مفاجئة، إنها الموقف غير المرغوب الذي لا يمكن التخلص منه إلا بصعوبة، أو هي المراحل المختلطة التي مر بها حادث أو أمر، أو هي الأمر الطارئ المؤدي إلى الاتجاه السلبي الخطر(٢)، وأيضا تعرف الأزمة بأنها أمر خطير وجدي يتسبب في الموت وتؤثر على أكثر الناس، والأزمة تؤثر في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وجميع مرافق الدولة، وهي تظهر فجأة بدون إنذار، مما يولد ضغطا زمنيا مرتفعا أمام متخذ القرار، فمن الممكن اتخاذ التدابير الوقائية قبل وقوع الأزمة إلا أن ذلك لا يمنع بالضرورة حدوثها، وبالإدارة الجيدة تتحول الأزمة إلى فرصة، وهي مرحلة الصعوبات والاضطرابات التي يمكن تحويلها من الوضع السيء إلى ما كان من قبل(٣).

وفضلا عن ذلك فإن الأزمة مع معانيها السلبية تفيد معنى إيجابياً، ففي الأبجدية الصينية يشار إلى هذا المصطلح برمزين ينطقان بطريقتين وعلى حسب القراءة يعني الخطورة أوالفرصة (٤)؛ ولذلك تحتوي الكلمة الواحدة على معنيين متضادين في آن واحد «الخطورة» التي تعني الضياع الذي أتى بسبب الأزمة و«الفرصة» وهي احتمال الحل على الرغم من الاضطرابات التي تصعب المشكلة (٥).

وبعبارة أخرى فإن كلمة «فايجي» التي تستخدم لدى الصينيين على مدى التاريخ تفيد أي أزمة تحتوي خطورة يجب تجنبها، وأيضا تعني أي أزمة فيها فرصة يجب أن نستفيد منها (٦).

وعلى ذلك ففي الآونة الأخيرة أصبحت المقاربة إلى الأزمة على أنها فرصة أكثر من كونها تمثل تهديداً (٧).

(١) TDK, Türçe Sözlük, Ankara 1988, II, 919.

(٢) Tutar, Hasan, Kriz ve Stres Yönetimi, Seçkin Yay., Ankara 2011, s. 4.

(٣) Filiz, Erdinç, Türk Kamu Yönetiminde Kriz Yönetimi, Alfa Aktüel Yay., İstanbul 2007, s. 4-7.

(٤) Filiz, Kriz Yönetimi, s. 4; Demirci, Ahmet Emre, "Örgütsel Krizlere İlişkin Algısal Farklılıklar", (Sümer, Haluk & Pernsteiner, Helmut Kriz Yönetimi, İstanbul Bilgi Üniversitesi Yay., İstanbul 2009 içinde), s. 96.

(٥) Çelikhan, Osman, "Uluslararası Kriz Yönetimi", Krizler ve Kriz Yönetimi, Barış kitap, Ankara 2012, s. 5.

(٦) كيلاني عبد الله إبراهيم، إدارة الأزمة، مقاربة التراث والأخبار، كتاب الأمة، عدد ١٣١ سنة ٢٩ قطر ٢٠١٠ ص ٣٧.

(٧) Demirci, "Örgütsel Krizlere İlişkin Algısal Farklılıklar", s. 96.

إن تجاوز الأزمة والوصول إلى حل مناسب لها يحتاج قبل كل شيء إلى إدارة ناجحة ومؤثرة، لها خصائص ومبادئ خاصة بها، إذا أخذ بها فإن ذلك يقلل من الآثار السلبية، ويلعب دورا هاما في تحويل الأزمة إلى فرصة، وكذلك فإن اتخاذ التدابير اللازمة قبل وقوع الأزمة يساعد على إدارتها لذا فإن هذه الخطوة أنفع قبل وقوع الأزمة من بعدها، وكذا فإن توقع حدوثها مهم في تخفيف النتائج السلبية المتوقعة منها.

وتحتوي إدارة الأزمة الجيدة على التحضير إليها قبل وقوعها، واتخاذ القرارات التي تخفف نتائجها في أثناء حدوثها، وإرجاع المجتمع، بأقل ضرر، إلى ما كان عليه قبل الأزمة [٨].

وفي نفس الوقت، تطرح التحديات مخاطر وفرصًا مختلفة للمجتمع والمؤسسات في آن واحد، وعلى ذلك فإن التفوق في هذا الأمر يعتمد على حسن التصرف إزاء هذه الفرص أو المخاطر علي حد سواء، وفي مثل هذه الظروف يمثل استشراف المستقبل بإجراء التدابير اللازمة أمرا ذا أهمية بالغة في إدارة الأزمة [٩].

٢- النبي ﷺ وإدارة الأزمة:

لقد بعث النبي ﷺ كباقي الأنبياء في الأساس لحل المشكلات المتنوعة للبشر في الدنيا والآخرة وإرشادهم، إلى الحل كقائد ودليل؛ وبالطبع فإن هدف الأديان السماوية سعادة البشر في الدارين، وتنبع هذه السعادة عندما تحل أزماتهم وتلبى احتياجاتهم الأساسية، وتذلل العقبات التي تفقدهم إياها.

وأهم دليل على أن النبي ﷺ أرسل لسعادة البشر وهدايتهم أنه بعث رحمة للعالمين، ولذلك إذا نظرنا إلى عصر رسالة النبي ﷺ من أعلى نجد أنه عاش حياة مكثفة وفي كل مراحل حياته عاش أزمات مختلفة، غير أنه سرعان ما تغلب على كل ما مر به، حيث إنه في البداية واجه مشكلات عديدة في الدعوة والتبليغ إلى جانب المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، والتشريعية الأخرى، وجاهد طول حياته لحل هذه المشكلات بأسلوبه الخاص [١٠].

فقد حدثت أزمات مختلفة في زمن الدعوة المكية والمدنية، وقد تجاوزها النبي وأصحابه باستراتيجية خاصة تعتمد على إدارة ناجحة، فقد طور النبي خططه واستراتيجيته في هذا المجال من اتخاذ التدابير اللازمة والاحتياطات لتفادي الآثار السلبية، وقد أسس مجموعات عمل مدربة وموجهة لمواجهة أي احتمال. ويمكن أن نرى مثال ذلك في الهجرة إلى الحبشة والمدينة والإخاء بين المهاجرين والأنصار وفي الغزوات [١١].

(٨) Çelikhan, "Uluslararası Kriz Yönetimi", s. 6.

(٩) Tutar, Kriz ve Stres Yönetimi, s. 13.

(١٠) حسين حسين، إدارة الأزمة الاقتصادية (مواقف من حياة الرسول)، كلية التجارة، جامعة الأزهر بدون تاريخ ص٥.

(١١) شيخ سوسان سالم، إدارة ومجلة الأزمات في الإسلام، دار النشر للجامعات، مصر ٢٠٠٣، ص ٧٥.

إن حياة النبي مملوءة بنماذج الحلول وإدارة الأزمات التي واجهته في التبليغ والدعوة بامتياز [١٢] ومن هذه الناحية فإن مصطلح إدارة الأزمة وإن كان مصطلحا معاصرا إلا أن معناه من حيث المبدأ موجود في الثقافة الإسلامية؛ فمثلا من يطالع سنة النبي ﷺ عن قرب يستخرج مبادئ ومناهج متعددة في هذا الموضوع [١٣].

وقد كان شغل النبي عليه السلام الشاغل حفظ المسلمين من المشكلات والأزمات الطارئة، وعند وقوعها كان يحرص على إزالة الآثار السلبية لها، ويحاول تحسين الوضع من جانبه قدر المستطاع، ثم اتخاذ التدابير الوقائية لعدم تكرر مثل هذه الأزمات من جانب آخر، وقد كان تعامل النبي مع الأزمات دائما من منظور الحل الإيجابي الذي يهدف إلى وأد الأزمات الفرعية المتولدة عن الأزمة الأم في مهدها، فلم يكن النبي يوما مبتوت الصلة بالمسلمين إنْ في المواجهة أو في الحل، فلم يدعهم للاستسلام للأزمات لحظة، ولم يكن منهجه الرضوخ لها على أنها قَدَرٌ واجب الإذعان، بل واجهها جميعًا واتخذ ما يجب اتخاذه كي لا تتكرر، وكان على استعداد دائم لما يستجد من أزمات بالمنهج المناسب له.

مما يستلزم مهارة في استعمال المعلومات المتوفرة عن الأزمات في سياق النواميس والسنن الكونية للإسلام، حيث يجب أن تستند مواجهة الأزمات إلى هذه الأسباب والقوانيين، ولا ينتظر هنا كرامات أو معجزات أو خوارق عادات [١٤].

فالرسول الأعظم أسوة حسنة لنا في جميع حياته بما فيها إدارة الأزمات، والنموذج الأكبر في ذلك، والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومما يلفت النظر أن هذه الآية نزلت في أثناء غزوة الخندق عندما أحاط الأعداء بالمدينة وبلغت القلوب الحناجر، وهو كذلك قدوة حسنة لنا في تحويل الخسائر إلى مكاسب وإمكانية الاستفادة من الأزمات بأقصى شكل ممكن، حيث إن العقيدة والعزيمة وحسن التوكل على الله سبحانه وتعالى إلى جانب الاستفادة من التجارب الاجتماعية يمثل مبدأ راسخًا من مبادئ إدارة الأزمة عند النبي ﷺ [١٥].

إن رسول الله ﷺ يتفاعل بشكل إيجابي مع أزمات المسلمين، فهو يحث القادرين على مساعدة أصحاب الحاجة مما يزيد من ترابط المجتمع الإسلامي وتماسكه، وفي أحد أحاديثه يقول: «**الْمُسْلِمِ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ**

(١٢) خضري مشعل محمد، إدارة الأزمات في علم إدارة المعاصر والانعكاسات في السنة النبوية، مصر، ص ٢.

(١٣) بلال يحيى، النصوص القواعدية في السنة النبوية لإدارة الأزمات، والاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية، دبي ٢٠١١، ص ٧٠١.

(١٤) كيلاني، إدارة الأزمة ص ٢٩.

(١٥) كيلاني، إدارة الأزمة ص ٢٩.

وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٦). وفضلا عن ذلك قال في حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٧). وبهذه الوصايا أوصى النبي أن يضع القادرون أنفسهم مكان أصحاب الحاجات.

وهناك بعض المناهج والمقاربات التي اتبعها النبي صلى عليه وسلم في إدارة الأزمة، فهي من جانب صالحة لحل الأزمات المعاصرة ومن جانب آخر تتميز بخصائص عالمية، ويمكننا أن نفيد من هذه المقاربات فيما يلي:

أولا: أن يؤخذ بعين الاعتبار الأسباب والنتائج، فالنبي ﷺ في كل مشكلة وأزمة أخذ بالوسائل والأسباب حتى في هجرته.

وعلى امتداد حياته عليه الصلاة والسلام، كان أخذه بالأسباب ذا عناية فائقة ودقة بالغة (١٨)، وقد أفاد حميد الله بقوله: «إن الله سبحانه وتعالى خلق العالم وفق قانون الأسباب والنتائج، حيث أراد سبحانه أن يصرف كل شخص طاقته في الأخذ بالأسباب الممكنة، متوسلا بها، وأراد من العباد أيضا أن يبذلوا جهدهم وطاقتهم في هذه العملية التي استفاد بها النبي ﷺ ولا يتوقفوا عند حدود النتائج التي توصل النبي إليها»(١٩)؛ ولذلك فإن النبي قد اتخذ ما يجب عليه من أسباب بوصفه بشرا على أكمل وجه، إلى جانب دعائه وتوكله على الله سبحانه وتعالى في حل الأزمات، إلى جانب أخذه بالقوانين العرفية السائدة في مجتمعه، لأنه هو نبي وقدوة وبشر، وبهذا فإن الله سبحانه وتعالى علَّمنا بنبيه كيف نحدد الأهداف ونخطط لها وكيف نتخذ التدابير أمام الأزمات وكيف نؤسس كوادر،وكيف نوزع الوظائف على حسب التخصصات والمهارات، وإلى جانب لذلك علمنا كيف نصل إلى الأهداف والغايات (٢٠).

لقد حل سيدنا محمد المشكلات، وتجاوز الأزمات بتخطيه خطوات صحيحة، واتخاذه أسلم القرارات في المجالات العسكرية والقانونية والسياسية والاجتماعية بإرشاد من الوحي لما واجهه من مشكلات عصره،

(١٦) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ٢٠٠٠، مظالم ٣، إكراه ٧. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١، بر٥٨، ذكر ٣٨. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨، حدود ٣، بر ١٩. أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبو داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قرة بلي، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩، أدب ٤٦. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن بن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العلمية، ٢٠٠٩، مقدمة.

(١٧) البخاري، إيمان ٧، مسلم، إيمان ٧١.

(١٨) Hamidullah, Muhammed, *İslâm Peygamberi*, çev. Salih Tuğ, İrfan Yay., İstanbul 1990, I, 124.

(١٩) Hamidullah, *İslâm Peygamberi*, I, 123.

(٢٠) الشيخ، إدارة و معالجة الأزمات في الإسلام ص ٨٦-٨٧.

وبهذا المعنى صار قدوة للمجتمع الإسلامي. وبينما كان ذلك حاله ﷺ استمر مستلهما قوانين الله في حياته، مما يظهر لنا مدى نجاحه في إدارة الأزمات، التي هي عبارة عن جهاد ومجادلة واجتهاد وتنظيم وتفكر واحترام للنواميس الإلهية التي وضعت للعالم (٢١).

وهناك عديد من الأمثلة التي تبرهن على اتخاذه الأسباب في كل ما عرض له في حياته من أزمات ومضايقات. وفي هذا الصدد تأتي الهجرة كنموذج أمثل في اتخاذه التدابير اللازمة ووضع الخطط لإنجاحها بوصفه بشرا، كعدم إعلانه خبر هجرته، وإخبار أحب الأصدقاء له سيدنا أبي بكر الصديق، وتجهيزه الرواحل، واتخاذه المرشد، وانصرافه من بيته ليلا، وتركه سيدنا علي في فراشه، واختفائه في الغار ثلاثة أيام، واتجاهه إلى عكس المدينة حتى تضيع الآثار، وغير ذلك من التدابير كمظاهر لاتخاذه الأسباب، وفي هذا الصدد لم يكتف بالدعاء والتوكل على الله فحسب.

ثانيا: اتخاذ التدابير والاحتياطات:

الجانب اللافت للنظر في إدارة النبي ﷺ للأزمة هو اتخاذه التدابير المتوقعة لما يحتمل وقوعه في المستقبل وترتيبه. وقد تحرك طبقا لهذا المبدأ في شتى المواضع والأزمنة وفي مختلف الموضوعات، وقد تفوق بتقليل الآثار السلبية أو إيقاف الأزمة إلى حد ما، ومن ثم تجاوز الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

وبشكل عام فإن التفكر في الأزمة وأخذ الاحتياطات والتدابير ووضع الخطة المناسبة مهم جدا للحل، ويؤكد ذلك ما نسب إلى النبي ﷺ حين قال: «**لا تدبير مثل العقل**» (٢٢).

وهذه العبارة تطرح بشكل واضح أن التفكير وإعمال العقل عنصر مهم جدا في إدارة الأزمة، خاصة في مجال تقليل الخسائر والأضرار المحتملة، أو في مجال منع وقوعها بالأساس (٢٣).

وفي هذا السياق يأتي قوله عليه الصلاة والسلام: «**اعقلها وتوكَّل**» (٢٤)؛ مما يظهر مدى أهمية اتخاذه التدابير المسبقة قبل الأزمة لتفادي ما يتوقع حدوثه، وسياسة النبي ﷺ في اتخاذ التدابير اللازمة واستراتيجيته كان من شأنها تقليل الأضرار المحتملة، مما أفاد أصحابه في مسار الهجرة والجهاد.

وعندما ننظر من قريب إلى هجرة النبي ﷺ وجهاده، سيتضح جليًا أي التدابير اتخذها وأي التدابير اتبعها بشكل واضح، وفي سيرته عديد من الأمثلة على ذلك. فمثلا: عند وصوله إلى المدينة مباشرة يأتي توقيع النبي

(٢١) Ebû Süleymân, Abdulhamid, *Müslüman Aklın Krizi*, çev. Yasemin Savur, Mahya Yay., İstanbul 2012, s.108.

(٢٢) ابن ماجه الزهد ٢٤.

(٢٣) بلال، ص ٧٠٧.

(٢٤) االترمذي، القيامة، ٦٠.

«وثيقة المدينة» مع اليهود مثالا على اتخاذ التدابير لمنع الأخطار المحتملة قبل وقوعها، وكذا إرساله السرايا، وجمع المعلومات الاستخبارية من القبائل المجاورة، وتتبع تحركات قريش.

ثالثا: مرونة الحركة:

إن مرونة الحركة مبدأ مهم من مبادئ إدارة الأزمة بحسب عبارة يحيى بلال، فالمرونة هي الإدارة والتحكم نفسه، فالشخص المرن في أسلوب إدارته بقدر ما، يزداد تحكمه في المواقف والأحداث بمقدار هذا القدر. إن هدوء الإنسان في رد الفعل عند معالجته الأزمات يرفع من درجة مرونته تجاه الأحداث والمشكلات. إن مبدأ المرونة مهم جدا في تخطيط الحلول تجاه المشكلات عند إدارة الأزمة ويجب أن يكون بيد المخطط بدائل مختلفة متضمنة الاحتمالات والافتراضات لكل الأحوال. وإلا ستكون الخطة عقيما من بدايتها، ولا يمكن أن تكون النتائج متشابهة في شتى الأحوال. ولذلك لم يصر النبي عليه الصلاة والسلام على حل واحد في حل مشكلة ما ولم يظهر تصرفًا جامدًا تجاه الأزمات. لأن لكل مشكلة حلاً خاصاً بها، ولكن بعض هذه الحلول صعب في التطبيق وهذا يولد مشكلة أخرى أو يصعب المشكلة الموجودة مما يحولها بعد ذلك إلى أزمة. وإذا امتلك الشخص مرونة التفكير فإن ذلك يمكنه من إيجاد حلول مختلفة للمشكلة الواحدة، ونتيجة لذلك يرجح الأنسب. فكان الرسول ﷺ نموذجا لذلك [٢٥].

وفي سيرته العديد من الأمثلة على مرونة تصرفه وترجيحه الأسهل، لذا ما خُيِّرَ بين أمرين من أمور الدنيا إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه [٢٦]. وهذا الحديث يوضح بجلاء مرونة تصرفه وترجيحه الأسهل بشرط أن يكون مباحًا في المواضع الدنيوية.

إن مبدأ المرونة لا يعني أساسا ترجيح الأسهل على الدوام بما في ذلك التنازل عن المبادئ الدينية والأخلاقية، إنما المقصود من المرونة تحديد الوجه الصحيح في الموضوع المطروح. ولذلك فالمرء في حياته تارة يرجح الأوسط وتارة يرجح الأكثر مرونة وتارة يرجح الأسهل [٢٧]. كما يمكن أن نرى ذلك في سيرة النبي ﷺ في صلح الحديبية، حيث قبل الرسول كل شروط الكفار التي تظهر في غير صالح المسلمين. وقد جاء قبول الصحابة لهذه الشروط بصعوبة؛ حيث أظهر عمر بن الخطاب رضي الله عنه رد فعل واضح تجاه بنود المعاهدة، لكن تصرف النبي المرن في هذه الحادثة كان تصرفًا استراتيجيًا وقرارا صائبًا لمصلحة المسلمين في المستقبل، حيث بدت تلك المصلحة راجحة في أقرب وقت من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ. وقد استفاد النبي ﷺ من هذه المرونة من حين لآخر لأجل المصلحة العامة لهذا الدين.

(٢٥) بلال، النصوص القواعدية، ص ٧١٣.

(٢٦) البخاري، الأدب ٨٠، والمناقب، ٢٣: مسلم، الآداب ٢٠: أبو داوود، الآداب ٥.

(٢٧) بلال، النصوص القواعدية، ص ٧١٤ (نقلاً من أحمدي، المرونة، ص ٢-٤).

رابعًا: الإيجابية والتفاؤلية:

إذا نظرنا إلى سيرة النبي ﷺ نجد أنه يتصرف تصرفات إيجابية في أوقات الأزمات السلبية، ولم يكن يوما ذا نظرة سوداء للحياة، فكانت نظرته إلى المستقبل المشرق في قلب الأزمات، أو بمعنى أصح كان دائما عندما ينظر إلى عواقب الأزمات يملأ قلبه الأمل والرجاء والنصر، ويمكننا أن نرى ذلك في رحلته إلى الطائف، التي ذهب لها لتبليغ الدعوة بعد أن لم يجد آذانا مصغية من أهل مكة، غير أنه ووجه بأشد درجات العنف من أهل الطائف، حتى اضطر أن يلتجئ إلى بستان قبل مغادرته، فتمثل له ملك الجبال قائلاً: يا رسول الله مرني أن أطبق عليهم أعلى الأخشبين، فقال عليه الصلاة والسلام، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون [٢٨].

مما يظهر عدم تشاؤمه مما بدر من أهل الطائف، فلم يخب أمله في الله قطعًا، حيث دعا ربه بإيمان تام أن تتحول هذه الأزمة إلى انفراجات إيجابية، وكذلك في التجائه إلى غار ثور عندما اضطرب أبو بكر الصديق خوفًا من رؤية المشركين لهم، فكان ثبات يقين الرسول بقوله: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: ٤٠]. وبهذا القول سَكَّنَ فؤاد صاحبه، ففي أصعب المواقف لم تكن لديه مشاعر سلبية قط بل حافظ على أمله على الدوام.

إن الإيجابية في التفكير لها دور فعال للنجاح في الحياة وهي جزء من التفكير الاستراتيجي. وفي أغلب الأحوال يحدث ما نتوقعه ونخمنه، فمن المهم أن نتجه إلى توقع جيد وحسن منذ اللحظة الأولى حيث يحدث غالبًا ما نتوقعه [٢٩].

لقد قرر القرآن في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ ﴾ [الشرح: ٥]. البُشْرَى حيث لكل هم مخرجًا ولكل ضيق فرجًا، وطريقة الاستفادة من هذه البشرى مرتبطة لأول وهلة بالنظرة الإيجابية والتصرف الحسن، لأن المقاربة التشاؤمية والسلبية لا تسهل حلول الأزمة إنما تسبب تعقيدها، لأن الأزمة تتضمن في بنائها فرصا إيجابية وليس صعوبات أو مشقات. ورؤية هذه الفرص تكون فقط إذا استعملنا النظرة الإيجابية، والتصرف الإيجابي، وهناك إشارة إلى هذا الأمر في قول: «عبد الله بن مسعود» لا توجه أنظاركم إلى قبائح الأمور؛ لأنها تجذب الناس إليها [٣٠].

خامساً: مراعاة الأولويات:

إن التصرف طبقا لمراعاة الأولويات في عملية إدارة الأزمة أمر مهم، عندما هاجر النبي إلى المدينة كان في انتظاره والمسلمين مشاكل وأزمات جمة، ولهذا فقد قدم النبي المشكلات الأهم في عملية المواجهة، دفعا لما يحتمل

(٢٨) البخاري، بدء الخلق، ٧: مسلم، جهاد، ١١١.

(٢٩) بلال، النصوص القواعدية، ص ٧٠٨-٧١٠.

(٣٠) الخرائطي، أبوبكر محمد بن جعفر السامري، مكارم الأخلاق، تحقيق: أيمن عبد الجابر، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٤١٩\١٩٩٩ ص ١٣٨.

وقوعه وأخذا بالتدابير الوقائية، وفي هذا الإطار جاء إنشاء المسجد النبوي، والإخاء بين المهاجرين والأنصار، وتوقيع وثيقة المدينة مع اليهود وغيرهم... من أولى الخطوات التي اتخذها ﷺ، وعقب ذلك توجه إلى إنهاء الكيان السياسي للمشركين في جزيرة العرب كلها، وكان في كل هذه التحركات يأخذ بعين الاعتبار مبدأ الأولويات [٣١].

٣- حياة الهجرة في عصر النبي ﷺ:

لقد اضطر النبي ومن معه من المسلمين الأوائل إلى خوض تجربة الهجرة، ونتيجة لذلك فقد تركوا ديارهم إلى ديار أخرى. والهجرة في الأصل قدر الأنبياء جميعهم، مثلما ذكر في القرآن من قصص نوح ولوط وشعيب وإبراهيم وموسى مع أتباعهم، حيث تركوا بلادهم وهاجروا إلى بلاد أخرى [٣٢]؛ ولذلك فقد أخذ النبي ﷺ نصيبه من هذه الهجرة.

إن تجربة الرسول وأصحابه في الهجرة ليست حدثًا تاريخيًا عابرًا، بل أمرًا يجب التفكير فيه بأخذ العبرة والاستفادة.

لقد حدثت في حياة النبي ﷺ هجرتان تاريخيتان كبيرتان: الأولى بتوجيهه أصحابه إلى الحبشة، والثانية كانت بذاته مع المسلمين إلى المدينة، لقد بلغ السيل الزبى من أذى المشركين للمسلمين في مكة، ولم يكن لدى النبي ﷺ حيلة مدافعة عن المسلمين في ذلك الوقت، وحتى يواجه هذه الأزمة وجَّه المسلمين قائلا: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظْلَمُ عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه» [٣٣].

واعتماداً على قول النبي هذا بدأ المسلمون رحلة الهجرة إلى الحبشة، مما يمثل حلاً لما تعرضوا له من أزمة اضطهاد، لكن ذلك لا يخلو من أزمة تتمثل في تركهم بلادهم وعشيرتهم وأسرهم وتعرضهم لمضايقات جديدة في الغربة. لقد فكر النبي في كل ما يمكن التفكير فيه من حلول تحفظ حياة المسلمين الأوائل، فكانت توصيته لهم بالصبر عند اشتداد الأذى، وحينما لم يبق سبيل سوى الهجرة وجه أصحابه إليها بإرشاد القرآن [٣٤]؛ حيث قرر توجيه بعضهم إلى مناطق آمنة [٣٥].

(٣١) العشماوي، محمد إبراهيم، فقه تخطيط المستقبل في ضوء السنة والسيرة، الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية، دبي ٢٠١١، ص ٢٥٨.

(٣٢) سورة البقرة، ٢\٥٠: سورة الأعراف، ٧\٨٨: سورة اليونس، ١٠\٧٣-٧٥-٩٢: سورة الحجر ١٥\٦٥: سورة مريم، ١٩\٤٦: سورة طه. ٢٠\٧٦-٧٧: سورة الشعراء، ٢٦\٥٢-٦٧-١١٨: سورة العنكبوت، ٢٩\٢٦.

(٣٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٥٥ ص٣٢١: وأبوبكر احمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣، ص ١٦. Hamidullah, *İslâm Peygamberi*, I, 108.

(٣٤) سورة النحل، ١٦\٤١-٤٢.

(٣٥) الجمل، صديقة محمد سليمان، الهدي النبوي في إدارة الأزمة الاجتماعية العامة، الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠٨ص٤٠.

إن اختيار النبي الحبشة داراً للهجرة الأولى لأمر مخطط له وليس عشوائياً، ومن أهم عناصر الاختيار، انتساب النجاشي أصحمة إلى دين سماوي، إضافة إلى أنه حاكم عادل يعرف العربية وكذلك سهولة الهجرة للحبشة نظراً لضيق ذات اليد لدى المهاجرين الأوائل[٣٦] وطبقاً لرواية أم سلمة، بدأت مضايقات أهل مكة وإيذاؤهم فتعرض المسلمون لِمِحَنٍ وبلايا في دينهم، ولم يستطع الرسول دفع هذا البلاء فكانت الهجرة مخرجا مما هم فيه، لقد نجح تدبير النبي هذا وآتى أكله بعد حين، حيث مارس المسلمون حريتهم الدينية بعيدا عن أذي قريش حتى فَتْحِ خيبر حيث عادوا بعدها إلى المدينة. وبعد تجربة الهجرة إلى الحبشة جاءت تجربة الهجرة إلى المدينة، وقد استمرت ضغوط أهل قريش ضد النبي ومن بقي معه من المسلمين في مكة واشتدت هذه الضغوط بعد وفاة أبي طالب عم الرسول وزوجته خديجة، بل إنهم فكروا في اغتياله، فلأجل هذا قرر النبي ﷺ الهجرة إلى المدينة لإبعاد أذية المشركين عن دينه[٣٧]، فبدأ تجهيز البيئة المناسبة له في المدينة في بيعة العقبة الأولى والثانية، عن طريق توثيق الدعم والدعوة إلى الإسلام، وقد هيأ بذلك في المدينة مناخًا مناسبًا لهجرة المسلمين، حيث مثَّلَت دار أمان لهم ولدينهم. ولقد حثت الآيات القرآنية المنزلة في هذه الفترة على الهجرة ونَبَّهَت من لم يهاجر إلى ضرورتها [٣٨]. لقد ترك الرسول وأصحابه في مكة متاعهم واصطحبوا معهم إيمانهم [٣٩]؛ ولذلك لا يجوز أن نرى الهجرة من مكة إلى المدينة بوصفها ملجأ أو مهربًا، بل هي وسيلة لتحقيق أهداف بعيدة المدى [٤٠]، ولكن تسببت الهجرة في بعض المشكلات المادية للمهاجرين في النهاية، وأمام ذلك اتخذ النبي كافة التدابير الممكنة لتلافي هذه المشكلات أو التقليل من آثارها.

إننا لا نقلل من الآثار السلبية للهجرة إلى المدينة، لكنها تمثل مصلحة عليا لهذا الدين وأهله، وبعبارة موجزة فإن مصطلح الهجرة ذو أثر سلبي على النفس عند إطلاقه، ولكن بإمعان النظر في القضية من جميع جوانبها نجده على العكس يمثل وسيلة للنصر والفتح.

بعض الحلول التي قدمها النبي عليه الصلاة والسلام لمشكلات المهاجرين الناتجة عن الهجرة:

لقد تعرض النبي عليه الصلاة والسلام لمختلف المشكلات ومعه المسلمون المهاجرون الذين اضطروا إلى ترك بيوتهم وأملاكهم ووطنهم، والهجرة والالتجاء إلى المدينة، ومن ثم نزولهم عند مسلمي المدينة

(٣٦) Önkal, Ahmet, "Hicret", *DİA*, TDV Yay., İstanbul 1998, XVII, 459.

(٣٧) الجمل، الهدي النبوي، ص٤٣-٤٩.

(٣٨) سورة العنكبوت ٢٩\٥٦: سورة النساء، ٤\٩٧.

(٣٩) Begoviç, Aliya İzzet, *İslâmî Yeniden Doğuşun Sorunları*, çev. Rahman Ademi, Fide Yay., İstanbul 2010, s.149. (Bu kaynak metinde yok).

(٤٠) Apak, Âdem, "Hz. Peygamber'in Hicret Sonrası Medîne'de Örnek Toplum Oluşturma Adımları Üzerine", *Hz. Muhammed ve Evrensel Mesajı Sempozyumu*, İslâmî İlimler Dergisi Yayınları, Ankara 2007, s.٣١٦.

(الأنصار)، وعلى رأس تلك المشكلات مشكلة المسكن والمأوى. ويتحدث حميد الله عن هذه الحالة وخطورتها وأهميتها، فيقول: «واجهت النبي عليه الصلاة والسلام بعد المجيء إلى المدينة مشكلتان جديتان. لأنه لم يكن هو الوحيد المهاجر من مكة إلى المدينة. وإنما كان هناك المئات من أهل مكة الذين تركوا بيوتهم، وأرضهم، وأموالهم في سبيل عقيدتهم ولجأوا إلى المدينة دون أن يأخذوا معهم شيئاً سوى الثياب التي يرتدونها. وقد ظهرت مشكلة هؤلاء النازحين بصورة مفاجئة وجدية؛ إذ كان إيجاد مكان لهؤلاء في البنية الاقتصادية للمدينة الوطن الجديد مشكلة بالغة الصعوبة والتعقيد. فخاصة ونحن نعلم أن اللاجئين في القرن الحادي والعشرين يشكلون مشكلة كبيرة ومعقدة حتى بالنسبة للدول والبلدان الكبيرة والقوية». أحس النبي عليه الصلاة والسلام بالحالة التي وقع فيها المسلمون، ولاحظ حراجة الموقف. فسارع إلى التحرك في الحال باتخاذ جملة من الإجراءات، وتقديم توجيهات ونصائح، وتوصيات مختلفة بهدف احتواء المشكلات التي تسببت بها الهجرة وإيجاد الحلول المناسبة لها. ويمكن ذكر بعض هذه الحلول على النحو الآتي:

• المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين:

إن الإنسان كائن حي، وله جملة من الاحتياجات الأساسية ينبغي تلبيتها كي يتمكن من العيش في هذه الحياة، مثل: الطعام، والشراب، واللباس، والمأوى. وتُعد هذه الحالة بالنسبة للإنسان مسألة حياتية ومصيرية. إن تعرض المهاجرين الذين هاجروا تاركين وراءهم كل أموالهم وممتلكاتهم في مكة لمشكلة المأوى والسكن لدى وصولهم إلى المدينة أمر طبيعي. وإن عدم حل المشكلة المذكورة قد يؤدي إلى وقوع المهاجرين بين براثن الفقر والعوز والجوع من جهة، وقد يفتح الباب أمام ظهور جملة من المشكلات داخل المجتمع الذي يتواجدون فيه من جهة أخرى، ولكي لا تتحول هذه الحالة إلى أزمة اقتصادية واجتماعية فقد كان من الأهمية بمكان أن يقوم النبي عليه الصلاة والسلام بعد بناء المسجد النبوي في المدينة بإنشاء رابطة الأخوة (المؤاخاة) بين الأنصار والمهاجرين بهدف حل مشكلة اللجوء لدى المهاجرين، وقطع الطريق أمام الأزمات والمشكلات المحتملة. وقد تمت الإشارة إلى هذه الواقعة في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وعند النظر إلى نموذج الأنصار يتبين أن مساعدة اللاجئين/ المهاجرين تُعد بالأساس مفخرة وفضيلة أثنى الله عليها في القرآن الكريم، فهي فضيلة قرآنية؛ إذ تم استخدام العبارات الآتية في القرآن الكريم بشأن الثناء على الأنصار ومدحهم في هذا المجال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ [الأنصار] يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ [المهاجرون] وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾ [الحشر: ٩].

لقد حقق النبي عليه الصلاة والسلام عقداً واتفاقاً نموذجياً بين المسلمين من المهاجرين والأنصار ربما

يكون الفريد من نوعه في التاريخ البشري. وأجري عقد المؤاخاة بعد مضي خمسة أشهر من وصوله إلى المدينة، وبموجب هذا العقد أسكن ستًا وثمانين ومائة عائلة من المهاجرين لدى العدد ذاته من عائلات الأنصار. وقد استمر الأمر على هذه الحال قرابة سبع سنوات حتى فتح خيبر.

إن كل ضيق وأزمة تجلب معها جملة من الفرص والمكتسبات. ويُعد عقد المؤاخاة الذي نفذه النبي عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار أحد أفضل الأمثلة على هذا الأمر. إذ حصل نتيجة لهذا العقد والتفاهم التطورات الإيجابية الآتية: فقد بدأ المسلمون بإحياء قيمة الإيثار وتطبيقها عملياً في معاملاتهم. وتعلموا مبدأ العمل المشترك وأدركوا قيمته وأهميته. وأدركوا أهمية العمل الجماعي في تحقيق الأهداف وتنفيذ المشاريع، ووصلوا إلى مفهوم الأخوة بين المسلمين، أي أن المسلمين إخوة. وأدركوا مسألة العيش المشترك مع الأديان الأخرى وذلك على أساس من التسامح والتفاهم. وتعلموا أن من الواجب على الأغنياء الالتفات في أوقات الشدة والأزمات إلى الفقراء وتلبية احتياجاتهم، وأدركوا أن في المال حق واجب غير الزكاة، وتعلموا أهمية رعاية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع والاهتمام بها، وأدركوا أن من حق من يقود دفة الأمور في الأزمة (مدير الأزمة) توزيع المال وفق ما تقتضيه المصلحة، وأن العمل، والجهد، ورأس المال جزء من المحصول والإنتاج، ووضعت أحكام بشأن عقود المزارعة، والمساقاة، والإيجار، المضاربة وغيره وساد احترام الملكيات، وأدركوا أهمية التعاون والتضامن والتكاتف في الأزمات.

تم التشجيع على منح الأراضي للمهاجرين من أجل استثمارها دون مقابل: لما رأى النبي عليه الصلاة والسلام أن الأنصار يقومون في سبيل استثمار أراضيهم وبساتينهم بإجراء عقود المزارعة مع المهاجرين (الزراعة بالشراكة)، طلب منهم إما أن يزرعوها ويستثمروها بأنفسهم، أو يمنحوها للآخرين كي يستثمروها، أو يتركوها وذلك بهدف تحسين أحوال المهاجرين وإقامة نوع من التوازن الاقتصادي في المجتمع. وقد وردت عدة أحاديث في هذا المجال، ومن ذلك ما رواه الصحابي الجليل جابر رضي عنه أن الصحابة في عصر النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يزرعون الأرض بالثلث والربع والنصف من المحصول، فقال النبي ﷺ: «**من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها، فإن لم يفعل فليمسك أرضه**».

- تخصيص (غنائم/ فيء) بني النضير للمهاجرين:

لما أخلَّ بنو النضير – وهم من القبائل اليهودية في المدينة – بالاتفاق الذي عقدوه مع المسلمين، حاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام حتى استسلموا. ثم اتخذ قرارا بإجلائهم عن المدينة وجعل أموالهم (غنيمة/ فيئاً) للمسلمين. قسم النبي عليه الصلاة والسلام هذه الغنائم بين المهاجرين الأوائل دون الأنصار، إذ لم يعط من الغنائم شيئاً لأحد من الأنصار إلا لسهل بن حنيف، وأبي دجانة اللذين يُعدان من فقراء الأنصار.

- التشجيع على التعاون والتضامن:

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يبعث دائماً رسائل تشجيعية بشأن تلبية احتياجات الفقراء والمساكين والمحرومين بهدف تجاوز الأزمات الاقتصادية وحلها. وقد قال في حديث شريف للحث والتشجيع على هذا الأمر: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة**».

لقد عدَّ الإسلام التعاون والتضامن مندوبا إليه في الأحوال والأوقات العادية الطبيعية. إلا أن ذلك يُعتبر أمراً إلزامياً في أوقات الأزمات وينبغي تنفيذه في الحال. وذلك لأن أي تأخير أو تلكؤ ينتج عنه ضرر بالناس. ففي أحد الأسفار كان هناك قلة في الطعام والمَطَايا، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام كل من لديه فائض بإعطائه لصاحب الحاجة. وقد قال في ذلك وفق ما رواه أبو سعيد الخدري: «**من كان معه فضل ظهر فَلْيَعُد بِهِ على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**». حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل. وجاء في رواية أخرى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**».

لقد قدم النبي عليه الصلاة والسلام أجمل وأفضل نموذج لأصحابه في مسألة مساعدة الفقراء والمساكين ومد يد العون لهم. فهو كان على الدوام يساعد الفقراء والمحتاجين، وينفق كل ما لديه من أجل تلبية احتياجاتهم، حتى لم يكن يبقى في بيته شيءٌ من الطعام لأهل بيته. وروي أيضاً أنه كان أسرع من الريح المرسلة في مسألة مد يد العون للفقراء والمحتاجين وتقديم المساعدة لهم. ولم يحصل أن رد سائلاً أو صاحب حاجة صِفْر اليدين. وكان إذا جاءه محتاج يُفَضِّلُه ويؤثره على نفسه في الطعام واللباس. وباختصار لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام بخصوص مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين مثلاً وقدوة لأصحابه بأفعاله وأقواله، وأراد منهم الاقتداء به في ذلك أيضاً. وكذلك كان عليه الصلاة والسلام يُقدم الآخرين على أهل بيته وأقربائه في مسألة تلبية احتياجاتهم وحل أزماتهم ومشكلاتهم الاقتصادية.

كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا ما شاهد أحداً في ضيق أو يعاني من أزمة اقتصادية يسارع في الحال دون أدنى تلكؤ إلى إيجاد مخرج أو حل لتلك الأزمة والقضاء عليها. فقد قال جرير رضي الله عنه: «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار. فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف. فَتَمَعَّرَ وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام. فصلى ثم خطب بالناس، وطلب منهم تقديم العون لهؤلاء».

وبهدف التعاون والتضامن مع الفقراء والمحتاجين نهى النبي عليه الصلاة والسلام في بداية الأمر عن ادخار لحوم الأضاحي والاحتفاظ بها لأكثر من ثلاثة أيام، وأمر بتوزيعها وتفريقها على المحتاجين. ولتشكيل

ثقافة التشارك والتعاون في المجتمع حث النبي عليه الصلاة والسلام الناس على مقاسمة ما لديهم من الأموال مع المحتاجين حتى ولو كان هذا المال شق تمرة.

• أصحاب الصُّفَّة: عند الانتهاء من بناء المسجد النبوي خصص النبي عليه الصلاة والسلام مكاناً بجانبه لإيواء الفقراء ممن ليس لديهم مساكن يلجأون إليها أو أحد يحتمون به، وأطلق عليه اسم الصُّفَّة. ولما ازداد عدد المهاجرين لم يعد بإمكان الأنصار تلبية احتياجاتهم. إذ كانت أعداد المهاجرين إلى المدينة من الفقراء، والأغنياء، والمتزوجين، والشباب تزداد يوماً بعد يوم. وكان يتم إيواء الذين يجدون صعوبة في العثور على دار يسكنون فيها في الصفة الموجودة بجانب المسجد النبوي. فكان المهاجر أول ما يأتي إلى المدينة يلتقي برسول الله ﷺ، ثم يرسله النبي إلى أحدٍ للاهتمام به ورعايته. وإذا لم يجد أحداً يرعاه ويستضيفه كان يتوجه إلى الصفة وينزل فيها بصورة مؤقتة، وقد كان أعضاء الهيئات والسفارات والوفود التي تأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام للقائه والتعرف على الإسلام وإخباره بإسلامهم ينزلون ضيوفاً في الصفة أيضاً.

كما تشير الروايات إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا جاءته صدقة يرسلها في الحال كما هي إلى أهل الصفة، وكذلك إذا قدمت إليه هدية من طعام كان يخبرهم بها ويشركهم في تناولها. وكان يطلع على أخبارهم وشؤونهم عن كثب ويهتم ويرعاهم. وكان بين الحين والآخر يطلب ممن لديهم طعام اصطحاب أهل الصفة لتناوله معهم. وذات مرة أخذ أبو بكر ثلاثة منهم، وأخذ النبي عليه الصلاة والسلام عشرة منهم. لقد أعطى النبي عليه الصلاة والسلام الأولوية لتلبية احتياجات المهاجرين واللاجئين وأصحاب الصفة، وقدم تلبية احتياجاتهم على احتياجات أهل بيته. فذات مرة جِيء إلى المدينة بخدم وعبيد، فأتت فاطمة بنت النبي التي كانت قد تشققت يدها من طحن القمح والشعير بحجر الرحى، وجلب الماء، فعرضت حالها على أبيها وطلبت منه أن يخدمها خادم، وبدلاً من أن يعطيها خادماً قال لها عليه الصلاة والسلام: «والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم». وأوصاها وزوجها علياً ببعض التسبيحات.

٥. الإسهامات التي يمكن أن تقدمها الحلول والتوصيات/ المقترحات المتعلقة بالهجرات في عهد النبي عليه الصلاة والسلام لعصرنا:

هناك جملة من الفروقات والاختلافات بين أسباب الهجرات التي جرت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وأسباب الهجرات التي تحدث في منطقة الشرق الأوسط وخاصة في أيامنا هذه. فالمسلمون في العهد الأول للإسلام اضطروا إلى الهجرة في سبيل الدين والعقيدة بشكل خاص. ولكن في النتيجة هناك أوجه تشابه بين الهجرتين من ناحية تعرض حق الحياة للخطر. لذا فإن كلتيهما من حيث النتيجة عبارة عن هجرة وترك للأوطان.

ومن جانب آخر فإن هناك بعض الفروقات بين الهجرتين في اتخاذ قرار الهجرة، وذلك من ناحية الأهداف، والأساليب والمناهج المتبعة. فالنبي عليه الصلاة والسلام لما رأى أن الهجرة صارت أمراً حتمياً لا مفر منه، وبناء على الإذن الذي تلقاه بالوحي أمن هجرة المسلمين بشكل منظم وآمن، ووضع في هذا الخصوص الخطط، واتخذ جملة من التدابير المهمة. وأما موجات الهجرة التي تدفقت اليوم من دول الجوار إلى بلادنا وإلى البلدان الأوروبية فإنها حدثت في لحظة غير متوقعة، وفي ظروف طارئة، وبصورة بعيدة عن التحكم، والإعداد، والتخطيط، والتدبير والتنظيم. فهلك الناس في البحار وعلى طرقات الهجرة حتى قبل وصولهم إلى المناطق والدول التي توجهوا إليها، فوقعوا بين براثن الموت وهم يهربون منه في بلدانهم. ولم يكن هناك استقبال واحتضان بما يكفي لا للذين تعرضوا للهجرة بالأمس ولا اليوم. وفي هذا المجال يوجه تشابه آخر بين المسلمين الأوائل وبين من تعرض للهجرة في عصرنا هذا. فلم تكن هناك تقريباً، إذا ما استثني بلد النجاشي الحبشة، دول أو مجتمعات تستقبل المسلمين الأوائل وتتعامل معهم بمودة؛ إذ المجتمعات المحيطة من اليهود والمسيحيين بما فيهم قبائل المشركين كانت تُكِنُّ العداء للمسلمين. ولذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام اقترح في البدء بلاد النجاشي كمكان آمن للهجرة. وكذلك فإن الهجرة إلى المدينة كانت قد بدأت بناء على اللقاءات مع أهل المدينة، وأخذ العهد منهم في بيعة العقبة قبل الهجرة. واليوم إذا ما استثنينا عدداً قليلاً من الدول الإسلامية بما فيها دولتنا ليس هنا استقبال واحتضان لمهاجري ولاجئي الشرق الأوسط من الدول الأخرى، وبشكل خاص من قبل الدول الأوروبية وتضيق هذه الدول ذرعاً بالمهاجرين. ومع ذلك تقوم هذه الدول بتقديم جملة من المساعدات المادية للدول الأخرى المستقبلة للاجئين والمهاجرين تجنباً للمشكلات والتعقيدات التي قد تتسبب بها موجات الهجرة لبلدانهم. ويريدون أن يبقى المهاجرون واللاجئون المشار إليهم في دولتنا دون مبارحة لها.

إن التوصيات/ المقترحات والتطبيقات العملية للنبي عليه الصلاة والسلام بشأن حل مشكلة الهجرة تحمل قيمة وطبيعة يمكن من خلالها المساهمة في حل مشكلات الهجرة المشابهة التي يشهدها عصرنا. ويمكننا تقديم بعض هذه التوصيات وفق ما يلي:

- ينبغي إجراء اتفاقيات قانونية مع المهاجرين:

توقع النبي عليه الصلاة والسلام أن هجرة المهاجرين المكيين إلى المدينة وإقامتهم فيها قد تفتح الباب أمام حدوث بعض المشكلات والأزمات بين سكان المدينة، فسارع إلى اتخاذ جملة من التدابير والخطوات التي من شأنها الحيلولة دون ذلك. ويمكن تقييم اتفاق المدينة والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كتدابير ضمن هذا الإطار. وعند التأمل في هذه الحالة يتبين أن النبي عليه الصلاة والسلام قام بنظرة استشرافية في هذا المجال قبل انفجار الأزمة وظهور المشكلات، وتحرك على ضوئها. «لما جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة عمل على الجمع (آخى) بين المهاجرين والأنصار المسلمين المتكونين من عرب المدينة ومكة تحت سقف الأخوة كخطوة

أولى وذلك من أجل توحيد المسلمين تحت راية الإيمان، والقضاء على حالة الانقسام والتشرذم التي كانت قائمة في المدينة على أساس قبلي. ولكن كان يلزم تشكيل نظام حكم/ إدارة يحتوي اليهود الموجودين هناك أيضاً. ومن أجل تحقيق ذلك اتخذ النبي عليه الصلاة والسلام القرار بتنظيم نص اتفاق/ عقد يشتمل على حقوق وواجبات لكل الأقوام وأتباع الأديان الأخرى الذين يعيشون في المدينة. وينبغي أن يبين هذا النص الحقوق والمسؤوليات المتبادلة لجميع أهل المدينة من المسلمين وغير المسلمين، ويشكل أرضية قانونية تضمن التوافق والتفاهم المستمر بين كافة الأطراف. وإلا فلن يكون هناك نظام أو أمان في المدينة»؛ إذ عندما تهاجر أو تلجأ جماعة إلى مدينة أو دولة أخرى قد يُفتح الباب أمام ظهور جملة من الإشكالات والاضطرابات لدى سكان تلك المدينة أو الدولة. وقد اعترت القبائل اليهودية التي كانت تعيش في المدينة حالة من الانزعاج وعدم الارتياح من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه. «فقد كان اليهود الموزعين على ثلاث قبائل هي قبيلة بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير يسيطرون تقريباً على مجمل الحياة الاقتصادية والتجارية السائدة في منطقتهم والمناطق المجاورة. وكان اتحاد قبيلتي الأوس والخزرج ذات الأصول العربية مع النبي محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه المهاجرين من مكة وتأسيسهم معًا دولة مبنية على نظام سياسي واجتماعي جديد تَنْبِذُ كل أشكال التفرقة والأفكار التي تؤدي إليها، كان كل ذلك تطوراً خطيراً ومضراً بمصالح أولئك اليهود».

وبناءً على ذلك ينبغي على سلطات الدول التي يتواجد فيها المهاجرون واللاجئون بما فيها تركيا وضع أنظمة وتشريعات تتم مراعاتها وتطبيقها بين مواطنيها وبين المهاجرين واللاجئين.

ومن هذا المنطلق يُعد الاعتراف بحق المواطنة/ الجنسية للمهاجرين واحداً من أهم الخطوات الأساسية التي يجب الإقدام عليها في هذا المجال؛ إذ إن المواطنة في الإسلام تعود إلى دستور المدينة (٦٢٣). وبهذه الوثيقة/ الاتفاقية المشار إليها آنفاً وضعت أسس دولة المدينة والمجتمع الجديد (الأمة)، وبذلك أُعطي الأمان لسكان وقبائل المدينة، والذين قدموا إليها حديثاً (المهاجرين)، وحُمِّلوا بالحقوق والواجبات والمسؤوليات تجاه بعضهم وتجاه دولة المدينة.

وفي هذا السياق ينبغي التوقف عند مفهوم المواطنة العابرة للقومية أو الوطنية بشأن الجماعات التي لجأت إلى دولتنا وتجاوزت أعدادها الملايين. وبالأساس «تُعد الدراسات بخصوص الجماعات العابرة للقومية ميداناً جديداً في العلوم الاجتماعية. وهذا المفهوم متعلق بشكل أكبر بالهجرة، والعرق، والثقافة، والقومية. فمع الدخول إلى القرن الحادي والعشرين بدأ الحيز المحدد من الأرض (التراب الوطني) الذي يُعد أحد أهم عناصر الدولة القومية التي تتأسس عليها، بدأ يفقد أهميته بدرجة واضحة. فكل من التنقلات الجغرافية المتزايدة، وزيادة الهجرات المؤقتة، أو الدورية أو المتكررة، والرحلات الرخيصة والميسرة، والتواصل المستمر الذي تؤمنه التكنولوجيا الحديثة أضعفت فكرة الانتماء إلى دولة واحدة، وقوم واحد لدى الفرد. وإن الأفراد المنتسبون إلى

هذه الجماعات يشكلون هوياتهم دون الارتباط بمنطقة جغرافية محددة. وتمارس الجماعات العابرة للقومية أو الوطنية أنشطة اقتصادية، وسياسية، وثقافية، ودينية؛ ومن خلال هذه الأنشطة والفعاليات تبني جسور تواصل بين دولها والدول التي تهاجر إليها». وهذه الحالة تتطابق وتنسجم مع المقاربات الأساسية للإسلام المتعلقة بالموضوع. إذ «إن إحدى الميزات أو الخصائص العامة للإسلام التي يجب أخذها بعين الاعتبار هي دعواه العالمية التي تتجاوز خصائص الدولة القبلية، والقومية، والوطنية، وتحقق المساواة. لأن الإسلام يرفض التمييز أو التفرقة التي تستند إلى المعايير العرقية، والإثنية، والوراثية التي تشكل أسس القومية. والمقياس الوحيد للتفاضل بين الناس في الإسلام هو الاعتقاد بالله والتقوى». وانطلاقاً من ذلك ينبغي تهيئة الأجواء وإتاحة المجال أمام المهاجرين للحفاظ على كيانهم، وثقافاتهم، وقيمهم، والنظر إلى الفروقات والاختلافات كمصدر غنى في المجتمع، وتحضير لوازم العيش المشترك بشكل ملموس على الصعيدين النظري والعملي.

- ينبغي التضامن مع المهاجرين وبناء المستقبل سوياً:

لقد وضع النبي عليه الصلاة والسلام أسس الحضارة الإسلامية وأشاد بناءها مع الأنصار والمهاجرين. وقد أظهر الأنصار والمهاجرون النموذج الأول للتضامن في بناء المسجد الأول/ المسجد النبوي الذي يحتل مكانة مركزية في حضارة الإسلام. وكذلك قام أولئك معاً بالدفاع عن الإسلام، ونشره. وخرجوا في الغزوات جنبا إلى جنب، وجاهدوا كتفاً بكتف، وتحركوا في كل بقاع الأرض وكأنهم بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً. إذاً بإمكان الدول التي هي بمكانة الأنصار بسبب الهجرات التي تشهدها المرحلة التي نعيش فيها بناء مستقبل مشترك مع اللاجئين والمهاجرين الذين استقبلتهم في أراضيها، والإسهام بصورة مشتركة في تطوير الدولة وتنميتها في ميادين كثيرة مثل: العلم، والتقنية، والزراعة، والصحة، والتعليم. وباستطاعة دولتنا بشكل خاص استثمار هذه الحالة بالشكل الأمثل.

- ينبغي وضع مخططات ومشاريع مستقبلية، واستشراف المستقبل:

إن موجة الهجرة المتجهة إلى بلادنا من الدول المجاورة، وعدم معرفة مدة بقاء اللاجئين في دولتنا تخلق حالة من الغموض والإبهام. فينبغي في هذه الحالة وضع خطط مستقبلية واستشراف للمستقبل، وقد ورد في أحد الأبحاث أن الهجرة صارت حالة طبيعية وجزءًا من الحياة، وسوف تحدث في السنوات القادمة «عملية تكيف أو انسجام»، ومن ثم فقد يكون لدينا في الأعوام الآتية وزير مسيحي، أو وزير يتكلم اللغة العربية، لذا يجب أن نكون مستعدين لهذا الأمر سواء على مستوى المجتمع، أو الدولة، وجاء في البحث ذاته تأكيد على ضرورة تطوير سياسات الاندماج في الفترة القادمة بالقول: «مثلاً نحن لا نعرف حتى كم مهندساً معمارياً بين اللاجئين السوريين الذين دخلوا إلى بلادنا!»، مبيناً بذلك أن هناك نسبة من المتعلمين يمكن أن يأتوا إلى تركيا، إلا أنه لم يتم الكشف عن ذلك بعد. وباختصار ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن المهاجرين قد يصبحون مقيمين

دائمين، ومن ثم ينبغي وضع خطط ومشاريع مستقبلية، والقيام بخطوات عملية في هذا المجال. إذ «إن تأثير الهجرة الكبير في عملية تأسيس وبناء الحضارة حقيقة لا يمكن تجاهلها. فهناك علاقة وثيقة بين التغيرات الكبيرة التي تجري في العالم وبين الهجرة، أي حركات النزوح/ اللجوء التي تحدث لأسباب قسرية اضطرارية. ثم إن هناك حضارات كبيرة ولدت وازدهرت بالتزامن مع حركات الهجرة الكبيرة وعلى أيدي المهاجرين. وفي هذا المضمار يمكن اعتبار هجرة النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين من مكة إلى المدينة، والأنشطة والأعمال التي تلتها بمثلبة خطوات أولى لبناء حضارة جديد».

- ينبغي الإفادة من نموذج أصحاب الصُّفَّة بشأن مخيمات اللاجئين:

يمكن اعتبار أصحاب الصُّفَّة كأول مخيم للاجئين أو دار ضيافة في تاريخ الإسلام. ومع ذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكتف فقط بتأمين المأوى للمهاجرين والمنقطعين في الصُّفَّة، وإنما في الوقت ذاته حول الصُّفَّة إلى مركز علمي؛ إذ كان يتم في الصُّفَّة تعليم وتنشئة القاطنين من ناحية العلوم الدينية وعلى رأسها تعليم القرآن. وكان يتم إرسال المعلمين من بين هؤلاء من أجل تبليغ الإسلام ونشره. وعلى ذلك فلا ينبغي اليوم أيضاً الاكتفاء بتلبية الاحتياجات الأساسية للاجئين فحسب، مثل: المأوى، والمأكل والمشرب، وإنما يجب تنظيم برامج ودورات مفيدة من أجل استثمار أوقات الفراغ، وإعداد أفراد متعلمين؛ وأما بالنسبة لمن هم في سن التعليم فيجب إتاحة الفرصة أمامهم من أجل تلقي التعليم اعتباراً من المرحلة التعليمية الأولى وحتى مراحل التعليم العالية.

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يقوم في الوقت ذاته بصفته رئيس دولة بتحمل مسؤولية حماية المهاجرين، واللاجئين، والمحرومين، والضيوف الذي ينزلون في الصُّفَّة. وهذا يشير إلى ضرورة أو وجوب تحمل الدولة أكثر من المجتمع والأفراد مسؤولية قضية اللاجئين وحل مشكلاتهم، وجعلها من أولويات سياساتها. فقد كان النبي عليه الصلاة يهتم بذاته وعن كثب سواء بالمهاجرين أم بالمقيمين في الصفة، وإذا رأى لهم حاجة أو مشكلة كان يسارع إلى تلبيتها أو حلها، وكان يستنفر المجتمع عند عدم توفر الإمكانات لديه لتلبية تلك الحاجات.

- ينبغي إتاحة المجال أمام المهاجرين واللاجئين للعمل، وتأمين متطلبات معيشتهم:

لم يكن النبي عليه الصلاة والسلام يود أن يتضرر الأنصار أو تلحق بهم خسارة وأذى وهم يقومون بتقديم العون والمساعدة للمهاجرين. فقد جاء الأنصار إلى النبي عليه الصلاة والسلام وعرضوا عليه أن يقسم بساتين نخلهم بينهم وبين إخوانهم المهاجرين، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقبل ذلك. وعندها اقترح الأنصار أن يتشارك المهاجرون معهم في مواسم حصاد البساتين التي يقومون بمعاونتهم ومساعدتهم في خدمتها ورعايتها، فقبل المهاجرون هذا العرض. ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام قبل عرض الأنصار دون إخراج

أموالهم من ملكيتهم، وإلحاق الضرر بهم، وبشرط أن يكون هناك تعاون ومساعدة يقدمها الطرف الآخر. وهنا لابد من الإشارة إلى خطأ التصور المتكون حول اعتماد أهل الصفة على غيرهم في تلبية احتياجاتهم ومتطلباتهم اليومية من غير بذل شغل أو جهد؛ إذ ورد أن أهل الصفة كانوا يقومون بتأمين رزقهم من خلال عملهم بطحن الحبوب من أجل طعام الدواب، مع أنهم لم يكونوا يربون الحيوانات. وانطلاقاً من ذلك ينبغي على المهاجرين والنازحين في أي وقت أو ظرف بذل الجهود من أجل تأمين رزقهم وتلبية احتياجاتهم، وعدم الاعتماد بشكل دائم على المساعدات الاجتماعية، أوانتظار الرعاية الخارجية.

وبذلك ينبغي على اللاجئين والنازحين في الأحوال المشابهة اليوم السعي وبذل الجهد عند اللزوم لتأمين رزقهم ومتطلبات معاشهم، وأن يكونوا شديدي الحرص على عدم إرهاق الشعوب والدول التي استضافتهم وأغاثتهم وقدمت لهم يد العون والمساعدة، وعدم إلحاق الضرر بهم، وأن يجعلوا التعاون والتضامن مبدأ لهم.

- ينبغي التعامل مع أزمة الهجرة أو النزوح بحس الأخوة والإنسانية:

لقد كانت أول عمل قام به النبي عليه الصلاة والسلام بشأن تنظيم الأمة، والدولة، والسلطة هو تأسيس رابطة الأخوة بين المهاجرين والأنصار. فقد شكلت الهجرة إلى المدينة أروع نموذج في كيفية تلاقي أناس متباينين ومختلفين في العرق، والنسب، والانتماء المكاني...، وتكوينهم مجتمع أمة واحدة متماسكة ضمن مفهوم وإحساس من الأخوة. «إن رابطة الأخوة هذه أذابت كافة المظاهر العنصرية والعصبية الجاهلية في بوتقتها، وألقت معها كل الفروقات والاختلافات في النسب، واللون، والوطن تحت الأقدام. لذا ليست هناك حَمِيَّة سوى حَمِيَّة الإسلام. ولا يُقدم، أو يُؤخر أحد إلا بمعيار التقوى والمروءة». إن هدف النبي عليه الصلاة والسلام من المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين هو تحقيق الوحدة في المجتمع، وبث روح التعاون والتضامن والتعاضد بين أفراده. وهذا لا يتحقق معناه الكامل إلا من خلال أخوة قائمة على العقيدة. ولهذا «فقد احتل مفهوم الأمة مكان القبيلة والعشيرة. وفي النتيجة تحول أتباع القبيلة الذين تعاهدوا على مساندة ومناصرة بعضهم في الجاهلية من خلال تشكل حلف فيما بينهم، تحولوا إلى مؤمنين يتحركون سويًا على أساس الأخوة الدينية». (آباك، ٢٠٠٧: ٣١٨).

إذا أراد المجتمع الإسلامي النجاح في تحقيق أهدافه السامية فلابد أولاً من إقامة الروابط بين أفراده على أساس الإحساس بالإخوة، فالمجتمعات التي يتعامل أفرادها بروح التعاون والتضامن، وليس على أساس الحسد والبغضاء والكراهية تكون أكثر سعادة، وأكثر قوة وتماسكاً.

لقد حدث في بداية القرن الماضي تمزيق المجتمع والأمة الإسلامية، واستئصال الروابط القائمة بين عناصره، وتفريقه باستخدام الهُوِيَّات والاختلافات القومية، وإنه من حسن الطالع أن تصبح موجة الهجرة التي

تحدث في منطقة الشرق الأوسط سببا في حدوث تغيرات إيجابية بعد مرور قرن من الزمان، مثل: إعادة إحياء مفهوم الأمة الممزقة، وبناء الوعي والشعور بها.

إن حالة مثل مدينة «كلس» تعد جديرة بالتوقف والاعتبار؛ حيث لم تسجل حالات سلبية ذات قيمة بين السوريين (المهاجرين) والأتراك (الأنصار) منذ خمس سنوات، على الرغم من احتضان المدينة لأكبر تجمع للسوريين في تركيا، فلقد ضرب الأهالي هناك أروع مثل على إمكانية التقبل المجتمعي، والتعايش السلمي المشترك، وإذا حدثت مشكلات سلبية بسبب الهجرة أو اللجوء وذلك أمر متوقع فينبغي التعامل معها تحت مظلة العقيدة،؛ خاصة وأن ما يحمله السوريون من عقيدة وما يحمله الأتراك يمثل قاسمًا مشتركًا يمكن توظيفه والبناء عليه، ولا ينبغي أن يُنْسَى في هذا المقام التعامل تحت المظلة الإنسانية العامة بالنسبة للمهاجرين أو الملتجئين من أتباع العقائد الأخرى في حالة حدوث سلبيات أو مشكلات منهم.

- ينبغي على اللاجئين حمل فكرة العودة إلى بلدانهم بوصفها هدفاً:

- لقد هاجر النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمون إلى المدينة في سبيل دينهم وقيمهم، وقد جعلوا نشر قيمهم هدفاً وغاية أساسية أيضاً إلى جانب ممارستها وتطبيقها في حياتهم. وعلى ذلك فإن من الأهمية بمكان أن يعيش اللاجئون من أبناء الشرق الأوسط بغض النظر عن السبب الذي دفعهم إلى الهجرة والنزوح، وإن كان الغالب بهدف البحث عن الأمان، يعيشوا في الدول التي لجأوا إليها دون التنازل عن هوياتهم وقيمهم. ويمكن القول كما أن الهجرة إلى المدينة مثلت الأرضية اللازمة لدخول شبه الجزيرة العربية في الإسلام، كذلك فإن حركة المهاجرين واللاجئين إلى دول ومناطق ومدن مختلفة، على الأقل المرتبطين بقيمهم سوف تؤدي مع مرور الزمن إلى نمو جذور بعض القيم الإسلامية في تلك الدول والمناطق، وستجد لها فرصة للعيش والحياة. وكذلك على الدول والأوطان الأصلية للاجئين البحث عن وسائل وطرق لعودتهم إلى بلادهم من خلال الاهتمام بعودتهم عن قرب، وإعادة بناء الثقة وخلق بيئة آمنة لذلك. وفي هذا السياق يجب القيام بأعمال وأبحاث، وتشكيل منظمات وهيئات وجمعيات للدفاع عن حقوقهم. لقد تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع الذين أجبروه وأصحابه على ترك مدينتهم وبيوتهم وأملاكهم من خلال ممارسة شتى أشكال الظلم والاضطهاد والضغوطات عليهم، عند فتح مكة على أساس العفو والتسامح، ولم يفكر أبداً في الانتقام منهم، ولم يحمل تجاههم مشاعر الحقد والبغضاء والكراهية. وعلى ذلك يمكن القول إنه من الأصوب والأفضل لدى عودة الجماعات التي اضطرت إلى النزوح والهجرة إلى بلدانهم غداً، وتسلمهم مقاليد الحكم والإدارة فيها إبداء مواقف مقاربة ومماثلة لموقف النبي عليه الصلاة والسلام مع أهل مكة يوم فتحها.

لكون النبي عليه الصلاة والسلام كان دائم التطلع إلى المستقبل فإنه لم ينظر إلى الحوادث السلبية والمشكلات والإساءات التي جرت معه ومع أصحابه في الماضي، ولم يجنح إلى معاملة سلبية وسيئة تجاه الذين

تسببوا بتلك المشكلات والإساءات. ومثال ذلك: فتح مكة. إذ إنه لما فتح مكة ودخل إليها مع المسلمين منتصراً تعامل بالعفو والصفح مع المشركين الذين اضطروه هو وأصحابه إلى الهجرة عنها. أو بالأحرى لقد تصرف النبي عليه الصلاة والسلام بمفهوم سابق للعصر في حل الأزمات. فبينما كانوا يتوقعون أو ينتظرون خائفين ومرعوبين من العقاب جزاء ما اقترفوه، قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا أقول لكم إلا كما قال أخي يوسف، وقرأ عليهم الآية القرآنية:** ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف: ٩٢]».

- ينبغي الانتباه إلى الأحوال النفسية للاجئين/ المهاجرين:

يمكن تصنيف ظاهرة الهجرة وخاصة الهجرات القسرية كواحدة من الأزمات الخطيرة والمهمة التي يواجهها الفرد والمجتمع. فكما أن الذين يتعرضون للهجرة يواجهون مشكلات من النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، فإنهم كذلك يمكن أن يواجهوا أزمات جدية وخطيرة من الناحية النفسية أيضاً. لأن «العالم الداخلي للمهاجر يتعرض بسبب الهجرة لجملة من التغيرات والتبدلات بغض النظر عن عمره، وجنسه، وسبب الهجرة، ومكانته في مجتمعه، ومستواه التعليمي، وماضيه الثقافي، وبصرف النظر أيضاً عن مدة إقامته في دولة المهجر». فقد جاء في أحد الأبحاث أن المهاجرين تنتابهم مشاعر وأحاسيس وأزمات جمة في المهجر، من قبيل: الشعور بالغربة، والعزلة، والوحدة، والفراغ، وأزمات شخصية، وفقدان الجذور والأصالة، ومحاكمة القيم التي اكتسبها في وطنه الأم ولغته واستحقارها، والشعور بالنقص والدونية، والتوتر والتشكك، والانكسار، والشعور بالذنب، والحكم المسبق على الأمور. إن التصرفات والسلوكيات الإقصائية والنابذة تجاه المهاجرين والإضرار بهم وإيذاءهم ليست بتصرفات إنسانية وإسلامية. فينبغي في هذا المجال تقديم سلوكيات مبنية على التعاطف والود والمحبة. فلكي يصل الإنسان إلى الإيمان والفضيلة الحقيقية لا بد أن يحب لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه سواء كان هذا الأخ مهاجراً أم غير مهاجر. وهذا الأمر من مقتضيات الإيمان والدين. إذ يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

- على الدول الإسلامية المبادرة بشكل أكبر في مجال حل مشكلة الهجرة:

يجب استعادة الثقة بالذات من جديد لحل المشكلات والأزمات التي بالعالم الإسلامي بما فيها أزمة الهجرة. وينبغي لتحقيق ذلك البدء أولاً بالخروج من الأزمة الفكرية التي سقط فيها والتخلص منها.

لقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يتوصل إلى حلول المشكلات كافة بما فيها الهجرة بقيادته وإدارته وتوجيهه الذاتي. وانطلاقاً من ذلك فإن انتظارنا الآخرين للتدخل من أجل حل مشكلاتنا وأزماتنا، وتحقيق مصالحنا ليس إلا عبارة عن تعلق بالآمال والأماني الوهمية الفارغة. فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يترك حكم وإدارة شؤون أمته لتدخل الآخرين، وانتظار مبادراتهم. ولكن كما قال أبو سليمان لما وقع حكم وإدارة دفة الأمة

بيد الأعداء سقط المجتمع والقيادة السياسية أيضاً. فيجب على المجتمعات المسلمة لحل المعضلات والأزمات الاقتصادية، والسياسية، والقانونية، والعسكرية ومن ضمنها مشكلة الهجرة التي تعاني منها اليوم خلق وإبداع حلول ومخارج ذاتية وليس استيرادها من الخارج، وتحمل مسؤولية إدارة وحكم الأمة من جديد. إن الدول الإسلامية اليوم لا تحكم ذاتها بالمعنى الحقيقي، ناهيك عن حكم غيرها من بلدان. فالمشهد السائد والطاغي على هذه الدول أنها تحافظ على حياتها ووجودها من خلال القرارات التي تتخذها بشأنها الدول العظمى صاحبة السيطرة والإدارة والسلطة الفعلية. فمفهوم الحقوق والقوانين والأنظمة لدى الدول والقوى المهيمنة عبارة عن آلية وأداة تعمل لتحقيق مصالحها على حساب الدول والمجتمعات الضعيفة والمظلومة، وبصورة خاصة البلدان الإسلامية. فهي تارة تؤيد وتساند الانقلابات، وتارة تدعم المنظمات الإرهابية، وتارة تصنف منظمات ودول أخرى على أنها إرهابية طبقاً لمصالحها، وكما تشاء.

• يجب سد الباب ابتداءً أمام المشكلات التي قد تحدث بين المهاجرين والمواطنين المحليين، وإذا ما ظهرت مشكلة فينبغي احتواؤها وعدم إتاحة المجال لتوسعها: كان في عهد النبي عليه الصلاة والسلام تحدث أحياناً بعض النزاعات والمشكلات بين الأنصار والمهاجرين بتحريك وتحريض من المنافقين، وكان النبي عليه الصلاة والسلام ما إن يسمع بها حتى يسارع إلى التدخل فيها والحيلولة دون توسعها.

يروي جابر بن عبد الله رضي الله عنه حادثة وقعت في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فيقول: كنا في غزاة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، وخرج مع النبي عليه الصلاة والسلام جماعة من المهاجرين. حتى إن المهاجرين صاروا أكثر من الأنصار. وكان بين المهاجرين رجل ذو مزاح، فكسع/ ضرب هذا الرجل رجلاً من الأنصار مازحاً. فغضب الأنصاري غضبا شديداً، وحدث بينهما نزاع، ونادى كل منهما قبيلته وعشيرته. فصرخ الأنصاري: يا للأنصار! وصرخ المهاجري: يا للمهاجرين! فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ فقالوا له: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار. فقال رسول الله ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**». فسمع ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أوقد فعلوها؟ يقصد أن المهاجرين يريدون الاعتداء على أهل المدينة، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل! فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال النبي ﷺ: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**». فلولا تدخل النبي في تلك اللحظة الحرجة، وتناوله الحالة الحساسة بحكمة بالغة لربما تحولت الحادثة إلى حرب بين الأنصار والمهاجرين، ومزقت وحدة المسلمين. وبسبب هذه الحادثة سار محمد ﷺ بالجيش ذلك اليوم مواصلاً النهار بالليل حتى شروق شمس اليوم التالي وارتفاعها في كبد السماء. وبعدها أعطى استراحة للصحابة الذين استلقوا على الفور على الأرض لشدة التعب والإرهاق. لقد كان هذا تصرفاً حكيماً وعاقلاً لصرف أذهان الجنود عن الحادثة التي وقعت في اليوم السابق إلى أمر آخر. ثم إن هذه الحالة تحمل أهمية إرشادية لأيامنا هذه أيضاً، وذلك لاتخاذ التدابير المناسبة عند حدوث أي مشكلة مشابهة وعدم السماح بتوسعها.

النتيجة:

لقد تعرض الناس كأفراد، والمجتمعات، والدول على مر التاريخ لمشكلات وأزمات مختلفة، ويمكن أن يشهد عصرنا الذي نعيش فيه أيضاً أزمات مشابهة أو مختلفة عن تلك التي حصلت في الماضي. فهناك احتمال وتوقع دائم لظهور جملة من الأزمات المستقبلية. ولهذا فإن هناك شبه استحالة في أن يعيش الإنسان في عالمٍ خالٍ من المعضلات والأزمات. وعلى ذلك فطالما أن الأزمات والمشكلات حتمية ولا مفر منها فيمكن اتخاذ التدابير اللازمة للوقوف في وجهها، وإيجاد حلول لها، والنجاح في تجاوزها بأقل الخسائر. وانطلاقاً من هذا التوجه فقد أجري في العصور الحديثة بشأن التعامل مع الأزمات العديد من الأبحاث والدراسات المهمة، وطورت النظريات، وظهرت كتابات غنية ومميزة. وبغض النظر عن كون التعامل مع الأزمات يُعد ميداناً أساسياً لعلم إدارة الأزمات، فقد حظي التعامل مع الأزمات باهتمام وأهمية كبيرة في الإسلام أيضاً. وذلك لأن الغاية الأساسية للإسلام ككل الأديان السماوية هي تحقيق السعادة للإنسان في الدارين، وتأمين خلاصه ونجاته فيهما. فكافة المبادئ، والأسس، والوصايا التي جاء بها الإسلام للبشرية عبارة عن حلول للأزمات والمشكلات التي تواجهها سوا كانت دينية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو قانونية، أو تجارية أو غيرها. وانطلاقاً من ذلك فإن الإسلام يقدم في مجال إدارة الأزمات، والتعامل معها مبادئ وتوصيات واقتراحات في غاية الأهمية. فالإنسان الفرد، والمجتمعات، والدول في عصرنا الحالي تعيش في وسط مليء بمختلف أشكال الأزمات والمعضلات. وفي هذا السياق فإن إحدى الأزمات والمشكلات التي تمس منطقتنا عن قرب هي أزمة ومشكلة الهجرة الناتجة عن الصراعات الدائرة في منطقة الشرق الأوسط. وقد صار الملايين من الناس الذين تأثروا بهذه الأزمة مهاجرين ولاجئين. لذا فإن أمامنا مشكلة هجرة جدية وخطيرة تنتظر الحل. وتتمتع المقاربات والمناهج والطرق التي وضعها النبي عليه الصلاة والسلام بشأن مشكلة الهجرة وحلها بأهمية كبيرة ومهمة من حيث الإسهامات التي يمكن أن تقدمها لحل المشكلة القائمة اليوم.

وذلك لأنه تعرض هو بذاته وأصحابه من المسلمين الأوائل للهجرة وعايشوا الصعوبات والمشقات والمشكلات التي جلبتها معها لهم. لذا فكما أن النبي عليه الصلاة والسلام قدوة ومثل في كل مسألة، فإنه كذلك قدوة ونموذج في مسألة الهجرة أيضاً، وبناء على ذلك تُعد نظرته للأزمة ومفهوم إدارته لها نموذجاً ذا صفة وطبيعة عالمية، فهو لم يقدم مقاربة سلبية تجاه المشكلات والأزمات، وإنما عمل على تجاوز الأزمات بأقل الخسائر والأضرار، وحولها إلى فرص يُستفاد منها، واتخذ تدابير وقائية قبل وقوع الأزمات، وقدم مواقف نموذجية في حل المشكلات، وراعى المبادئ والأسس، وتعامل مع الأحداث على مبدأ ربط النتائج بالأسباب (التوسل بالأسباب) إلى جانب الدعاء والتوكل. واهتم النبي عليه الصلاة والسلام بمشكلات المهاجرين عن قرب، واتخذ إجراءات عملية في هذا المجال مثل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، واتفاقية المدينة، والتشجيع على

التعاون والتضامن والتعاضد، وما قام به تجاه أهل الصفة. وتحافظ توصيات النبي عليه الصلاة والسلام والإجراءات التي اتخذها بشأن مشكلة الهجرة على أهميتها بالنسبة لعصرنا هذا أيضاً. فحسب النتائج المستخلصة من الإجراءات والممارسات النبوية المذكورة ينبغي من أجل حل مشكلات الهجرة القائمة في عصرنا الحالي عقد اتفاقيات قانونية مع المهاجرين، وإيلاء أهمية للتضامن مع المهاجرين وبناء المستقبل معهم، ووضع مشاريع وخطط مستقبلية واستشراف المستقبل، والاستفادة في مخيمات اللاجئين من نموذج أصحاب الصفة، وتأمين الإمكانات التي يستطيع بها المهاجرون الاستمرار بحياتهم بشكل لائق، والتعامل مع اللاجئين على أساس الإحساس بالأخوة والإنسانية، وزرع بذور الأمل وفكرة العودة إلى البلاد الأصلية لدى المهاجرين، وأخذ الأحوال النفسية في الاعتبار في الوسط الذي يتواجد فيه المهاجرون، واتخاذ التدابير والإجراءات الاستباقية التي تمنع حدوث مشكلات بين المهاجرين والمواطنين المحليين، والحيلولة دون توسعها في حال حدوثها، والأهم من كل ذلك يجب على الدول الإسلامية المبادرة باتخاذ إجراءات من أجل إيجاد حل دائم لمشكلة الهجرة في الشرق الأوسط.

المراجع:

- آباك، آدم "حول الخطوات التي اتخذها النبي بعد الهجرة لتشكيل مجتمع نموذجي في المدينة"، مؤتمر النبي محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته العالمية، منشورات مجلة العلوم الإسلامية، أنقرة ٢٠٠٧.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (وفاة ٢٤١/ ٨٥٥)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠١.
- أفضل الرحمن، موسوعة السيرة، ترجمة: يوسف بالجي وآخرون، منشورات انقلاب، اسطنبول ٢٠٠٣.
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المكي (وفاة ٢٥٠/ ٨٦٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، (بدون تاريخ).
- أونكال، أحمد، "الهجرة"، DİA, TDV yay، إسطنبول ١٩٩٨، ١٧، ٤٥٨- ٤٦٢.
- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (وفاة ٢١١/ ٨٢٦)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣.
- العشماوي، محمد إبراهيم، "فقه التخطيط للمستقبل في ضوء السنة والسيرة"، الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية، دبي ٢٠١١.
- بلال، يحيى، "النصوص القواعدية في السنة النبوية لإدارة الأزمات"، الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية، دبي ٢٠١١.
- بيرقدار، راسم، "من الهجرة الاضطرارية إلى المواطنة العابرة للقومية/ الوطنية"، مجلة كلية الإلهيات بجامعة هيتيت، ٢٠١٣/ ٢، ج ١٢، عدد: ٢٤، ص، ١٠٩- ١٢٦.
- بيغوفيتش، علي عزت، مشكلات الولادة الإسلامية الجديدة، ترجمة: رحمن آدمي، منشورات فيده، إسطنبول ٢٠١٠.
- البلازوري، أحمد بن يحيى بن جابر (وفاة ٢٧٩/ ٨٩٢)، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت ١٩٨٨.

- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (وفاة ٤٥٨/ ١٠٦٦)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (وفاة ٢٥٦/ ٨٧٠)، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ٢٠٠٢.
- بولاج، علي، "بانوراما الأحداث السياسية في عصر السعادة"، الإسلام في عصر السعادة بكافة جوانبه، نشريات الأنصار، اسطنبول ٢٠٠٧.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (وفاة ٢٧٩/ ٨٩٢)، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨.
- توتار، حسن، إدارة الأزمات والضغوطات النفسية/ الاكتئاب، منشورات سجكين، أنقرة ٢٠١١.
- جليك كان، عثمان، "إدارة الأزمة الدولية"، الأزمات وإدارة الأزمة، بارش كتاب، أنقرة ٢٠١٢.
- الجمل، صديقة محمد سليمان، الهدي النبوي في إدارة الأزمات الاجتماعية للأمة، الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠٨.
- حميد الله، محمد، نبي الإسلام، ترجمة: صالح توغ، منشورات عرفان، إسطنبول ١٩٩٠.
- حميد الله، محمد، "التسامح في تصرفات النبي في المدينة بعد الهجرة"، ترجمة: مصطفى آشكار، مجلة العلم الديني، ١٩٩٥، مجلد: ٣١، عدد: ١، ص، ٣- ١١، أنقرة ١٩٩٥.
- الحداري، مشعل محمد، إدارة الأزمات في علم الإدارة المعاصر وانعكاساتها في السنة النبوية، مصر، بدون تاريخ.
- الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر السامري (وفاة ٣٢٧/ ٩٣٩)، مكارم الأخلاق، تحقيق: أيمن عبد الجابر، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٤١٩/ ١٩٩٩.
- دميرجي، أحمد امري، "الفروقات الفكرية المتعلقة بالأزمات المنظمة"،
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (وفاة ٢٧٥/ ٨٨٩)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قارابلي، دار الرسالة العلمية، ٢٠٠٩.
- الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف (وفاة ٧٦٢/ ١٣٦٠)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، دار ابن خزيمة، ١٩٩٤.
- ابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد الخرساني (وفاة ٢٥١/ ٨٦٥)، الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل، السعودية ١٩٨٦.
- أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم، ترجمة: ياسمين ساور، منشورات محيا، إسطنبول ٢٠١٢.
- شحاتة، حسين حسين، إدارة الأزمات الاقتصادية (مواقف من حياة الرسول ﷺ)، كلية التجارة – جامعة الأزهر، بدون تاريخ.
- شاهين، جنكيز، "دراسة نظرية حول تأثير الهجرة الخارجية على الصحة النفسية للفرد"، مجلة كلية غازي للتربية بجامعة غازي، ج ٢١، عدد: ٢، أنقرة ٢٠٠١.
- الشيخ، سوسن سالم، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، دار النشر للجامعات، مصر ٢٠٠٣.
- الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، ترجمة: سعد الله أرغون وآخرون، منشورات روضة إسطنبول ٢٠١٤.
- صانجاكلي، صافت، "دارسة حول أحاديث الفقر والغنى"، مجلة كلية الإلهيات بجامعة الجمهورية، ج ٥، عدد: ١، سيواس ٢٠٠١، ص، ٣٣١- ٣٧٨.

- طوزجو، آيلا، بادملي، كريمة، "البعد النفسي للهجرة"، المقاربات الحديثة في الطب النفسي- Current Approaches in Psychiatry 2014; 6 (1): 56-66.
- فيليز، أردينج، إدارة الأزمة في إدرة المجتمع التركي، Alfa Aktüel Yay، إسطنبول ٢٠٠٧.
- كمالي، محمد هام "مفهوم المواطنة وفق المنظور الإسلامي"، ترجمة: أرجان أسر، مجلة كلية الإلهيات بجامعة بوزوك، ٣، ٣ (٢٠١٣/ ٣)، ص، ١٣٣- ١٧١.
- الكيلاني، عبد الله إبراهيم، إدارة الأزمة – مقاربة التراث والآخر، كتاب الأمة، عدد: ١٣١، عام: ٢٩، قطر ٢٠١٠.
- TDK، المعجم التركي، أنقرة ١٩٨٨.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (وفاة ٢٧٣/ ٨٨٧)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩.
- مسلم، أبو حسين مسلم بن الحجاج القشيري (وفاة ٢٦١/ ٨٧٥)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (وفاة ٣٠٣/ ٩١٥)، سنن النسائي (المجتبى من السنن)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ١٩٨٦.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (وفاة ٣٠٣/ ٩١٥)، السنن الكبرى، تحقيق: حسين عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠١.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (وفاة ٢١٨/ ٨٣٣)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٥٥.

الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للهجرة

هجرة السوريين إلى غازي عنتاب نموذجاً *

أ. د. إبراهيم أرسلان و **أ. يوسف بوز كييك** و **أ. أردال ألانجى أوغلو**

جامعة غازي عنتاب – كلية الاقتصاد | جامعة غازي عنتاب – كلية الاقتصاد | جامعة حران

arslan@gantep.edu.tr | ybozgeyik@gantep.edu.tr | ealancioglu@harran.edu.tr

ترجمة: محمد طوبالجة

الخلاصة:

على مر التاريخ الإنساني شهدنا هجرة اختيارية أحياناً وبعض الأحيان هجرة قسرية. وقد أدت حركات الهجرة تلك إلى تشكل تغييرات مهمة للغاية في بنية المجتمع.

«الربيع العربي» في منطقة الشرق الأوسط، ومن ضمنه الثورة السورية التي تشكل آخر حلقات حركة التغييرات الإدارية (الإرادية) تلك، ما زالت لم تحقق هدفها بعد، حيث جلبت معها الحرب الأهلية كما يحدث الآن في سوريا. إضافة الى تلك الحرب الأهلية، اليوم نشهد في سوريا واحدة من أكبر حركات الهجرة في العالم سواء داخلية كانت أم خارجية. تحتل تركيا الموقع الأول كواحدة من دول اللجوء لعدد من الأسباب منها أن بينها وبين سوريا حدوداً مشتركة، بالإضافة إلى وجود علاقات ثقافية مشتركة بين الشعبين تاريخياً.

في هذه الدراسة تم تحليل التداعيات الاقتصادية والاجتماعية للاجئين السوريين في تركيا عامة وفي ولاية غازي عنتاب خاصةً، أولئك الذين أجبروا على ترك مناطقهم بسبب الحرب الأهلية الدائرة في سوريا.

ووفقاً لنتائج هذه الدراسة تم التوصل إلى نتائج مفادها أن اللاجئين السوريين في غازي عنتاب عانوا ولا يزالون يعانون من صعوبات جمة في المجال الاجتماعي والاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: تركيا، مهاجرين سوريين، اجتماعي–اقتصادي، هجرة

Göçün Ekonomik Ve Toplumsal Yansımaları: Gaziantep'teki Suriyeli Göçmenler Örneği

Özet

Tarih boyunca insanlık, bazen isteğe bağlı bazen de zorunlu olarak yaşanan, göç hareketlerine tanıklık etmiştir. Bu göç hareketleri beraberinde toplumun yapısında çok önemli değişikliklerin oluşmasına sebep olmuştur. "Arap Baharı"nın son halkasını oluşturan Ortadoğu coğrafyasındaki yönetim değişiklikleri hareketleri

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Göçün Ekonomik ve Toplumsal Yansımaları: Gaziantep'teki Suriyeli Göçmenler Örneği" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (إبراهيم أرسلان، يوسف بوزكييك، أردال ألانجى أوغلو، الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للهجرة: هجرة السوريين إلى غازي عنتاب نموذجا، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ١٢٩-١٤٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

Suriye'de hala amacına ulaşamamıştır. Bunun soncu olarak Suriye'de bir iç savaşın başlamasını beraberinde getirmiştir. Suriye iç savaşı ile birlikte insanlık tarihi, dünyanın en büyük ve zorunlu iç ve dış göç hareketlerinden birine şahit olmaktadır. Türkiye hem sınır komşusu olması, hem de iki toplum arasında geçmişe dayalı ortak kültürel ilişkilerden dolayı Suriyeliler tarafından en çok tercih edilen ülkelerin başında yer almaktadır.

Bu çalışmada Suriye iç savaşının sonucu olarak bulundukları yerleri terk etmek zorunda kalan Suriyeli göçmenlerin genelde Türkiye, özelde ise Gaziantep ilindeki toplumsal ve ekonomik yansımaları analiz edilmiştir. Gaziantep ilinde uygulanan saha araştırması sonuçlarına göre, Suriyeli göçmenlerin hem toplumsal hem de ekonomik anlamda zorluklar çektikleri görülmektedir.

Anahtar Kelimeler: Türkiye, Suriyeli Göçmenler, Sosyo-Ekonomik, Göç

Socio-Economic Reflections of Migration:

The Example of Syrıan Immigrants in Gaziantep

Abstract

Humanity has testified migrant evolments depending on compulsory and sometimes permissive conditions throughhout history. Migrant evolments cause very important changes of structure of society. Changing of the management on Middle East area as final public of Arab Spring have not achieved a goal in Syria yet. As a result of this, Syria civilwar has began. Because of this war, humanity has testified as one of most important of migrant evolments. Turkey is prefere done of the most popular country by Syrian people because of border and historical cultural relationships.

In this work, we analyze reflects of economical and social of Syrian migrants that they had to leave country as a result of Syrian civil war in Turkey andspecially Gaziantep. According to results of field anaylze in Gaziantep, Syrian migrants has economical and social problems.

Keywords: Turkey, Syrian Migrants, Socio-Economic, Migration

مدخل:

بسبب موقع تركيا الجغرافي والاستراتيجي كانت المحطة الأخيرة لحركات الهجرة الجماعية للاجئين على مر التاريخ. أي بمعنى آخر، استضافت ملايين المهجرين. إذ يشكل موقع تركيا جسراً بين الدول التي في شرقها وجنوبها تلك التي تعاني من الصراعات وعدم الاستقرار الواقعة في الشرق الأوسط وآسيا من جهة، وبين الدول الأوروبية التي فيها نسبة الرعاية ومعايير حقوق الإنسان أعلى ممن سواها من جهة أخرى. وقد أصبحت تركيا، لا سيما في السنوات الأخيرة، وبسبب تزايد استقرار البنية الاقتصادية والسياسية للدولة، مركزاً لجذب

حركات الهجرة النظامية وغير النظامية. ونتيجة لذلك، أثير موضوع تأثيرات ذلك على البنية الاجتماعية والثقافية والديموغرافية في تركيا [1].

تعدّ قضية الهجرة ظاهرة متشابكة مع التجربة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. في الوقت ذاته، أدت إلى ظهور مشكلات مختلفة على الصعيدين الوطني والدولي. كما أن نطاق تأثير الهجرة الدولية على أكثر من دولة يتسع أكثر فأكثر في السنوات الأخيرة.

الذين أجبروا على مغادرة بلادهم لأسباب كثيرة، والذين لا يستطيعون العودة إليها، أولئك يتسببون ببعض التغييرات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلدان التي يلجؤون إليها. لكن وبفضل السياسة المطبقة في وقتها، عموماً وعلى الرغم من سلبيتها، يمكن تحويل هذه الآثار إلى فرصة.

عادة ما نشعر بتداعيات وجود اللاجئين السوريين في تركيا في المجال الاجتماعي. حيث تنشأ بعض المشكلات بين اللاجئين والسكان الأصليين بسبب اختلاف اللغة، وأسلوب المعيشة والعادات الثقافية. بالإضافة إلى مشكلة عدم التوافق مع سكان البلد الأصليين، ونبذهم ولو جزئياً من قبلهم، وينظر إلى هذا الأمر على أنه مشكلة كبيرة.

تغيير التركيبة السكانية في المناطق التي استقر فيها السوريون بكثافة ينظر إليه على أنه التأثير الأهم والمثير للقلق.

عندما ننظر إلى مشكلة الهجرة من منظور اقتصادي يظهر لدينا جدول مؤلف من وجهين. فعندما ننظر إلى المساعدات النقدية والمالية التي قدمت للاجئين السوريين والتي أثرت سلباً على الاقتصاد التركي حسب رأي بعضهم، علينا أيضاً أن ننظر إلى التأثيرات الإيجابية في اقتصاد البلد. ورغم كل هذه السلبيات، إلا أنه يمكن ملاحظة مساهمة السوريين في الاقتصاد التركي.

الجدول ١. توزع اللاجئين السوريين حسب كل دولة [2]:

اسم البلد	عدد اللاجئين السوريين
تركيا	2764500
لبنان	1017433
الأردن	655 833
العراق	227 971
مصر	115 204
ليبيا	29 275
المجموع	4810216

(١) المديرية العامة لإدارة الهجرة، ٠٦_٠٥_٢٠١٦.

(٢) المصدر: http://data.unhcr.org/syrianrefugees/regional.php.

الجدول ١ يظهر توزع اللاجئين السوريين حسب الدول التي يوجدون فيها. برزت تركيا باعتبارها المكان المفضل بالنسبة لمعظم اللاجئين، فنصف العدد الإجمالي للاجئين موجودون في تركيا. وهذا ما شكل خطراً بالنسبة لتركيا، لكن من الممكن تحويل هذه الأنشطة الاستهلاكية لصالحنا من خلال اتباع سياسة اقتصادية واجتماعية إيجابية.

أسماء المحافظات ومراكز الإسكان المؤقت [٣]:

غازى عنتاب	112.095
هاتاى	19.204
كلس	36.944
كهرمان مرعش	18.235
عثمانية	7.250
أديمان	9.406
أضنة	341
ملاطيا	10.311
ماردين	3.939
المجموع الكلي	256.871

مع اندلاع الاضطرابات في سوريا عام ٢٠١١، اضطر السوريون للنزوح إلى دول المنطقة مثل تركيا والأردن ولبنان ومصر والعراق ورومانيا وبلغاريا. وبناء على البيانات التي قدمتها الأمم المتحدة (الجدول ١)، لشهر تشرين الثاني من عام ٢٠١٦م فقد بلغ عدد اللاجئين السوريين ٤,٨١٠,٢١٦ لاجئاً سورياً كحد أقصى. وكان ٢,٧٦٤,٥٠٠ (٥٧،٥ ٪) من إجمالي عدد اللاجئين قد لجؤوا إلى تركيا، كما قام ١,٠١٧,٤٣٣ (٢١،١ ٪) باللجوء إلى لبنان، و٦٥٥,٨٣٣ (١٣،٦ ٪) إلى الأردن، و٢٢٧,٩٧١ (٤،٧ ٪) إلى العراق، و١١٥,٢٠٤ (٢،٤٩ ٪) إلى مصر، ٢٩,٢٧٥ (٠،٦ ٪) إلى ليبيا.

وحسب المصادر وصل العدد الحقيقي للاجئين السوريين إلى ٤ ملايين لاجئ في بلدان اللجوء. هذا ما أدى إلى ارتفاع النمو السكاني في تركيا إلى ٤ ٪ [٤].

الجدول: ٢ توزع اللاجئين السوريين في مراكز الإسكان حسب المدن التي يتواجدون فيها تركيا [٥].

(٣) المصدر: http://data.unhcr.org/syrianrefugees/regional.php.

(٤) Şahin، 2016 .

(٥) https: //www.afad،afad .

وتلاحظ مساهمة الشركات الصغيرة التي يفتتحها السوريون في الاقتصاد المحلي، إذ يزيد عددها يوماً بعد يوم. لكن قبول السوريين العمل بأجور أقل أدى إلى انخفاض الأجور في السوق.

٢. مفهوم الهجرة!

على الرغم من كون مفهوم الهجرة قديماً قدم البشرية، إلا أننا نلاحظ ارتفاع معدل الهجرة في السنوات الأخيرة. فالعناصر الأساسية لظاهرة الهجرة هي تمركز رؤوس الأموال في أماكن معينة، ووجود الفوارق الاقتصادية بين البلدان. وبعبارة أخرى، إن توجه العالم نحو العولمة أدى إلى الإسراع في تطوير مفهوم الهجرة، كما شهدنا زيادة في عدد السكان أيضاً. فعلى مدى تاريخ البشرية نلاحظ التغييرات في طبيعة حركات الهجرة باستمرار. الهجرة قديماً كانت قسرية بسبب المجاعة والحرب والعوز والظروف المناخية والجغرافية، أما اليوم فهي اختيارية، وتكون لأسباب ثقافية وسياسية واقتصادية ودينية وتعليمة وصناعية وغيرها من المتطلبات. من هنا، يبدو أن مجتمعاتنا ظلت تواجه ظاهرة الهجرة منذ القديم وصولاً إلى وقتنا الحاضر، حيث جذبت انتباه الباحثين الذين يقومون بدراسة علمية حولها. ويهدف الباحثون الذين يرغبون في متابعة هذه المغامرة البشرية شرح مراحل هذه الهجرة من خلال تعريفات مختلفة لها.

الهجرة هي عملية تؤثر على كل المجتمعات حول العالم. ويمكن تعريف الهجرة أنها انتقال الناس من مكان إلى آخر لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية. وهو اسم عام وحدث عالمي. الهجرة، وبعبارة أخرى، هي حركة نزوح من منطقة جغرافية إلى منطقة جغرافية أخرى وفي مراحل مختلفة لأسباب جغرافية وثقافية واجتماعية بهدف العودة أو البقاء في مكان مناسب وباستمرار. فهجرة الناس من بلد إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى لها أسباب كثيرة ومعقدة. تقليدياً يعدّ العامل الاقتصادي السبب الرئيس للهجرة. لكن السبب وراء هذا التدفق الكثيف للمهاجرين من سوريا على وجه الخصوص هو الفرار من الحرب من أجل البقاء على قيد الحياة وليس بسبب العوامل الاقتصادية فقط.

٣. اللاجئون السوريين في تركيا:

في إطار المطالب الديمقراطية في سوريا الناجمة عن الربيع العربي، وبسبب الضغوطات قام نظام الأسد بتوجيه سلاحه ضد شعبه، ثم تحول الأمر إلى حرب مسعورة. في إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير وبسبب صراع المصالح السياسية والاقتصادية بين القوى الإقليمية والعالمية، بما في ذلك الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي، أصبحت الأزمة أكثر تعقيداً. شهد التاريخ الإنساني في سوريا واحداً من أكبر أنواع الهجرة القسرية في العالم. سواء داخلية كانت أم خارجية. وتركيا على رأس البلدان الأكثر تضرراً من حركة اللجوء هذه.

الرسم البياني ١ . توزع اللاجئين السوريين حسب الدول التي يوجدون فيها (٪)

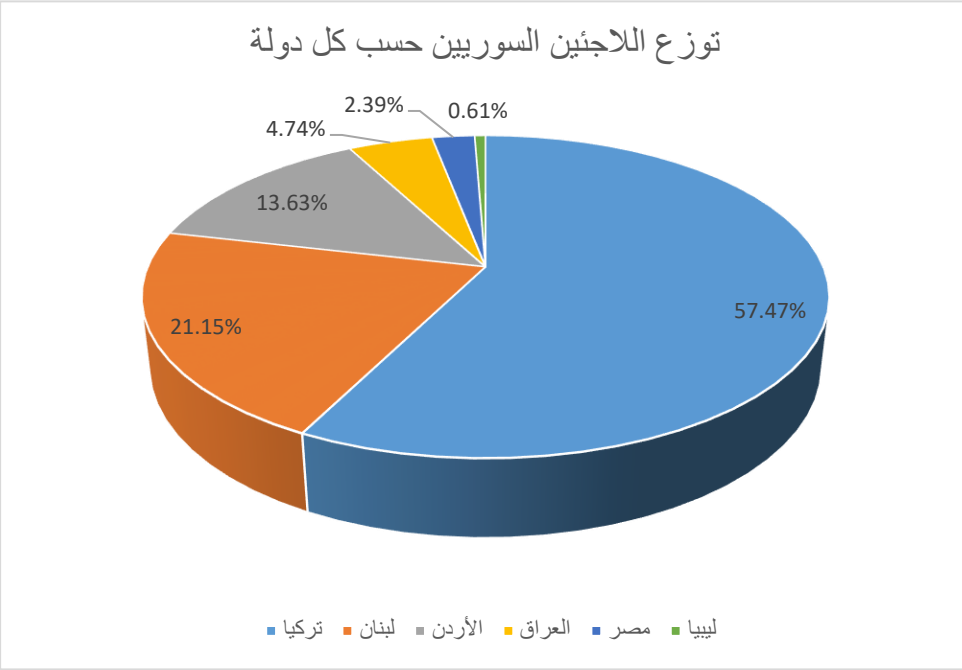

gov.tr/tr/2374/barinma-merkezlerinde-son-d [٢٩/ ٧ /٢٠١٧ ١١:٤٠ م]

الرسم البياني ٢: عدد اللاجئين السوريين في البلدان الأوروبية:

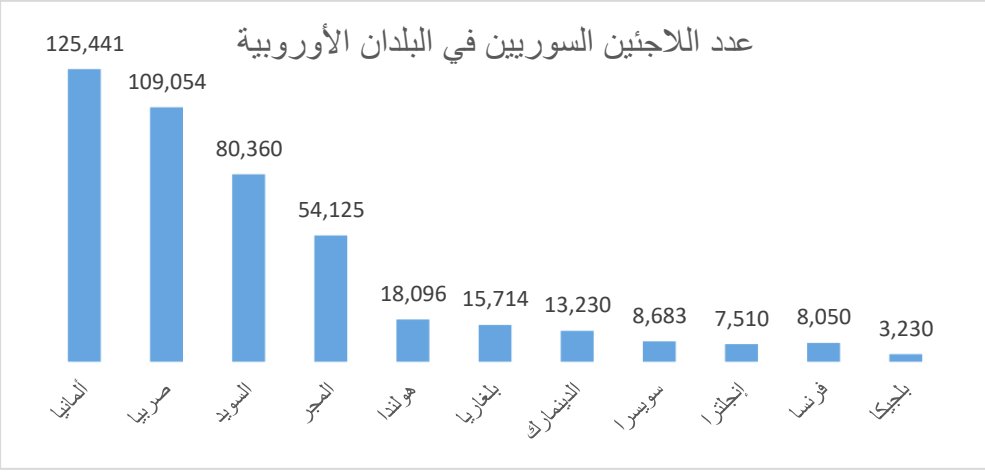

المصدر: المفوضية العليا لشؤون اللاجئين:

«سياسة الباب المفتوح» التي طبقتها دول اللجوء وفي مقدمتها تركيا ومن ثم الأردن ولبنان تجاه اللاجئين السوريين سهلت حركة اللجوء بشكل كبير. لكن اللاجئين السوريين الذين يريدون الذهاب الى الدول

الأوروبية واجهوا مشاكل خطيرة جداً. الدول الأوروبية استقبلت ٤٩٣ ,٤٤٨ لاجئاً سورياً فقط، وعندما نقارن هذا العدد مع العدد الذي تم استقباله من قبل دول المنطقة نلاحظ الفرق الكبير بينهما.

أهم أسباب عدم مبالاة الدول الغربية بهذه المأساة الإنسانية في العالم هو: المخاوف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

تركيا تستضيف ما يقرب من ٤ ملايين لاجئ سوري على الرغم من أن العدد الدقيق غير معروف. وقد أنشأت مديرية الآفاد AFAD حوالي ٢٦ مخيماً مجهزاً بكونتينرات في ١٠ ولايات مختلفة في أنحاء تركيا يعيش فيها ٢٦٠ ألف لاجئ سوري [٦].

ويعتقد أن هذا الارتفاع السريع في عدد المهاجرين خلال فترة زمنية قصيرة سيتسبب بمشاكل اقتصادية واجتماعية مختلفة في تركيا. فعدم توزع اللاجئين بشكل متجانس في جميع المدن، وتمركزهم فقط في المناطق القريبة من الحدود يعيق الإجراءات المناسبة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.

إن استقرار النازحين في الأماكن التي استقروا فيها وضعف احتمال عودتهم يشير إلى أهمية وجوب معالجة قضية الهجرة على المستوى الأكاديمي.

حتى الآن ووفقاً للمعايير الدولية أنفقت تركيا أكثر من ١٢ مليار دولار أمريكي على اللاجئين السوريين الهاربين من بلادهم بسبب الحرب. وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي تبذلها تركيا، إلّا أن المجتمع الدولي لم يساهم إلا بمبلغ ٥١٢ مليون دولار أمريكي فقط في مساعدة اللاجئين السوريين الموجودين على أراضينا [٧]. كسياسة «الأبواب المفتوحة» و«الحماية المؤقتة» التي تطبقها تركيا بإرادتها بحق اللاجئين. وبالرغم من معرفة المجتمعات الغربية ودول الاتحاد الأوربي بذلك إلاّ أنهم لم يقدموا الدعم اللازم [٨]. إننا نلاحظ بوضوح عدم تقديم الغرب الدعم اللازم لتركيا مقابل عملها الإنساني الجبار فيما يخص اللاجئين السوريين.

تركيا هي واحدة من البلدان الأكثر تضرراً من أزمة اللاجئين السوريين من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية. تفضيل اللاجئين السوريين لتركيا كمركز للإيواء أدى إلى تغيير في هيكلية المجتمع التركي وكشف عن وجود ظاهرة جديدة من خلال إثبات وجودهم بدءاً من القانون إلى السياسة الخارجية والأمن والصحة والتعليم والعمل، ووصولاً إلى الثقافة والاقتصاد [٩]. اليوم نلاحظ تحولاً كبيراً في المعادلة إذ انتقل اللاجئ السوري من الطرف المتأثر إلى الطرف المؤثر في تركيا [١٠].

(٦) AFAD.2016.

(٧) AFAD،2016 .

(٨) أردوغان، ٢٠١٤: ٥.

(٩) KOYUNCU, 2014.

(١٠) خان، ٢٠١٣: ٧٢.

نلاحظ بشكل عام زيادة في أسعار الإيجارات في تركيا. وأصبح من الصعب من الآن فصاعداً أن تجد مساكن للإيجار. وفي الوقت ذاته تم كشف ظاهرة التضخم في المحافظات الحدودية. كما انتشر توظيف الأيدي العاملة غير المرخصة وخاصة في الشركات الصغيرة. كما نشأت منافسة غير عادلة بين الشركات التي توظف السوريين بشكل غير قانوني وبين الشركات التي تلتزم بالقوانين [١١]. كما هو الحال مع جميع أحداث الهجرة حول العالم، إن القلق الأكبر الذي يصيب السكان المحليين غالباً ما يكون فيما يخص سوق العمل. وبالرغم من هذا الانزعاج لدى المجتمع إلاَّ أن توظيف هؤلاء الأشخاص، كونهم مجبرين على العمل بأجور منخفضة جداً، من شأنه دعم سوق العمل في الوقت ذاته [١٢].

المساهمة الملحوظة في العمل من قبل السوريين في المحافظات الحدودية أثرت بشكل إيجابي على مناخ الاستثمار في المنطقة. وإضافة إلى ذلك فقد أسهم تأمين واستيراد المواد التي قدمت كمساعدة للاجئين في المخيمات، سواء كانت في خارج البلاد أم داخلها من الشركات المصنعة في تركيا، أسهمت بشكل كبير في الاقتصاد التركي. كما أن العلاقات التجارية والاستثمارية بين وحدات صنع القرارات الاقتصادية السورية ودول الشرق الأوسط يسهم في العلاقات التجارية والاستثمارية مع هذه الدول. فالشركات التي أسسها السوريون على شكل مشاريع صغيرة ومتوسطة أسهمت أيضاً في الإنتاج والتجارة. ولكن بسبب عدم تسجيل أغلب العمال بشكل رسمي وقانوني في هذه الشركات فقد أدى ذلك إلى عدم التزامها باشتراكات الضمان الاجتماعي والضرائب وما شابه ذلك وهذا يؤدي أيضاً إلى منافسة غير عادلة بين الشركات [١٣].

الهجرة يمكن أن تؤدي أيضاً إلى نتائج إيجابية من الناحية الاقتصادية، ولا سيما الهجرة الدولية وتوريد العمالة إلى بلد المهجر، فتسهم في ظهور أفكار جديدة ومهارات مختلفة. وهذه العملية تشكل تهديداً بالتأكيد للبلد المهاجر منه، لأن ذلك سيؤدي إلى فقدان الأيدي العاملة الماهرة في البلدان المهاجر منها [١٤]. وعندما نحلل تأثير السوريين في المجال الاقتصادي يظهر لدينا جدول يشير بصورة عامة إلى تشابك مخاطر وإيجابيات ذلك في الاقتصاد.

إذا نظرنا إلى تركيا نجد تأثير السوريين في أسواق العمل والاقتصاد والحياة الاجتماعية. وبالإضافة إلى ذلك نجد خلط المفاهيم فيما يتعلق بتسميتهم؛ فتارة يطلق عليهم اسم اللاجئين، وتارة أخرى النازحين، وأحياناً الضيوف. أولاً: من الضروري معرفة الفروق في المعنى بين هذه المصطلحات المختلفة لطالبي اللجوء والنازحين. فالنزوح واللجوء هي الظاهرة التي تجبر فئات من الناس على مغادرة بلادهم لأسباب مختلفة.

(١١) Oytun وGündoğar، 2015: 9 .
(١٢) أردوغان، ٢٠١٤: ١٦.
(١٣) Oytun وGündoğar، 2015: 9 .
(١٤) اوزتورك، ٢٠١٥: ٧.

والهدف الرئيس من طلب اللجوء هو الحفاظ على بيئة آمنة من أجل استمرارية الحياة دون التعرض لأي خطر. بمعنى آخر: إن الهجرة هي تغيير الشخص للمكان الذي يوجد فيه لأسباب فردية خاصة، أو لأسباب جماعية مختلفة مثل الأسباب (الاجتماعية والاقتصادية والثقافية) سواء طوعية كانت أم قسرية. ولهذا السبب فإن الهجرة، مثلما هي قضية اقتصادية واجتماعية وسياسية، فهي متعلقة بإرادة الشخص وخياراته أيضاً.

في الأدب يطلق على الناس الذين يهاجرون اسم «المهاجرين أو اللاجئين» فعندما يضطر النازح إلى ترك البلد الذي يعيش فيه يقدم طلب اللجوء إلى بلد ثالث. في حين أن اللاجئ هو من تم قبول طلبه من أجل اللجوء من قبل السلطات الحكومية مع أخذ القوانين المحلية والدولية بعين الاعتبار. في النتيجة «سياسة الباب المفتوح» التي تتبعها تركيا تجاه اللاجئين السوريين، قامت بمنحهم الحماية المؤقتة، وعدّتهم «ضيوفاً» إلى حين إعادة الاستقرار السياسي في بلدهم سوريا، ولم تطلب منهم العودة بأي شكل من الأشكال.

إدارة «الحماية المؤقتة» هي توفير الحماية لكل من أجبر على مغادرة بلده وهو غير قادر على العودة إليه. ولكل من تقدم بطلب اللجوء متخطياً حدود دولته من أجل العثور على حماية فورية ومؤقتة، وكذلك هي لكل من لم يتم تقييم طلبه ولم يستفد من قانون الحماية الدولية الممنوحة للأجانب كونه تقدم بطلب لجوء فردي.

مبادئ الحماية المؤقتة:

١- سياسة الباب المفتوح.
٢- عدم الإعادة القسرية.
٣- التسجيل من قبل السلطات التركية والوحدات المعنية ومساعدتهم ضمن حدود المخيم.

وفقا لذلك، يمكننا القول: إن إطلاق مصطلح «طالبي اللجوء» على السوريين الموجودين في بلدنا أنسب وأفضل.

١,٣. تداعيات وجود اللاجئين السوريين في تركيا:

عندما يُنظر إلى الأحداث من زاوية اجتماعية ومجتمعية، ينبغي النظر في المشكلات الأساسية التي يواجهها اللاجئون. وعلى رأسها مشكلة التربية والتعليم والصحة والإسكان والتأقلم مع الحياة الحضرية، باعتبار كل هذه الأمور متطلبات ثقافية [١٥].

وجود اختلافات في الثقافة وأسلوب الحياة بين المهاجرين والسكان الأصليين يجعل الانسجام بين المجتمعين صعباً إلى حد ما. تعدد الزوجات يزداد يوماً بعد يوم بين السكان الأصليين، في حين أن نسبة الطلاق

(١٥) YAZICIOĞLU، 2015.

في تزايد مستمر أيضاً. وبالإضافة إلى ذلك، هناك تزايد ملحوظ في عدد العاملين ممن هم دون ال ١٨ سنة من العمر في المجتمع. ويضاف إلى ذلك أننا نلاحظ الاستقطاب العرقي والطائفي وتنامي المستوطنات العشوائية. وفي غازي عنتاب وشانلى أورفه وكليس وغيرها من الولايات الحدودية يمكننا أن نلاحظ بوضوح التغيير في التركيبة السكانية. وهذا ما يسبب بعض القلق. ومع موجات الهجرة هذه ظهر التغيير في التركيبة السكانية (الخصوبة، ومعدل النمو السكاني).

إن صعوبة وتحديات الظروف المعيشية لدى السوريين وعدم استفادتهم من فرص تعليم، بما في ذلك ازدياد معدلات ارتكاب الجرائم على المدى الطويل، كل هذا يهيئ الأرضية المناسبة لبعض المشكلات الاجتماعية. على الرغم من بعض المشكلات التي وقعت بين السوريين والسكان الأصليين، إلا أن كلا المجتمعين عملا من أجل الحفاظ على السلم الأهلي من خلال وضع آلية معينة لعدم فقدان التوازن. وحتى الآن لم نشهد مشكلة اجتماعية خطيرة. وهذا يدل على القدرة على التعامل مع طبيعة المشكلة الاجتماعية [١٦].

مع نزوح السوريين إلى تركيا ظهرت بعض المشكلات وظهر معها أيضاً عملية المواءمة الاجتماعية. ولد أكثر من ٣٥،٠٠٠ طفل سوري في تركيا. تعرضت مناسبات الزواج لدى السوريين لانتقادات واسعة من جهة، بينما ساعدت على انصهار المجتمعين من جهةٍ أخرى.

عدد من المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال جاؤوا الى تركيا.. كما أن قسماً كبيراً من اللاجئين السوريين يتكون من الأطفال والشباب. وعدد هذه الشريحة في ازدياد. وبالرغم من عدم تلقيهم دورات لتعلم اللغة التركية إلا أنهم يتعلمونها من خلال احتكاكهم مع الشعب التركي [١٧].

ومن الملاحظ أن اللاجئين بدؤوا بالتأقلم شيئاً فشيئاً مع الحياة الاجتماعية، وهناك من لم تسنح لهم الفرصة بعد، حيث يسعون بشكل جاد لإيجاد مكان لهم ضمن المجتمع. كما أنه يوجد عدد كبير من الأطفال والنساء يكافحون وحدهم من أجل البقاء على قيد الحياة [١٨].

٤. النازحون السوريون في غازي عنتاب:

إن ما أكسب مدينة غازي عنتاب أهمية استراتيجية هو موقعها؛ كونها مدينة محاذية للحدود السورية، ولجوء السوريين الفارين إليها بسبب الأزمة السياسية التي وقعت في سوريا [١٩].

(١٦) Oytun وGündoğar، 2015: 7 .

(١٧) Oytun ve Gündoğar 2015: 7.

(١٨) خان، ٢٠١٥.

(١٩) أردوغان ٢٠١٥.

الاستبيانات التي تم إعدادها أثناء هذه الدراسة كان الهدف منها تطبيقها وجهاً لوجه على اللاجئين، وتقديم ملاحظاتهم من خلال تحليل علاقاتهم الاجتماعية والثقافية ووضعهم المعيشي.

٤,٢,٢ وسائل وطرق جمع البيانات:

وقد تم جمع البيانات البحثية باستخدام أسلوب الاستبيان، وأجريت المسوحات من خلال عمل مقابلات وجهاً لوجه على شكل ثلاث مجموعات من الأسئلة. المجموعة الأولى من الأسئلة عن خصوصية التركيبة السكانية للمشاركين، والمجموعة الثانية شملت تصورات اللاجئين عن الوضع الاقتصادي، أما المجموعة الثالثة فشملت البيانات التي تتعلق بالوضع الاجتماعي والثقافي.

٤,٣. النتائج:

ونتيجة لهذه المسوحات التي أجريت على المهاجرين السوريين الذين يعيشون في ولاية غازي عنتاب، فيما يخص البيانات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاجتماعية المتعلقة بهم، فقد تم التحليل ضمن إطار هذه البيانات التي تم الحصول عليها.

٤,٣,١. النتائج الديموغرافية:

الجدول ٤. الخصائص الديموغرافية للأفراد الذين تم إجراء المسح عليهم:

مركز المأوى المؤقت	نوع السكن	مجموع السكان
مخيم الإصلاحية الأول	١٥٨٦ خيمة	7379
مخيم الإصلاحية الثاني	٥٠١٣ غرفة	312،10
مخيم قره قاميش	١٦٦٨ خيمة	6776
مخيم نيزيب الأول	١٨٧٣ خيمة	135،10
مخيم نيزيب الثاني	٩٠٨ كونتينر	4544
العدد الإجمالي	١١٠٤٨ (خيمة / غرفة / كونتينر)	146 39[٢٠]

يوجد في محافظة غازي عنتاب خمسة مراكز إيواء مختلفة تؤوي النازحين السوريين، حيث يصل عددهم إلى٤٠،٠٠٠ لاجئ سوري. ويقدر عدد الذين يعيشون خارج مراكز الإيواء ب ٣٢٥،٠٠٠ لاجيء. وحسب الإحصائيات لعام ٢٠١٥م بلغ تعداد سكان ولاية غازي عنتاب التركية ١,٩٣١,٨٣٦ نسمة، حيث أسهم اللاجئون السوريون الذين يعيشون في ولاية غازي عنتاب بزيادة عدد سكان المدينة بنسبة ١٦,٨٢٪.

سبب تفضيل ولاية غازي عنتاب من قبل اللاجئين السوريين هو وجود السوريين فيها بكثافة، وتأثيرهم على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للولاية من خلال توفر فرص عمل لهم.

(٢٠) AFAD، https://www.afad.gov.tr/tr/2374/barinma-merkezlerinde-son-d . I

١ , ٤. هدف وحدود هذه الدراسة:

وكان الهدف من هذه الدراسة الكشف عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمواطنين السوريين الذين يعيشون في ولاية غازي عنتاب، وكشف المشكلات التي يعانون منها ضمن البيئة التي يعيشون فيها. حيث شملت هذه الدراسة عينة من المواطنين السوريين الذين يعيشون في ولاية غازي عنتاب فقط.

٢ , ٤. منهجية:

١ , ٢ , ٤ مدة أخذ العينة:

اختيرت ولاية غازي عنتاب لإجراء هذا المسح بطرق بسيطة من خلال أخذ عينات عشوائية من عدد قليل من اللاجئين السوريين الذين يبلغ عددهم الإجمالي ٣٢٥،٠٠٠ شخص [٢١]. ونظراً لحجم العينة التي عممت على ٣٢٥،٠٠٠ شخص بشكل فرضي، إلا أنه تم حساب حجم العينة بناءً على ٣٨٥ شخصاً.

أجريت هذه الدراسة اعتماداً على البحوث الميدانية كما استخدمت تقنيات المراقبة في هذا الشأن. كما تم زيارة المهاجرين السوريين في أماكن عملهم والأحياء التي يوجدون فيها بكثافة من أجل الحصول على مجموعة العينة.

نتائج اقتصادية:

الجدول ٥. توزع وظائف المشاركين:

عندما يتم البحث في توزع وظائف المشاركين في غازي عنتاب، نجد أن النسبة الإجمالية للعاطلين عن العمل هي ٩ , ٢٥٪، حيث بلغ معدل البطالة ٢٩٪ لدى الرجال و٢٢،٤٪ لدى النساء، بينما بلغ ٣ , ٣٦٪ لدى مجموع أفراد العينة الأخرى (المرضى والمسنين والعاطلين عن العمل وما شابه ذلك). ففي هذه الفئة نسبة النساء كانت ١ , ٥٦٪، ونسبة الرجال بلغت ٣٢ , ١٩٪. أما نسبة العاملين فهي ٢٠٪، حيث بلغ معدل الإناث العاملات ٩٪، بينما معدل الذكور العاملين ٤٦ , ٢٩٪. هنا يظهر لدينا أن فرص توفر العمل لدى الذكور أكثر من الإناث بكثير. عندما ننظر إلى النسب التي تشير إلى حالة الطلاب نلاحظ أنه من المحتمل أن تكون قريبة جداً من بعضها، فنسبة الطلاب الذكور ١٧ , ٩٪، في حين أن نسبة الطالبات ١٢،٣٪. ومن المرجح أن يكون عدد أصحاب المهن قليلاً جداً ضمن من شملتهم هذه العينة، فالرجال فقط هم من يعملون في هذا المجال ولا تتعدى النسبة ٤٥ , ٥٪.

عندما يتم النظر في وضع الدخل الشهري للمشاركين نجد أن الذين يبلغ دخلهم الشهري £ ١٠٠٠ ليرة تركية وما فوق هم حوالي ٤٪ فقط، كما أن ٧ , ٥٪ منهم يبلغ دخلهم الشهري ٧٥٠-١٠٠٠ ليرة تركية و٨ , ٢١٪ منهم دخلهم الشهري ٢٥٠-٥٠٠ ليرة تركية و٦ , ٦٨٪ يتقاضون ٥٠٠-٧٥٠£ شهرياً، ويبدو أن معدل نسبة الموظفين منخفضة جداً، كما أن مستويات الأجور التي يتقاضونها منخفضة جداً.

وكانت ٤٦٪ من أفراد العينة من الذكور و٥٤٪ من الإناث. وكما هو موجود في الجدول رقم ٤، فبالرغم

(٢١) Yazicioglu، أردوغان، ٢٠١٤.

من مشاركة كل الفئات العمرية، إلا أن مشاركة من هم فوق سن ال ٢٠ كانت بكثافة كبيرة. متوسط عمر المرأة ٣٢,٤ ومتوسط عمر الرجل ٣٥,٧. ووفقاً للبيانات الظاهرة في الجدول نجد أن متوسط عمر الرجال والنساء قريب من بعضه بعضاً.

ظهر على المجموعة التي أجري عليها البحث تفاوتاً بيناً في المستوى التعليمي لديها. فعندما ننظر إلى المستوى التعليمي للمشاركين، نجد نسبة المهاجرين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة يبلغ ٤١,٤٪، يتألف ٣٤,٤٪ من النساء و٤٧,٤٪ في الرجال. حيث إن ٢١،٤٪ من المشاركين هم من خريجي المدارس الثانوية، و١١,٤٪ هم من خريجي الجامعات. بالنظر إلى خريجي المدارس الثانوية والجامعات نجد أن نسبة النساء أعلى من الرجال بكثير. ويلاحظ أن المستوى التعليمي للمهاجرين السوريين في غازي عنتاب منخفض جداً.

الرسم البياني: ٣. الخصائص الديموغرافية للأفراد المشاركين في الاستطلاع (مكان الإقامة في غازي عنتاب):

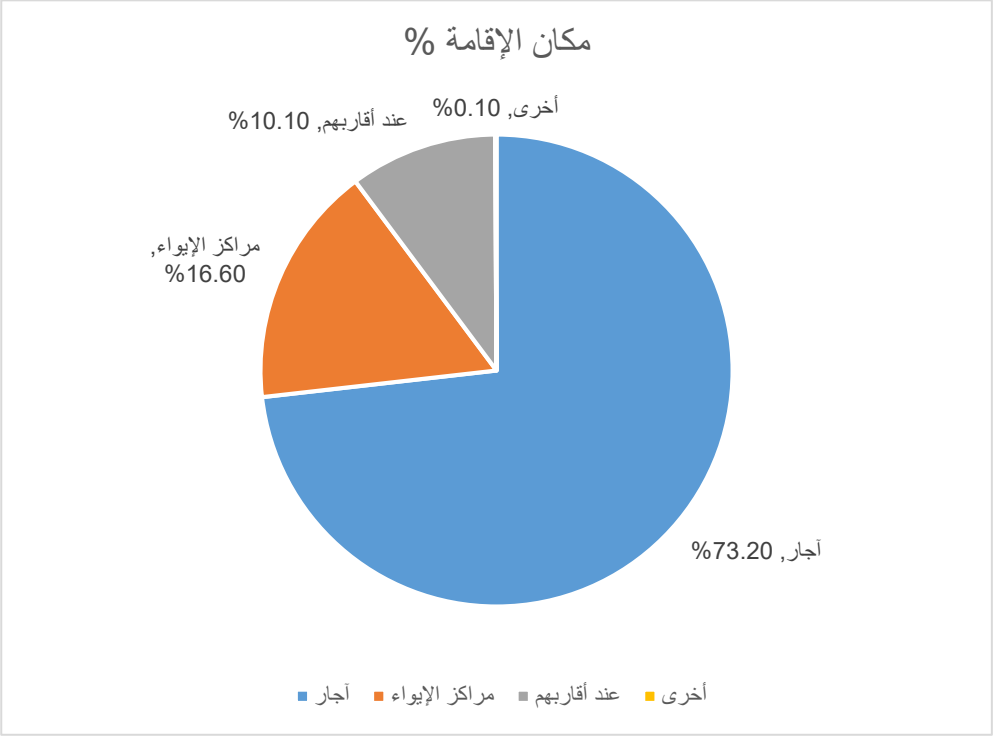

٧٣،٢ ٪ من المستطلعين يعيشون في بيوت بالإيجار، بينما ١٦,٦٪ منهم يعيشون في مراكز إيواء مؤقتة، في حين ١٠,١٪ يعيشون مع أقاربهم. سكن نسبة عالية منهم (٧٣,٢٪) في بيوت بالإيجار أثر على سوق العقارات. عادةً تفضيل السوريين ذوي الوضع المادي الأفضل من غيرهم السكنَ في بيوت بالإيجار أثر على سوق العقارات باعتبار ذلك تطوراً إيجابياً[٢٢].

(٢٢) Kırmızıtaş ve burun، 2014 .

وفقاً للمشاركين عندما سئلوا عن تغير مستوى معيشتهم مقارنة بما كانت عليه في سوريا، فإن ٥١،١٦٪ قالوا: إن مستوى معيشتهم سيئ، و٣ ,٢٨٪ قالوا كما هي لم تتغير، و١٣،٧٦٪ يرون أن مستوى معيشتهم تحول نحو الأفضل، ٦،٧٥٪ قالوا إنه تغير نحو الأسوأ. وهذه النتيجة كانت متوقعة ليس فقط لأسباب اقتصادية، بل بسبب حالة الحرب الأهلية التي أجبرت الناس على مغادرة بلدهم.

عندما سئل أفراد العينة التي أجريت الدراسة عليهم: كيف يقتاتون، أجاب ٨٨ ,٥٦٪ منهم إنهم يعيشون على المساعدات التي تقدم لهم. ووجود هذه النسبة العالية من اللاجئين الذين يحصلون على مساعدات إن دل على شيء إنما يدل على أن الشعب كان يساعد اللاجئين. ٢٠٪ من خلال العمل، و٤ ,١٧٪ من المساعدات الإنسانية، و٥،٧١'٪ منهم من مدخراتهم الخاصة.

المراجع والمصادر الأجنبية:

- AFAD, https://www.afad.gov.tr/tr/2373/Giris, erişim tarihi: 15.11.2016.
- Akıncı B., Nergiz A., ve Gedik E., (2015), "Uyum Süreci Üzerine Bir Değerlendirme: Göç ve Toplumsal Kabul", Göç Araştırmaları Dergisi, c. 1, Sayı: 2, Temmuz-Aralık 2015, s. 58-83.
- Buz, S. (2004), Zorunlu Çıkış Zorlu Kabul- Mültecilik, Ankara, SGDD yayınları.
- Çağlayan, S. (2011) "Göç Kavramı ve Kuramları", Fatime Güneş (Ed.) Kent Sosyolojisi, Anadolu Üniversitesi AÖF Yayınları, Eskişehir.
- Erdoğan M. (2015) Türkiye'deki Suriyeliler: Toplumsal Kabul ve Uyum, Hacettepe Üniversitesi Göç ve Siyaset Araştırmaları Merkezi- HUGO Yayınları-, Ankara.
- Erdoğan, M., (2014), Türkiye'deki Suriyeliler: Toplumsal Kabul ve Uyum, Hacettepe Üniversitesi Göç ve Siyaset Araştırmaları Merkezi-HUGO Yayınları- Ankara.
- Erol, M. Ersever, O. G. (2014), "Göç Krizi ve Göç Krizine Müdahale", KHO Bilim Dergisi, c. 24, sayı: 1. http://www.kho.edu.tr/akademik/kho_bilim_dergi/2014_1/3_.pdf, erişim tarihi: 12.10.2016.
- Hughes, G.A. (2014). "Syria and the Perils of Proxy Warfare", Small Wars& Insurgencies, 25: 3.
- http://www.tandfonline.com/doi/pdf/10.1080/09592318.2014.913542?needAccess=true, erişim tarihi: 20.11.2016.
- İçişleri Bakanlığı Göç İdaresi Başkanlığı, Türkiye ve Göç Yönetimi, www.goc.gov.tr/files/_dokuman19.pdf, erişim tarihi: 20.12.2016.
- İçişleri Bakanlığı Göç İdaresi Başkanlığı, Türkiye'nin Düzensiz Göçle Mücadelesi http://www.goc.gov.tr/icerik3/turkiyenin-duzensizgocle-mucadelesi_409_422_424, erişim tarihi:11.11.2016.
- Karaca, S. (2013), "Kayıtdışı Mülteciler, Kayda Değer Sorunlar", Analist Dergisi, 31, İstanbul.
- Karaca, S. (2015), "Misafirlikten Entegrasyona Suriyeli Mülteci Akını ve Türkiye" http://ww4.ticaret.edu.tr/komsuulkeler/wp-content/uploads/sites/65/2015/05/Suriyeli-M%C3%BClteciler-Paneli.pdf, erişim tarihi:21.11.2016.
- Kırmızıtaş, H. ve Burun, E. (2014), "Suriyeliler Sınır İllerinde Kira Ve Emlak Fiyatlarını Uçurdu", http://www.milliyet.com.tr/suriyeliler-sinir-illerinde-kira/gundem/detay/1846010/default.htm, erişim tarihi:16.11.2016.
- Koyuncu, A. (2014), Kentin Yeni Misafirleri: Suriyeliler Konya Örneği, Konya: Çizgi.
- Oytun, O. ve Gündoğar, S. S, (2015), Suriyeli Sığınmacıların Türkiye'ye Etkileri Raporu, ORSAM-TESEV Rapor No: 195, Ankara.
- http://www.orsam.org.tr/index.php/Content/Report/203?s=orsam|turkish, erişim tarihi: 10.10.2016.
- Şahin, O, (2016), Suriyeli Mültecilerin Dağılımı ve Son Rakamlar, http://www.stratejikortak.com/2016/04/suriyeli-multecilerin-sayisi.html, erişim tarihi: 22.11.2016.
- Özden, Ş, (2013), Syrian Refugees in Turkey, MPC Research Report 2013/05, http://www.migrationpolicycentre.eu/docs/MPC-RR-2013-05.pdf, erişim tarihi: 21.11.2016.
- Öztürk, S., Suriye'den Göçün Etkileri, http://www.harpak.edu.tr/Bilimsel_Faaliyetler/SKYUSIDAK/2015_Makaleler/Suriyeden_Gocun_Etkileri.pdf, erişim tarihi: 04.10.2016.
- UNHCR, (2015), Türkiye'deki Suriyeli Mülteciler Sık Sorulan Sorular http://www.unhcr.org/turkey/uploads/root/s%C4%B1k_sorulan_sorular.pdf, erişim tarihi: 18.11.2016.
- Yalçın, C. (2004), Göç Sosyolojisi, Ankara, Anı Yayınevi.
- Yazıcıoğlu, S. (2015), Ekonomik, Sosyal ve Kültürel Boyutlarıyla Suriyeli Mülteciler, http://ww4.ticaret.edu.tr/komsuulkeler/wp-content/uploads/sites/65/2015/05/Suriyeli-M%C3%BClteciler-Paneli.pdf, erişim tarihi: 21.11.2016.
- Yazıcıoğlu, Y., Erdoğan, S., (2014), SPSS Uygulamalı Bilimsel Araştırma Yöntemleri, Detay Yayıncılık, Ankara.

الدين كسبب للحروب التي تؤدي للهجرة/ النزوح في الشرق الأوسط*

د. عمر جيدا

جامعة ٧كانون الأول – كلس – كلية الإلهيات؛ قسم التاريخ والفنون الإسلامية:

omercide@kilis.edu.tr

ترجمة: د. محمد راشد آق بينار

الخلاصة:

إن أحد أهم أسباب الهجرات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط هو الحروب، وهناك أسباب مختلفة تقف وراء نشوب الحروب، وأحدها الدين. وإن الأديان الثلاثة الكبرى، المستندة إلى الوحي التي حافظت على وجودها واستمراريتها إلى يومنا هذا، ظهرت في الشرق الأوسط. وتحمل بعض الأماكن الواقعة في منطقة الشرق الأوسط أهمية كبيرة بالنسبة لأتباع هذه الأديان. فتشير الديانة اليهودية إلى وجود أرض موعودة لأتباعها. وإن هذه الأرض تقع بتمامها في الشرق الأوسط، ويعتقد اليهود أن الحصول على هذه الأرض واجب ديني.

وتحمل هذه المنطقة أهمية بالنسبة للمسيحية أيضاً؛ لأن السيد المسيح ولد في هذه المنطقة، وبلَّغ فيها دعوته ودينه، والتقى بحواريه، وصُلب، وفقاً للاعتقاد المسيحي.

ويوجد المسجد الأقصى الذي يُعد أولى القبلتين بالنسبة للمسلمين في فلسطين، وقد فتح المسلمون القسم الأكبر من منطقة الشرق الأوسط في عهد الخلفاء الأربع، وشن الغرب سلسلة الحروب الصليبية من أجل استعادة القدس التي فُتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبقيت المنطقة بنسبة كبيرة خاضعة لإدارة المسلمين حتى تأسيس دولة إسرائيل، وازدادت الحروب في المنطقة بعد تأسيس الدولة المذكورة، وتسبب ذلك بزيادة الهجرة في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الدين، الهجرة، الحرب

Ortadoğu'da Göçü Tetikleyen Savaşların Nedeni Olarak Din

Özet

Ortadoğu'daki göçlerin en önemli sebeplerinden bir tanesi savaşlardır. Savaşların meydana gelmesinin değişik nedenleri bulunmaktadır. Bunlardan bir tanesi de dindir. Günümüze kadar varlığını devam ettiren vahiy kaynaklı olan üç büyük din de Ortadoğu'da ortaya çıkmıştır. Ortadoğu'nun bazı bölgeleri bu dinlerin müntesipleri için oldukça önemlidir. Yahudi inancına göre kendilerine vaat edilen topraklar vardır ki, bu toprakların tamamı Ortadoğu'da bulunmaktadır. Yahudiler bu toprakları elde etmeyi dinî bir vazife olarak algılamaktadırlar.

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Ortadoğu'da Göçü Tetikleyen Savaşların Nedeni Olarak Din" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (عمر جيدا، الدين كسبب للحروب التي تؤدي للهجرة/النزوح في الشرق الأوسط، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ١٤٩-١٥٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

Hıristiyanlık için de bu bölge önemlidir. Çünkü Hz. İsa burada doğmuş, dinî tebliğini burada yapmış, Havarileri ile burada buluşmuş ve Hıristiyan inanışına göre burada çarmıha gerilmiştir.

Müslümanların ilk kıblesi olan Mescid-i Aksa Filistin'de bulunmaktadır. Müslümanlar Ortadoğu bölgesinin büyük bir kısmını Dört Halife döneminde fethetmişlerdir. Batılılar, Hz. Ömer döneminde fethedilen Kudüs'ü kurtarmak için Haçlı seferleri düzenlemişlerdir. İsrail devletinin kuruluşuna kadar bölge büyük oranda Müslümanların denetiminde olmuştur. Adı geçen devletin kurulmasından sonra bölgede savaşlar artmıştır. Bu da bölgede göçün artmasına sebep olmuştur.

Anahtar Kelimeler: Din, Göç, Savaş

Religion as a Cause of War Triggering the Flows of Migration in the Middle East

Abstract

Wars are of the most important causes of migration in the Middle East and there are various reasons for the occurrence of the war. One of them is religion. Revelation-originated three great religions have emerged but still in existence in Middle East. the land promised-according to the Jewish belief-is located in the Middle East and this region has a great importance for Christianity, as well since the Prophet Jesus was born here, issued (religious notified) here, He met with his apostles here and According to Christian belief he was crucified here.

Muslims' first qibla of the Al-Aqsa Mosque is located in Palestine. Muslims had conquered a large part of the Middle East during the four caliphs. The Crusades were held by Westerners to save Jeruselam which was conquered during the period of Caliph Ömer and consequently crusaders captured Jerusalem. The region has been-in a large extent-under the control of Muslims until the establishment of the state of Israel. Wars have increased in the region after the establishment of Israil. These wars pose the biggest causes of migration in the region. This has led to an increase in immigration in the region.

Keywords: Religion, Migration, War

مدخل:

أود توضيح أمرين اثنين قبل الدخول إلى صلب الموضوع؛ أما الأول: فهو جملة «الدين سبب للحروب» التي جعلتها عنواناً لمقالي. إن المقصود هنا ليس النصوص الدينية، وإنما أتباع الأديان الذين يفسرون هذه النصوص حسب آرائهم وأهوائهم ومصالحهم. ففي أغلب الأحيان حاول أتباع الدين إضفاء المشروعية على الحروب التي أثاروها وخاضوها من خلال استخدام الدين. وأما الأمر الثاني فهو: أن سبب الحروب ليس الدين فقط، بل على العكس، إذ إن هناك الكثير من الأسباب التي توقد نار الحروب وتسعرها. إن هدفنا هنا هو أن نبين كيفية تبرير التفسيرات الدينية للحروب وجعلها أمراً مشروعاً.

تم استخدام تعبير الشرق الأوسط لأول مرة من قبل أحد ضباط البحرية الأمريكية ألفرد ثاير ماهان (Alfred Thayer Mahan) [١]. وعندما وضع هذا التعبير تم وصف المنطقة بثلاث صفات: الأدنى، الأوسط، الأقصى، وأُقرت إنكلترا كمركز [٢]. تُعد منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لإنكلترا طريق مرور إلى مستعمراتها الواقعة في قارة آسيا، وتشكل نقطة تقاطع والتقاء القارات الثلاث الكبرى [٣].

إن الشرق الأوسط منطقة مأهولة ونابضة بالحياة منذ العصور البشرية الأولى، ويوجد في هذه المنطقة أول معبد بني على وجه الأرض وهو الكعبة [٤]. وبسبب موقعها الجغرافي المميز، واحتوائها على مصادر الطاقة والمياه، ومكانتها وبنيتها الثقافية والدينية صارت محط اهتمام الكثير من القوى حتى يومنا هذا [٥].

الدين ظاهرة قائمة منذ بداية الوجود الإنساني، فالإنسان الأول كان في الوقت ذاته نبياً أيضاً. وإن التعاليم الإلهية القائمة منذ عهد الإنسان الأول محافظة على وجودها واستمرارها إلى يومنا هذا. وكلما كان الإنسان يبتعد عن الخط أو الطريق الإلهي كان الله تعالى يرسل إليه أنبياءً من جديد، وينزل على بعض هؤلاء الأنبياء كتباً سماوية. وإن الأديان المنزلة تعنى بحياة الإنسان من كل جوانبها. وإن الإنسان يمتلك طبيعة ميالة إلى الشر بقدر ما يمتلك من طبيعة ميالة إلى الخير، وإن الحرب والصراع كانا قائمين في كل مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، حتى إن الصراع حدث بين أبناء الإنسان والنبي الأول أيضاً، وبعد ذلك لم تخلُ الرحلة البشرية من الحرب والصراع إلى عصرنا هذا [٦].

لا ريب أن للحروب والنزاعات أسباباً متعددة ومختلفة، وأحد هذه الأسباب هو الدين. تعهد الدين والنصوص الدينية -بغض النظر عن الأسباب والدوافع- بالقيام بدور مهم في تشريع العنف [٧]. إن هذا النص الذي يضفي الشرعية على العنف يُخرج الفعل المقترف من طبيعته العنفية في ذهن الذي يقدم على العنف، ويحوله إلى فعل محق وواجب [٨].

(١) برنارد لويس (Bernard Lewis)، "الهوية التاريخية للشرق الأوسط"، مجلة كلية الإلهيات- جامعة أنقرة، أنقرة ١٩٦٤، عدد: ١٢، ص، ٧٥.

(٢) مصطفي تورلاك (Mustafa Torlak)، انعكاسات الصراع العربي الإسرائيلي على معدل/ توازن الهجرة في الشرق الأوسط من نافذة الصهيونية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قادر هاس، إسطنبول ٢٠١٠، ص، ٣.

(٣) تورلاك، المرجع السابق، ص، ٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية، ٩٦.

(٥) حسين أردونمَز (Hüseyin Erdönmez)، سياسة الدول الأوربية حول الشرق الأوسط ومشروع الشرق الأوسط الأمريكي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد العلوم الاجتماعية بجامعة تراكيا، أدرنة ٢٠١٠، ص، ١٦.

(٦) خليل آلدمير، الاختلاف وفق القرآن الكريم، دار كتابي، إسطنبول ٢٠١٠، ص، ٥٧.

(٧) شيناسي غوندوز، "أرضية شرعية العنف في المسيحية"، المجلة الإسلامية، ٢٠٠٢، مجلد: ٥، عدد: ١، ص، ٣٥.

(٨) غوندوز، المرجع السابق، ص، ٣٦.

لقد أقدم الإنسان على إشعال نيران الكثير من الحروب في سبيل الرموز التي عدها مقدسة من تلقاء ذاته. إن قدسية المنطقة الجغرافية هي مجموع الرموز التي كونها الإنسان الذي عاش فوقها في ذهنه منذ عصور. وإن منطقة الشرق الأوسط تحتل مكانة مهمة من هذه الناحية، فظهور الأديان السماوية الثلاثة الكبيرة في هذه المنطقة جعلها منطقة دينية بالدرجة الأولى، والمثال الأبرز على ذلك هو القدس، فالوضع الذي يبدو وكأنه صراع بين طائفتين أو مجموعتين في القدس، يتم تناوله على طاولة المفاوضات كقضية لثلاثة أديان سماوية [٩].

نحاول فيما يأتي نقل ما تعنيه القدس للأديان الثلاثة المذكورة.

١- اليهودية:

تشكل اليهودية الحلقة الأولى من سلسلة الأديان الإبراهيمية. وحسب النصوص اليهودية المقدسة فإن بني إسرائيل شعب الله المختار وأصحاب فضل على غيرهم، ولهم الحق في حكم وإدارة العناصر والشعوب الأخرى [١٠]. إلا أن الإله غضب على بني إسرائيل لاختبارهم وتجربتهم إياه فأخرجهم من بلاد السلام والأمان والراحة المسماة «أرض الميعاد» [١١].

ولأن بني إسرائيل ما عادوا يستطيعون بعد ذاك التاريخ القيام بواجباتهم المحددة ضمن إطار أوامر التوراة بالشكل الأمثل خارج فلسطين، فإنهم انكبوا منذ ذاك اليوم وإلى اليوم على استغلال وانتهاز كل فرصة تتاح لهم من أجل العودة إلى الأراضي المقدسة [١٢]. وإن إحدى الحجج الأخرى التي تجعل للأرض الموعودة أهمية جيوسياسية دينية من ناحية العقيدة والشعائر والطقوس اليهودية هي المعبد الذي تحدثت عنه التوراة، والذي شيّده سليمان عليه السلام. فحسب العقيدة اليهودية لا يمكن تقديم قربان الدم إلا هنا [١٣]. ومن المفيد النظر إلى المسار التاريخي لفكرة جواز إراقة الدماء في سبيل هذا المعتقد.

لقد قام رجال الدين اليهودي بعد الكتاب المقدس إما بتغيير وتحريف بعض قوانين التوراة المتعلقة بالأراضي المقدسة التي تشكل القدس مركزها (الأرض الموعودة) والمعبد، وإما بتعليقها لكونها غير مناسبة ومواتية لما يرمون إليه. ولم يكونوا مُلزمين في مسألة اتباع قوانين وشرائع التوراة باستثناء تلك المحظورات الواردة بشأن الوثنية والزنا والجنايات. حتى إن بعض رجال الدين مثل موسى بن ميمون قالوا بجواز الدخول

(٩) داود كلنج، "دراسة حول الجيوسياسية/ الجغرافية السياسية الدينية للشرق الأوسط وانعكاساتها على عصرنا"، مجلة كلية الإلهيات بجامعة الفرات، ألازيغ ٢٠٠٨، عدد: ١٣/ ١، ص، ٦٦.

(١٠) الكتاب المقدس، مطبعة أوهان، إسطنبول ٢٠٠٧، ص، ١٣.

(١١) الكتاب المقدس، ص، ٢٩٩- ٣٠٠.

(١٢) كلنج، المرجع السابق، ص، ٦٧- ٦٨.

(١٣) كلنج، المرجع السابق، ص، ٦٨.

إلى أديان أخرى لا تحمل طبيعة وثنية. وهكذا فإن اليهودية بعد الكتاب المقدس لم تترك الباب مفتوحاً على العنف باسم الدين [١٤].

عملت الصهيونية الدينية في بدايات القرن التاسع عشر على إعادة تفسير عقيدة المسيح لدى اليهودية بعد الكتاب المقدس، وبدأت -وإن لم يكن بشكل عملي- بالحديث عن تأسيس دولة يهودية، ووجوب النضال والكفاح من أجلها. فيرى حزب أغودات إسرائيل أنه لن تكون هناك إسرائيل حقيقية حتى تتم إعادة إشادة المعبد، ويتم الوصول إلى مقام ومكانة مُلك داود. وقد تم ربط تأسيس الدولة حتى هذه المرحلة من الفكرة بشرط مجيء المسيح. إلا أن يتسحاق كوك بدأ نضاله من أجل تأسيس الدولة اليهودية معتبراً أن الدولة يمكن تأسيسها حتى قبل مجيء المسيح، ودافع بقوة عن فكرته. وإن الانتصار الذي تحقق في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ أحيا الآمال بقوة لدى اليهود القوميين. إذ تمت السيطرة تقريباً على الأراضي المحددة في التوراة كافة إلا أن قسماً من الأرض التي وعد بها بنو إسرائيل كانت ما تزال بيد الفلسطينيين. وكان ذلك بمثابة مشكلة بالغة الأهمية [١٥].

وفقاً لتفسير الحاخام كوك يمكن اعتبار الفلسطينيين على أنهم كنعانيون وإسماعيليون، لذا فإن لدى الفلسطينيين ثلاثة خيارات: القبول بحكم اليهود، أو الهروب واللجوء إلى إحدى الدول العربية الأخرى، أو الحرب. وقد اختار الكنعانيون الحرب، فأُفْنُوا وأبيدوا. وإن كل من يعارض التطلعات اليهودية سوف يلقى العاقبة ذاتها.

وبعد حرب تشرين عام ١٩٧٣ التي انطلقت شرارتها في يوم «كيبور» تصرفت دولة إسرائيل عكس التوقعات، فتسبب اليهود الكوكيون -الذين تعرضوا لخيبة أمل في هذا الوضع الحرج- بولادة حركة غوش امونيم المؤيدة للعنف والشدة. وكذلك فإن الحاخام مائير كاهانه -الذي فكر بتأسيس دولة دينية في المنطقة التي ستشمل الضفة الغربية -حيث يقطن الفلسطينيون- رأى أن بإمكان الكاهن اليهودي إصدار قرار الحرب؛ لعدم وجود مؤسسات دينية تصدر مثل هذا، وقدم نفسه كأهل لاتخاذ هذا القرار. وبالقرار الذي أصدره اكتسبت الحرب التي شنت على العرب حالة قانونية. وقال رجل دين آخر من الذين يحملون الفكر ذاته بجواز استهداف حتى النساء والأطفال في هذه الحرب؛ وذلك لأن كل شخص في مثل هذه الحرب عسكري محتمل. وشرَّعت حركة غوش أمينوم أفعالها أيضاً، فحسب آرائها: إن النضال من أجل حماية الأراضي المقدسة أولى من حفظ النفس وحمايتها [١٦].

(١٤) باقي أدام، "اليهودية والعنف"، المجلة الإسلامية، ٢٠٠٢، ج ٥، عدد: ١، ص، ٣٠.
(١٥) أدام، المرجع السابق، ص، ٣١.
(١٦) أدام، المرجع السابق، ص، ٣٢.

وحسب رأي اليهود المدافعين عن هذه الأفكار فإنه ستقع ثلاثة حوادث مهمة وعد بها الإله؛ وأولى هذه الحوادث هي: قيام دولة إسرائيل في الأراضي الإسرائيلية، وأما الثانية فهي: تجمع اليهود المنتشرين في شتى أصقاع العالم في الأرض الموعودة من جديد، وأما الثالثة فهي: إشادة المعبد الثالث مثل الهيكل الأول والثاني في المكان ذاته من جبل المعبد في القدس. فأما الحالة الأولى فقد تحققت بالرغم من أنها لم تكن ضمن كامل الحدود التي أمر الله بها إبراهيم. وأما الحالة الثانية فقيد التحقق. وأما الحالة الثالثة فسوف يتم تنفيذها وتحقيقها في وقت قريب [١٧].

لقد عبر عن هذه الفكرة أهم رجالات إسرائيل وأكثرهم تأثيراً. وسيكون نقل أفكار شيمعون بيريز الذي ارتقى في المناصب حتى رئاسة دولة إسرائيل كافياً لإيضاح هذه المسألة. فحسب رؤيته: «إن اليهودية نظام متكامل لا نقص فيه؛ فهي مجموعة متكاملة من التكاليف التي يمكن تحملها والقيام بها مثل: الإيمان بإله واحد؛ والإيمان بلغة واحدة (أي الإيمان باللغة العبرية)، والتضحية بالنفس في سبيل وطن معين (في سبيل إسرائيل)، ولا يوجد أي فرق بين مفهوم الأمة، أو مفهوم الدولة الدينية، أو الارتباط بمكان من حيث الجغرافية واللغة والتاريخ، ولا يمكن أن يكون الإنسان يهودياً كاملاً دون التحدث بالعبرية، ولا يمكن أن يكون يهودياً كاملاً دون الإيمان بإله واحد، ولا يمكن أن يكون يهودياً كاملاً دون الإقامة والعيش في دولة الشعب اليهودي، المكان الذي ولدت فيه اليهودية» [١٨].

إن أكبر مشكلة من بين المشكلات القائمة بين الفلسطينيين والدولة اليهودية هي الاعتقاد بالهيكل الثالث الذي ستتم إشادته مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة. وقد عبر اليهود الحاملون لهذه العقيدة بشكل صريح عن أن هدفهم هو بناء معبد يهودي في ذلك المكان؛ للتخلص من معابد المسلمين، وذلك في الصحيفة الأسبوعية «صوت جبل الهيكل» المنشورة نهاية عام ١٩٩٨م [١٩]. ولهذا فقد عُدت كافة الدول المعارضة والرافضة لهذه الفكرة على أنها دول عدوة. وتُعدّ سوريا ومصر وكل الدول العربية الأخرى معادية لدولة إسرائيل المنتظرة [٢٠].

يسود لدى اليهود، المشار إليهم سابقاً، اعتقاد بنشوب حرب مستقبلية كبيرة بين دولة إسرائيل وأعدائها من الدول العربية في سبيل بناء الهيكل. وحسب اعتقادهم فإن الحرب المقبلة ستكون آخر حرب تخوضها إسرائيل ضد أعدائها، وإن الله سوف يعاقب أعداء إسرائيل بالأسلحة النووية، وسوف يبدأ عهداً جديداً بعد هذه الحرب، وإن بيت الله (المعبد الثالث) لن يشاد إلا على جبل الهيكل. والقدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل، وإن الفلسطينيين والشعوب المسلمة الأخرى كافة يريدون جعل القدس عاصمة فلسطين، وإن

(١٧) صوت جبل المعبد/ الهيكل، ١٩٩٩، ص، ١- ٢.

(١٨) روبرت ليتل (Robert Littel)- شمعون بيريز، حوار مع سياسي، ترجمة: نهال أونول، منشورات مليت، إسطنبول ١٩٩٨، ص، ٢٠- ٢١.

(١٩) صوت جبل الهيكل (The Voice of The Temple Mount)، ص، ٣.

(٢٠) صوت جبل الهيكل (The Voice of The Temple Mount)، ص، ٢.

المعبد الثالث الذي ستتم إشادته في القدس يتمتع بأهمية مصيرية بالنسبة لبقاء إسرائيل، وإن الله سوف يجعل هذا المكان مركز إسرائيل، وإن نجاح ذلك متوقف على بناء المعبد الثالث فوق جبل الهيكل الذي أشيد عليه المعبد الأول والثاني (٢١).

لقد كان المؤمنون بهذه الفكرة قد أعدوا طياراً لقصف المسجد من الجو، حيث كان الطيار سيقوم بخطف طائرة وقصف المسجد الأقصى بها، ثم سيتم الدخول إليه من البر، وقد تم إجراء اختبارات وتدريبات لمتفجرات وعبوات ناسفة يدوية (٢٢).

لقد احتل الدين دائماً مكانة مهمة في كل الحروب والمعارك التي جرت بين إسرائيل والعالم العربي، حيث يرى اليهود أن من حقهم التدخل في المنطقة لكون الأراضي الفلسطينية هي الأراضي التي وُعدوا بها (الأرض الموعودة). وفي الوقت ذاته يجب إخراج وطرد كل المجموعات الأخرى الموجودة في المنطقة بأية صورة كانت. يتسبب هذا الاعتقاد باستمرار الحروب، وبهجرة الكثير من الناس.

٢- المسيحية:

فُتحت إيليا (القدس) -التي كانت بيد المسيحيين- في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٧. وفي العصور اللاحقة أقدم العالم الغربي على عدة محاولات من أجل السيطرة على القدس، وقد استخدموا فكرة تحرير الأماكن المقدسة؛ لتأمين انضمام أكبر عدد من الناس إلى الحروب الصليبية (١٠٩٦- ١٢٩١) التي كان سببها الأساس اقتصادياً. لذا عُدَّتْ هذه الحركة حرباً «دينية» تُخاض من أجل المصالح والمنافع المادية للغرب(٢٣). وقد استخدم جورج دبليو بوش بخصوص الحرب التي شنت بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عبارة «الحملة الصليبية الجديدة» (٢٤). إن تصريحات جورج دبليو بوش بالأصل تكشف طبيعة النظرة المبطنة التي ينظر بها الغرب إلى الشرق الأوسط (الشعور الباطني للغرب). وكذلك تُعد دليلاً على أن هذا المفهوم / التصور لا يزال سائداً ومستمراً لدى الغرب منذ زمن طويل.

إن أصل المشكلة هي نظرة التيارات الجديدة التي ظهرت داخل المسيحية نحو المنطقة. تحتل الأمور الأخروية المنتظرة «المتعلقة بيوم القيامة» التي يشكل جوهرها المجيء الثاني للمسيح، وما يعقبه من أحداث مكانة مهمة في تقاليد المسيحيين. وإن المرجع الأساس لهذه التوقعات هي النصوص الواردة بشأن هذه المسألة

(٢١) صوت جبل الهيكل (The Voice of The Temple Mount)، ص، ٣.

(٢٢) غريس هالسيل (Grace Hallsell)، إجبار الإله على القيامة، مصطفي أجار (Mustafa Acar)، حوسنو أوزمن (Hüsnü Özmen)، منشورات كيم، أنقرة ٢٠٠٣، ص، ٨٩.

(٢٣) إحسان سريا سرما، عهد الأمويين، منشورات بيان، إسطنبول ٢٠١٠، ص، ١٧.

(٢٤) Amy E. Black, "With God on Our Side: Religion in George W. Bush's Foreign Policy Speeches", American Political Science Association, Chicago 2004, s. 5.

في العهد الجديد. توجد في رسائل بولس وفي الأناجيل، وعلى رأسها كتاب الوحي المنسوب إلى يوحنا، نصوصٌ مهمةٌ حول فترة نهاية العالم والأحداث التي ستجري فيها. وإن انتظار المجيء الثاني للمسيح يحتل مكانة مهمة جداً في المسيحية التي يشكل الإيمان بالمسيح بالأصل مركزها. يعتقد بولوس في رسائله أن المجيء الثاني للمسيح مجرد مسألة وقت، ويحث أتباعه على التحضر والاستعداد لهذا الحدث، حتى إنه كان يعتقد أن هذا الأمر سيحدث خلال حياته. وحسب رأيه فإن المسيح في مجيئه الثاني سوف ينزل من السماء ببوق الله، وسوف يحيا الأموات في أبدان أبدية. وأما الأحياء في ذلك الوقت فإنهم سوف يبدلون أجسادهم فينتقلون من كائنات قابلة للموت والفناء إلى كائنات خالدة لا تموت. وإن المسيح الذي يجيء مع ملائكة أشداء أقوياء، وقد ملأت النيران كبد السماء، سوف يحاكم الناس، ويلغي الحكومات والسلطات الموجودة كافة، ويسلم السلطة للبابا. وأما المؤمنون بالمسيح فسوف يُرفعون إلى السماء داخل الغيوم والسحب، ويصيرون مع المسيح الرب بشكل أبدي[٢٥]. وكذلك فإن كل الأعداء في ذلك الوقت بما فيهم الموت سوف يمددون تحت أقدام المسيح. وقبل مجيء ابن الإنسان (المسيح) ستظهر جملة من العلامات بموجب التقدير الإلهي، وستقع حروب، وستصبح الأمم كافة كارهة للمؤمنين، وستقع الأحداث كافة التي تكلم عنها أنبياء العهد القديم مثل: دانيال، ثم سيأتي المسيح من السماء مع الملائكة بمظهر مهيب، فيجلس على عرشه، ويميز بين الأمم المجتمعة أمامه كما يميز الراعي بين الخراف والجداء [٢٦].

يأتي على رأس التيارات التي تحمل الاعتقاد المشار إليه في الأعلى المسيحية الإنجيلية. وتمتد جذور هذا التيار حتى مارتن لوثر، وتأسيس الكنيسة البروتستانتية. وحسب تصورهم واعتقادهم فإن القيامة سوف تقوم بعد كارثة وفوضى ستقع في الشرق الأوسط خلال أعوام ما بعد الألفين الميلادية. ولهذا السبب فإنهم يؤيدون مختلف العمليات التي ستؤدي إلى حدوث الفوضى في هذه المنطقة. فحسب هذا الاعتقاد لن ينزل عيسى إلى الأرض إلا بعد وقوع هذه الفوضى الكارثية، فهم يعتقدون أنهم لن يستطيعوا حكم الأرض والسيطرة عليها إلا بهذا الشكل. وكذلك يجب لعودة عيسى، حسب اعتقادهم، أن يحصل اليهود على أرضهم الموعودة، ولهذا يدعم الإنجيليون اليهود الأرثوذوكس [٢٧].

حسب هذه العقيدة يجب تشكل ظروف وشروط معينة من أجل المجيء (العودة) الثاني لعيسى المسيح، وهذه الشروط هي: عودة اليهود إلى فلسطين، تأسيس دولة إسرائيل، تبشير أمم الأرض كافة بالإنجيل بمن فيهم اليهود، فترة الكوارث والفوضى التي تستمر سبع سنوات، ارتقاء المؤمنين بالكنيسة إلى السماء. وبعد تحقق هذه الشروط سوف ينزل عيسى المسيح إلى الأرض.

(٢٥) الكتاب المقدس، ص، ١٥١٠.

(٢٦) شيناسي غوندوز، العنف الديني، منشورات أتوت، ٢٠٠٢، ص، ٥٣- ٥٤.

(٢٧) أنصار جتين، "الأصولية المسيحية واستراتيجية إجبار الله على القيامة في الشرق الأوسط"، مجلة معهد العلوم الاجتماعية بجامعة كاتكين، جانكن ج ٥، عدد: ١، ص، ٢- ٣.

يتم تنظيم رحلات سياحية هادفة إلى الأراضي الإسرائيلية بقصد تحقيق مزيد من الانتشار لهذه الأفكار، وتقوم وزارة السياحة الإسرائيلية بتشجيع هذه الجولات والرحلات تحت اسم «زيارة الأراضي الإنجيلية» من أجل التأثير على اللوبي المسيحي الأمريكي [٢٨].

يرى الإنجيليون أن هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وإشادة المعبد الثالث مكانهما أمر الله، وليست هناك مسؤولية عن أي عمل أو شيء يتم الإقدام عليه في سبيل تنفيذ هذا الأمر؛ لأنه يتم تنفيذ أمر الإله [٢٩].

لقد تم إعداد المشاريع والمخططات كافة للمعبد الذي يراد إشادته في موقع قبة الصخرة والمسجد الأقصى. حتى إن أدوات البناء جاهزة، إلا أنها مخفية في مكان سري، وقد عملت الكثير من الورشات لإنتاج الأدوات اليدوية التي سوف يتم استعمالها في بناء المعبد الجديد. حتى تم نسج وحياكة الألبسة التي سوف يرتديها رجال الدين [٣٠]. ويعلم الحاخامات الشباب في إحدى المدارس التي يطلق عليها اسم: يتسهيفا عطيرت كوهانيم –تاج الباباوات – كيفية تقديم القرابين من الحيوانات، وكان هذا العمل يتم في عهد النبي سليمان عليه السلام. والغاية هنا هي إعادة إحياء عهد سليمان [٣١]. وحتى تتم تربية عجول سمينة غير ولودة، وغير مرقطة؛ لتقديمها قرابين في المعبد الثالث. إن كل هذه الاستعدادات والتحضيرات تشير إلى مدى جدية وحزم الذين يحملون هذه العقيدة.

وكذلك يجب هدم هذه المعابد من أجل إشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة. إذ إن هدم اليهود الأرثوذوكس للمعابد المشار إليها – قبة الصخرة والمسجد الأقصى – سوف يثير غضب المسلمين، ويدفعهم إلى إعلان الحرب على إسرائيل، وبذلك سوف تحدث فوضى عارمة، وينزل عيسى إلى الأرض من أجل التدخل في هذه الاضطرابات والفوضى، أي: يُجْبَر الله على إعلان يوم القيامة، وتحقيق النبوءة [٣٢].

وحسب هذا المعتقد سوف يموت في هذه الحرب على الأقل مئتا مليون جندي شرقي، وأكثر منهم من الجنود الغربيين، وسوف يضرب عيسى المسيح المتحاربين في مدينته القدس، ثم سيحارب مع الجيش المتجمع في وادي مجدو أو هرمجدون. وإن الدماء المراقة والمتدفقة ابتداء من القدس سوف تمتد لمئتي ميل، وترتفع حتى مستوى رؤوس الخيل، وإن ميدان المعركة سوف يمتلئ بأدوات الحرب، وأشلاء ودماء الإنسان والحيوانات، وسوف تمسح مدن العالم كافة مثل: لندن وباريس وطوكيو ونيويورك ولوس أنجلوس وشيكاغو من

(٢٨) جتين، المرجع السابق، ص، ٧.

(٢٩) هالسيل، المرجع السابق، ص، ٨٦.

(٣٠) صوت جبل الهيكل (The Voice of The Temple Mount)، ص، ٢.

(٣١) صوت جبل الهيكل (The Voice of The Temple Mount)، ص، ٢.

(٣٢) هالسيل، ٨٢.

الخارطة[٣٣]. وكذلك سوف يموت في معركة هرمجدون ما يقارب تسعة ملايين يهودي، وأما اليهود الباقون الذين سيكون عددهم مئة وأربعة وأربعون ألفاً فسوف يختارون الديانة المسيحية، والسبب أنه يجب أن يطهرهم الرب، فيطلب منهم الرب الركوع أمام ابنه الوحيد عيسى [٣٤].

إن نتائج الاستطلاعات التي قامت بها مختلف المؤسسات عن المسيحيين الأمريكيين من ناحية إظهار مدى انتشار هذه التوقعات المتعلقة بنهاية العالم اليوم أمر عجيب ومثير للاهتمام. فحسب ما تشير إليه الدراسات يؤمن ما يقارب من ثلاثين بالمئة من المسيحيين الأمريكيين أن العالم سوف ينتهي بمعركة هرمجدون، ويعتقد قسم مهم من هؤلاء أن هذه المعركة ونهاية العالم سوف تحدث خلال حياتهم، والأمر المثير أيضاً أن هناك بعض الرؤساء الأمريكيين من بين هؤلاء المؤمنين بهذه الفكرة [٣٥].

إن الإنجيلية الأصولية لا تزال بنسبة كبيرة تنتشر كتعاليم بين ربع البالغين الأمريكيين تقريباً [٣٦]. وإن نسبة شيوع وانتشار المسيحية الإنجيلية تجاوزت انتشار سائر الأديان بما فيها الإسلام [٣٧].

٣- الإسلام:

لنستعرض أهمية المنطقة لدى المسلمين أيضاً. لقد فتحت فلسطين التي تحمل أهمية كبيرة بالنسبة لليهود والمسيحيين، وتعرضت لسيناريوهات كثيرة، فُتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٧هـ- ٦٣٧م)، وأعطي الأمان لشعوب المنطقة من قبل الخليفة عمر بالذات [٣٨]. إلا أن المدينة سقطت بيد الصليبيين في عام ١٠٩٩ م، وارتكبت مجزرة كبيرة راح ضحيتها ما يقارب سبعون ألف شخص [٣٩]. وتم تحرير المدينة مرة أخرى من الصليبيين على يد القائد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م [٤٠]. تحتل المنطقة مكانةً مقدسة لدى المسلمين أيضاً، إذ إنها تحتوي على المسجد الأقصى وقبة الصخرة القبلة الأولى للمسلمين، وبمقتضى مخططات اليهود والمسيحيين الإنجيليين يجب هدم هذين المعبدين، ولا يُتصور أن تبقى هذه المحاولات دون ردة فعل واعتراض من قبل المسلمين؛ لأن فلسطين بقيت تحت حكم المسلمين ابتداءً من عهد الخليفة عمر وحتى تاريخ ١٤ أيار ١٩٤٨

(٣٣) المرجع السابق، ص، ٣٣.
(٣٤) المرجع السابق، ص، ٩٨.
(٣٥) المرجع السابق، ص، ٨٢.
(٣٦) المرجع السابق، ص، ١٩.
(٣٧) المرجع السابق، ص، ٢٢.
(٣٨) أحمد بن يحيى البلازوري، فتوح البلدان، ترجمة: مصطفي فايدا، منشورات سير، إسطنبول ٢٠١٣، ص، ١٨٨.
(٣٩) ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، ترجمة: لجنة، منشورات حكمة، إسطنبول ٢٠٠٨، ٨/ ٤١٨.
(٤٠) ابن الأثير، المرجع السابق، ٩/ ٥٠٧.

بشكل متواصل، باستثناء فترة سقوطها في الحروب الصليبية، حتى صارت المنطقة في حالة تماثل وتطابق مع المسلمين، وتشربت بطبيعتهم. وهذا الأمر يعني بالنسبة للمسلمين صراع وجود. وإذا استمرت نظرة أتباع الأديان الثلاثة للأحداث على هذا المنوال فإن دوام الحروب يبدو أمراً حتمياً، وهذا الأمر يشير إلى أن الهجرات ستبقى مستمرة.

النتيجة:

يوجد لدى كل من المسيحيين وبعض الشرائح من اليهود حسابات ومشاريع حول الشرق الأوسط، ويتم تصور هذه المشاريع والحسابات كوظيفة أو واجب ديني، ويجري التصرف وفقاً لذلك. ونتيجة لذلك تصبح منطقة الشرق الأوسط ميداناً لصراع مستمر، وإن إلقاء نظرة على الأرقام الآتية يخبرنا عن كيفية تأثير تحول هذا الصراع والتنافس إلى حرب على ظاهرة الهجرة:

يبلغ مجموع عدد المهاجرين ١٣٩٦٣٦٨ مهاجراً بما فيهم: في الأردن ٣٤١٤٩٤ موزعين على عشرة مخيمات. وفي لبنان ٢٢٦٥٣٣ موزعين على اثني عشر مخيماً. وفي سوريا ١٢٧٨٣١موزعين على تسعة مخيمات. وفي الضفة الغربية ١٩٧٧٦٣ موزعين على تسعة عشر مخيماً. وفي غزة ١٩٧٧٦٣ موزعين على ثمانية مخيمات. هذه البيانات وفق السجلات الرسمية لمنظمة الأونروا (وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين). ويُقدر العدد غير الرسمي بأكثر من ٤٧٦٦٦٧٠ لاجئاً[٤١].

إن هذه الأرقام مهمة للغاية من ناحية إشارتها إلى كيفية تأثير التفسيرات الدينية على الهجرة بشكل غير مباشر. وإننا نعتقد بأن تبني ثقافة العيش المشترك وتأمين حرية الدين والضمير وتقبل الإنسان كما هو سوف يسهم بدور مهم في وضع حد لهذه المأساة.

المراجع:

- آدام، باقي، "اليهودية والعنف"، المجلة الإسلامية، ٢٠٠٢، ج ٥، عدد: ١، ص، ٢٣- ٣٤.
- آلدمير، خليل، الاختلاف وفق القرآن الكريم، دار كتابي، إسطنبول ٢٠١٠.
- جتين، أنصار، "الأصولية المسيحية واستراتيجية إجبار الله على القيامة في الشرق الأوسط"، مجلة معهد العلوم الاجتماعية بجامعة كاتكين، جانكن ج ٥، عدد: ١، ص، ١- ١٦.
- أردونمَز، حسين (Hüseyin Erdönmez)، سياسة الدول الأوربية حول الشرق الأوسط ومشروع الشرق الأوسط الأمريكي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد العلوم الاجتماعية بجامعة تراقيا، أدرنة ٢٠١٠.

(٤١) فاطمة تونج يشار، سفينج ألكان أوزجان، زاهدة توبا كور، فلسطين إلى حقيقة الاحتلال في الفكر الصهيوني، منشورات وقف İHH للمساعدات الإنسانية، إسطنبول ٢٠١٠، ص، ١٠٢.

- غوندوز، شيناسي، "أرضية شرعية العنف في المسيحية"، المجلة الإسلامية، ٢٠٠٢، مجلد: ٥، عدد: ١، ص، ٣٥- ٥٦.
- غوندوز، شيناسي، العنف الديني، منشورات أتوت، ٢٠٠٢.
- غريس هالسيل (Grace Hallsell)، إجبار الإله على القيامة، مصطفى أجار (Mustafa Acar)، حوسنو أوزمن (Hüsnü Özmen)، منشورات كيم، أنقرة ٢٠٠٣.
- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، ترجمة: لجنة، منشورات حكمة، إسطنبول ٢٠١٠. (ورد في هامش المتن ٢٠٠٨.)
- كلنج، داود، "دراسة حول الجيوسياسية/ الجغرافية السياسية الدينية للشرق الأوسط وانعكاساتها على عصرنا"، مجلة كلية الإلهيات بجامعة الفرات، ألازيغ ٢٠٠٨، عدد: ١٣/ ١، ص، ٦٥- ٨٦.
- الكتاب المقدس، مطبعة أوهان، إسطنبول ٢٠٠٧.
- لويس، برنارد (Bernard Lewis)، "الهوية التاريخية للشرق الأوسط"، مجلة كلية الإلهيات- جامعة أنقرة، أنقرة ١٩٦٤، عدد: ١٢، ص، ٧٥- ٨١.
- ليتل، روبرت (Robert Littel)- شمعون بيريز، حوار مع سياسي، ترجمة: نهال أونول، منشورات مليت، إسطنبول ١٩٩٨.
- سرما، إحسان سريا، عهد الأمويين، منشورات بيان، إسطنبول ٢٠١٠.
- تورلاك، مصطفي (Mustafa Torlak)، انعكاسات الصراع العربي الإسرائيلي على معدل/ توازن الهجرة في الشرق الأوسط من نافذة الصهيونية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قادر هاس، إسطنبول ٢٠١٠.
- يشار، فاطمة تونج، سفينج ألكان أوزجان، زاهدة توبا كور، فلسطين إحقيقة الاحتلال في الفكر الصهيوني، منشورات وقف İHH للمساعدات الإنسانية، إسطنبول ٢٠١٠.
- The Voice of The Temple Mount 1999
- Black, Amy E, "With God on Our Side: Religion in George W. Bush's Foreign Policy Speeches", American Political Science Association, Chicago 2004.

الهجرة والمهاجرون بوصفها التعبدي في الإسلام*

أ. محمد دمير

عضو هيئة معادلة الشهادات بمديرية التربية، ومعلم في ثانوية عمر أوزمار للأئمة والخطباء – غازي عنتاب:

mdemir6358@gmail.com

الخلاصة:

هذه المقالة تناولت مفهوم الهجرة وأحكام الهجرة والمهاجرين في الإسلام. وقد أدّت إلى المعلومات المتعلّقة بمعنى الهجرة لغة واصطلاحاً، وأهمّيةِ الهجرة ووجوبها. وإنّ الهجرة، التي ذكرت في التاريخ عندما واجه المسلمون المكّيّون الصعوبات المتنوّعة بأن تركوا وطنهم وهاجروا إلى أوطان جديدة، إن هذه الهجرة قد مُدحت في القرآن وبسببها نال المهاجرون التّبشير من الله تعالى. وبهذا السّبب في التقاليد الإسلامية كان ترك المسلمين الأوائل لمكّةَ ليس هجرة عادية، بل هي هجرة مباركة، والتّاركون وطنَهم مهاجرون حقيقيّون. وعند هذا حدث نقاش تناول كلّ من خرج من مكانه أومن أرضه من ناحية دخوله ضمن هذا النوع من الهجرة أم لا. فمثلاً قد يدخل في هذا الموضوع السوريون اللاجئون والخارجون من بلدهم عنوة وجبراً لعدة سنوات، فهل هم لاجئون أم مهاجرون؟ في بحثنا هذا عالجنا المسْألة المذكورة في ضوْء القرْآن الكريم والسّنّة النّبويّة وحسب الفقه الإسلاميّ وأقسام الهجرة وأنواعها وأسبابها والهجرات في تاريخ الإسلام، خاصّة في عصر الصحابة، في سياق تعليقات المفسّرين. وفي هذا الإطار من الزاوية الدّينيّة لا توصف كلُّ هجرة بأنّها هجرة محْضة. فقد سعينا إلى تصحيح مفهوم الهجرة من أجل مصلحة الدّين والنّفس والمال، ومن حيث يجب إدخالها في شموليّة الهجرة الحقيقيّة في دين الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الالتجاء، الهجرة، المهاجر، المهاجرون السّوريّون

Bir İtaat Eylemi Olarak İslâm'da Hicret ve Muhacirler

Özet

Bu makalede, İslâm'da hicret kavramı, hicret hükümleri ve Muhacirler ele alınmıştır. Hicretin sözlük ve terim anlamı ve önemi hakkında bilgi verilmiştir. Tarihte Mekkeli Müslümanların türlü zorluklarla karşılaştıklarında vatanlarını terk edip yeni yurtlara göç edişini ifade eden hicret, Kur'ân'da övgüyle zikredilmiş, Muhacirler de Allah'ın müjdelerine mazhar olmuşlardır. Bu nedenle İslâm geleneğinde ilk Müslümanların Mekke'yi terk edişleri sıradan bir göç değil, mübarek bir "hicret", göç edenler de göçmenler değil, gerçek "Muhacirler"dir. Binaenaleyh yerinden, yurdundan her göç eden kimsenin bu kapsama girip girmeyeceği tartışma konusu olmuştur. Zorunlu sebeplerle son birkaç yıldır ülkemize gelen Suriyelilerin durumu buna dair bir örnek teşkil etmektedir. Çalışmamızda Kur'ân, Sünnet ve İslâm fıkhına göre hicretin gayesi, sebepleri ve çeşitleri üzerinde durulmuş ve İslâm tarihinde -özellikle Asr-ı saadetteki- hicretler müfessirlerin değerlendirmeleri bağlamında ele alınmıştır. Bu çerçevede İslâmî açıdan hicretin salt bir göç olarak tavsif edilemeyeceği; din, can ve mal maslahatı gereği yapılan göçlerin gerçek "hicret" kapsamına dâhil edilmesi gerektiği temellendirilmeye çalışılmıştır.

Anahtar Kelimeler: İltica, hicret, muhacir, Suriyeli göçmenler

*وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Bir İtaat Eylemi Olarak İslâm'da Hicret ve Muhacirler" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (محمد دمير، الهجرة والمهاجرون بوصفها التعبدي في الإسلام، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ١٥٩-١٨٤). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

As an Act of Obedience Hijra (Immigration) in Islam and Immigrants

Abstract

This article deals with Hijra (immigration) in Islam and immigrants. I demonstrated the linguistic and conventional meaning of hijra and the importance and necessity of hijra. I also stated hijra historical benefits as the Muslims of Mecca encountered various difficulties upon leaving their home to new ones; hence, hijra was praised in Quran and the muhajereen (immigrants) got glad tidings from Allah Almighty. In Islamic traditions, the event when the earlier Muslims left Mecca is not an ordinary immigration, rather it is a blessed one. Those who leave their homes are true immigrants. As such, a discussion starts as whether anyone who leaves their home or land is considered a true immigrant or not. In this article, I studied a sample of Syrian refugees who have been forced and obliged to leave to other countries for years; are they refugees or muhajereen (true immigrants.) I approached the aforementioned issue in the light of the Holy Quran, Sunnah and Islamic fiqh as related to hijra divisions, types, causes and history in the age of Islamic legislation and commentaries of the commentators. From a religious point of view, not all immigration is a pure hijra. That is, immigration happening for the sake of the religion, the self and money must be included in the comprehensiveness of the true immigration or hijra in Islam.

Keywords: Asylum, immigration, emigrant, Syrian refugees

المدخل:

إنّ الهجرة، واقع مهمّ شهدته الإنسانية بوسائل مختلفة. وكلّ الأنبياء والّذين آمنوا بهم عند ما أرادوا أن يعبدوا الله كما يليق به فقد أُجْبروا على الهجرة من قبل أعدائهم. وقد هُجّروا وتركوا أوطانهم وديارهم وأموالهم الموجودة هناك لأجل اعتقاداتهم [١].

والهجرة في القرآن تأتي بمعاني مختلفة، مثل، «ترك القرآن» [٢]، و«الاعتزال عن أحد أوعن جماعة» [٣]، و«ترك الأشياء السّيّئة» [٤]. وهي ملائمة للمعنى الاصطلاحيّ «الذّهاب في سبيل الله إلى أرض أخرى» [٥]. ويقال

(١) الأعراف، ٧/ ٨٨. هود، ١١/ ٨٠، ٨١. إبراهيم، ١٤/ ١٣. الحجر، ١٥/ ٦٥. الإسراء، ١٧/ ٧٦،٧٧،٨٧. طه، ٢٠/ ٧٧. الشوري، ٢٦/ ٥٢-٦٧. العنكبوت، ٢٩/ ٢٦.

(٢) الفرقان، ٢٥/ ٣٠.

(٣) النّساء، ٤/ ٣٤. مريم، ١٩/ ٤٦. المزّمّل، ٧٣/ ١٠.

(٤) المدثّر، ٧٤/ ٥.

(٥) البقرة، ٢/ ٢١٨، ٩٧. آل عمران، ٣/ ١٩٥. النّساء، ٤/ ٨٩، ٩٧. التوبة، ٩/ ٢٠.

لمن هاجر: «المهاجر»، جمعه يستعمل بكلمات «المهاجرين والمهاجرات» [٦]، والآيات الّتي تتحدّث عن الهجرة أكثرها يقصد المسلمين الّذين قد هاجروا من مكّة إلى المدينة [٧].

وإنّ الجماعات الظّالمة استغلّت الآخرين بكلّ الطرق غير المشروعة دائماً كي تسيطر عليهم [٨] (وتلعب كيفما تشاء بهم)، وتنال ثرواتهم الموجودة فوق أراضيهم وتحتها للحصول على أراضٍ جديدة [٩]. وقد تسببوا بهجرات متنوّعة لا نهاية لها على مرّ التاريخ. فنرى على جانبِ الإرهابَ والخوف والحروب الدّمويّة وأنشطة الاستغلال، وعلى الطرف الآخر نرى أولئك الذين أُخْرجوا من أراضيهم وأوطانهم جبراً ولا يستطيعون مقاومة ما فُعل بهم. إنّ هذه الجماعات الظّالمة تكاد تغتصب كلّ أشياء هؤلاء الناس، وساقتهم إلى محن ومشكلات متنوّعة. وعلى كلّ حال فإن من كان سببا لهذه الأحداث والأحوال السّيّئة يجب منعه من هذه الأفعال، وأن يجازى باسم الإنسانيّة على ما كسبت يداه. فاليوم تمر البشريّة بامتحان مهمّ جدّاً تجاه الحقائق المُرّة الحاصلة، ويترتّب على المسلمين هنا وظائف مهمّة ودور كبير [١٠].

إنّ الهجرة تؤثرعلى البنية الاجتماعيّة والاقتصاديّة والّسّياسيّة والثقافية [١١]. وهذا الحال يظهر علانيةً في البلدان المُهاجَر إليها. ومن هذه البلدان تركيا؛ فهي أوّل بلد يتأثّر بها. واليوم تبيّن لنا الأحداث الواقعة أنّ تركيا ستبقى ملجأ ومأوى للملتجئين والمهاجرين. ومقابل هذا إنّ بعض المواطنين من بلدنا، وخاصّة عند مجيء السّوريّين، يتكلّمون ويسعون ضدّ المهاجرين. ويجب علينا إظهار موقفنا تجاه واقع الهجرة في أيّ مكان نوجد فيه، ولوكان عبر نبذة من الحديث لأهميتها. ونتكلم كذلك على أصل الهجرة بوصفها طاعة في نظر الإسلام. لذا يجب ألا نغفل عنها وتكون الموضوع اليوميّ لنا.

وفي الساحة الدولية فقد أحدثت بعض المبادئ الحقوقيّة تجاه من ترك وطناً أو أرضاً أمضى فيها حياته. وإنّ للملتجئين والمهاجرين أحوالاً مختلفة فيما يتعلق بالهجرة؛ ففي الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب العالمية الثّانية خاصّة صدرت لهم قوانين تنظيمية متعلّقة بهم في إعلان القانون العالميّ ومن قبَل الأمم المتّحدة؛ ففي عام ١٩٥١ وُقّعت المعاهدة المهتمّة بشؤون اللاجئين والمهاجرين، وفي تاريخ ١٩٥٤ دخلت تلك المعاهدة حيز التنفيذ. ومن بعد ذلك وُقّع البروتوكول المتعلّق بوضع الملتجئين والمهاجرين في عام ١٩٦٧. ولكن الإسلام قد

(٦) النّساء، ٤/ ١٠٠. التوبة، ٩/ ١٠٠. النّور، ٢٤/ ٢٢. الممتحنة، ٦٠/ ١٠.

(٧) أونقال، أحمد، "الهجرة"، إسطنبول، ١٩٩٨، ج، ١٧، ص، ٤٥٨.

(٨) القصص، ٢٨/ ٤.

(٩) مصطفي مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط، ١، ج، ٢، ص، ١٨١-١٨٢.

(١٠) آل عمران، ٣/ ١٠.

(١١) وهذا هو المعلوم من قبل كلّ النّاس كما مرّ في الإذاعات والصحف أنّ الغرب على قدر استطاعته لا يقبل المهاجرين السّوريّين ويكاد يغلق كلّ الطّرق المختلفة عليهم.

اهتمَّ قبل ١٤ قرناً بأمر الملتجئين والمهاجرين، وأصدر لهم أنظمة وطبّقها. فقد أعطى النّبيّ ﷺ إذناً للمسلمين كي يذهبوا إلى الحبشة، وبعدها هاجر المسلمون من مكّة إلى المدينة بإرادة اللهّ، وهذه الهجرات لها مكانة عالية في تاريخ الإسلام. فقد تناولتها تفاسير الأحكام وكتب فقه الهجرة ووضعت لها مجموعة من القواعد [١٢].

وفي هذه المقالة ومع تناول «الهجرة بوصفها فعل طاعة في الإسلام والمهاجرون» بحثنا أوضاع المهاجرين والملتجئين.

تكون الهجرة ضروريّة في الوضع الّذي لا يمكن لأحد أن يعيش في وطنه بأمن على النّفس ولا على المال، ولا يستطيع أن يعيش اعتقاده الديني بحرية. وممكن للشّخص ترك أرضه الّتي كان يسكن فيها إذا أراد أن يعيش عيشة طيّبة أحسن منها.

وسنوضح من خلال آراء الفقهاء مفهوم الهجرة ومعنى «المهاجر» في إطار توصيف الهجرة بأنها فعل طاعة كما ورد القرآن والسنّة. وعليه فإن اللاجئين السوريين يمثلون نماذج مهمة لهذا الأمرعبر وصفهم بالمهاجرين.

١. مفهوم الهجرة:

«الهجرة» لفظٌ مشتقٌ من الكلمة الثُلاثيّة (هَجَرَ)، والمصدر «هجران»: اسم بمعنى التّرْك وقطع العلاقة أو التَخليّ عن شيءٍ ما [١٣]، ولكن تُعرفُ الهجرة بأنّها انتقالُ من مكانٍ إلى آخر بغرضٍ ما [١٤].

وتأتي بمعنى انتقال الفرد بطريق ما مِن مكان إلى مكان آخر [١٥]. وقد تكون الهجرة بالبدن (بالجسم) واللّسان والقلب [١٦].

والهجرة معناها الانتقال من موضع إلى موضع، وقصد ترك الأول إيثارًا للثاني. والهجر ضد الوصل.

(١٢) أوزل، أحمد، "الهجرة"، دي أ، إسطنبول، ١٩٩٨، ج، ١٧، ص، ٤٦٣-٤٦٤.

(١٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: محمد محمد تامر والآخرين، دار الحديث، ٢٠٠٩، القاهرة، ص، ١١٨٩.

(١٤) راغب الأصفهاني: المفردات، تحقيق: محمد سيّد جيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص، ٣٥٧. الجوهري: الصّحاح، ص، ١١٨٩. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج، ٥، ص، ٢٥٠-٢٥٧. فيروز أبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ٢٠٠٥، ص، ٤٩٥. حسن عزّالدّين جمل: معجم وتفسير لغويّ لكلمات القرآن، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.

(١٥) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، ج، ٦، ص، ٣٤. الجوهري: الصّحاح، ص، ١١٨٩. الزّمخشري، أبو القاسم جارالله محمد بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧، ج، ٢، ص، ٣٦٢.

(١٦) الأصفهاني: المفردات، ص، ٥٣٦. الرّازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصّحيح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦، ص، ٢٨٨. أونقال، أحمد: "الهجرة"، دإأ (DİA)، إسطنبول، ١٩٩٨، ج، ١٧ ص، ٤٥٨.

وقد هجره هجرًا وهجرانًا، والاسم الهجرة. والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية. والتهاجر التقاطع. ومن قال: «المهاجرة الانتقال من البادية إلى الحاضرة فقد أوهم، بسبب أن ذلك كان الأغلب في العرب، وليس أهل مكة مهاجرين على قوله» (١٧). وأصل المهاجرة المفاعلة، من هجرة الرجل الرجل للشحناء تكون بينهما، ثم تستعمل في كل من هجر شيئاً لأمر كرهه منه (١٨).

والهجرة اصطلاحياً هي: الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام (١٩). أي من بلد غير المسلمين إلى بلد المسلمين. وإنما سمي المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ مهاجرين لما وصفنا من هجرتهم دورَهم ومنازلهم، كراهة منهم النزول بين أظهر المشركين وفي سلطانهم، بحيث لا يأمنون فتنتهم على أنفسهم في ديارهم إلى الموضع الذي يأمنون ذلك (٢٠). وسمّي من هجر من مكّة إلى المدينة مهاجراً (٢١)، وسمّي المسلمون الّذين نصروا المهاجرين في المدينة أنصاراً (٢٢). وهذان الاسمان استُعملت لهما (٢٣). وفي هذا الموضوع قال اللهّ تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والأنصار اسم إسلامي. قيل لأنس بن مالك: أرأيت قول الناس لكم: الأنصار، اسم سماكم الله به أم كنتم تدعون به في الجاهلية؟ قال: بل اسم سمانا الله به في القرآن (٢٤).

قال اللهّ تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النحل: ٤١].

(١٧) القرطبي، أبوعبداللهّ محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد اللهّ بن عبد المحسن التركي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ٢٠٠٦، ج، ٣، ص، ٤٣٢.

(١٨) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق، عبد اللهّ بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ج، ٣، ص، ٦٦٧.

(١٩) ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبد اللهّ: أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٣، ج، ١، ص، ٦٠٩. ابن قدامة، موفّق الدّين أبي محمد عبد اللهّ بن أحمد بن محمد: المغني، تحقيق: عبد اللهّ بن عبد المحسن التّركي- عبد الفتّاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، الرّياض، ١٩٩٧، ج، ١٣، ص، ١٤٩. الجرجاني، علي بن محمد السّيّد الشّريف: معجم التّعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص، ٢١٤.

(٢٠) الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج، ٣، ص، ٦٦٧. ابن عبّاد، إسماعيل: المحيط في اللّغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤، ج، ٣، ص، ٣٧٢.

(٢١) ابن فارس: مقاييس اللّغة، ج، ٦، ص، ٦٦٧. الزّبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس، تحقيق: عبد الحليم الطّحاوي، مطبعة حكومة، الكويت، ج، ١٤، ص، ٣٩٧.

(٢٢) الزّبيدي: تاج العروس، ج، ١٤، ص، ٢٢٤-٢٢٥.

(٢٣) أونقال، أحمد: "الهجرة"، إسطنبول، ١٩٩٨، ج، ١٧، ص، ٤٥٨.

(٢٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج، ١٠، ص، ٣٤٣-٣٤٤.

قال اللهّ تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝٥٩ ﴾ [الحج: ٥٨- ٥٩].

والهجرة من بلد الظّلم والسوء إلى بلد آخر تكون إما بالرضا أو بالإجبار. وإذا تحقّقت الهجرة بترك الوطن الأصليّ إجباريّا، كما في حالة النّفي أو الإخراج من الوطن، ينشأ حقّ الدّفاع المظلومين عن أنفسهم [٢٥].

قال اللهّ تعالى في القرآن الكريم: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ۝١٩٥ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ولفظة الهجرة لا توجد في القرآن الكريم، ولكن توجد منها اشتقاقات متنوّعة بمعاني مختلفة، مثل: وَاهْجُرُوهُنَّ وَاهْجُرْنِي [٢٦]، وَاهْجُرْهُمْ [٢٧]، ومُهَاجِراً [٢٨]، ومُهَاجِرٌ [٢٩]، وفَاهْجُرْ [٣٠]، وَاهْجُرُوهُنَّ ومُهَاجِرٌ [٣١]، وتَهْجُرُونَ [٣٢] مشتقّات من جذر (هجر) وردت في ٣١ موضعاً [٣٣].

وبعض معاني الكلمات المشتقّة من الهجرة في القرآن الكريم هكذا: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ۝١٩٥ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. في هذه الآية كلمة (هَاجَرُوا) بمعنى تركوا قومهم وعشيرتهم المنكِرة للهّ تعالى، وهاجروا إلى من آمن باللهّ وصدّق رسوله من أهل الإيمان. هؤلاء هم المهاجرون الّذين أُخرجوا من قبَل مشركي قريشٍ من مكّة [٣٤].

(٢٥) آل عمران، ٣/ ١٩٥. الإسراء، ١٧/ ٧٦-٧٧. الحشر، ٥٩/ ٨.
(٢٦) النّساء، ٤/ ٣٤ ومريم، ١٩/ ٤٦.
(٢٧) المزّمّل، ٧٣/ ١٠.
(٢٨) النّساء، ٤/ ١٠٠.
(٢٩) العنكبوت، ٢٩/ ٢٦.
(٣٠) المدّثّر، ٧٤/ ٥.
(٣١) النّساء، ٤/ ٣٤ والعنكبوت، ٢٩/ ٢٦.
(٣٢) المؤمنون، ٢٣/ ٦٧ والفرقان، ٢٥/ ٣٠.
(٣٣) الدّامغاني، الحسين بن محمد: قاموس القرآن، تحقيق: عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣، ص، ٤٧١- ٤٧٢. الرّازي، مختار الصّحاح، ص، ٢٨٨. أونقال، أحمد، "الهجرة"، دإأ، إسطنبول، ج، ١٧، ص، ٤٥٨.
(٣٤) الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج، ٦، ص، ٣٢٢.

﴿... وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ... ﴾ [النساء: ٣٤]. وفي هذه الآية كلمة ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ مستعملة بمعنى: يرقد عندها ويوليها ظهره، ولا يكلمها أي: يهجرها بلسانه، ويغلظ لها بالقول إذا خاف نشوزها، وبمعنى شدوا وثاقهنّ في بيوتهن، كناية عن قولهم: هجر البعير أي: ربطه بالهجار، وهو حبل يشد به البعير [٣٥].

﴿ * وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠ ﴾ [النساء: ١٠٠]. وفي هذه الآية توجد كلمة ﴿ يُهَاجِرۡ ﴾ وكلمة ﴿ مُهَاجِرًا ﴾. وكلتا الكلمتين مستعملتان بمعنى التّرك قلباً ولساناً وجسماً، أي: بدناً. ومع هذا تفيدان البعد عن ديار الشّرك وأهله والذّهاب بالمناهج والطّرق المشروعة إلى بلاد الإسلام حيث يعيش المؤمنون هناك [٣٦]. وإنما سمّي المهاجر مهاجرًا ومراغمًا؛ لأنّ الرجل كان إذا أسلم عادى قومه وهجرهم، فسمّي خروجه مراغمًا، وسمّي مصيره إلى النبي ﷺ هجرة [٣٧].

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ ﴾[مريم: ٤٦]. وفي هذه الآية ﴿ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾، أي: واعتزلني وأطل هجراني [٣٨].

﴿ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ ﴾ [المؤمنون: ٦٧]. وفي هذه الآية معنى الهجر في كلمة ﴿ تَهۡجُرُونَ ﴾: الهذيان، والإهجار: الإفحاش [٣٩]. والمعنى: يحدث لكم سماع آياتي كبرًا وطغيانًا فلا تؤمنوا به[٤٠].

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ [الفرقان: ٣٠]. وفي هذه الآية كلمة ﴿ مَهۡجُورٗا ﴾ مستعملة بمعنى الهذيان [٤١] والإفحاش وما لا نفع به من العبث [٤٢]. أي: وقال الرسول: يا

(٣٥) الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج، ٦، ص، ٧٠٠-٧٠٧.
(٣٦) الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج، ٧، ص، ٦٦.
(٣٧) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج، ٧، ص، ٦٦.
(٣٨) مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: طلعت شحّاطة، مؤسّسة تاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ج، ٢، ص، ٦٣٠. الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج، ١٥، ص، ٥٥٢-٥٥٥.
(٣٩) الجرجاني، عبد القاهر: درج الدّرر في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان-محمد أديب شكور، دار الفكر، عمّان، ٢٠٠٩، ج، ٢، ص، ٣٥٠.
(٤٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج، ١٥، ص، ٦٤.
(٤١) الجرجاني، درج الدّرر في تفسير القرآن العظيم، ج، ٢، ص، ٣٨٥.
(٤٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: النّكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السّيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج، ٤، ص، ١٤٣.

رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا. أي: قالوا فيه غير الحق من أنه سحر وشعر، معنى ﴿ مَهْجُورًا ﴾ أي: متروكاً [٤٣].

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]. وفي هذه الآية المقصود من كلمة ﴿ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ هو مسطح بن أثاثة إذ لما خاض في الإفك ونشره، وكان أبوبكر الصديق رضي الله عنه ينفق عليه، فحلف أبوبكر ألاّ يبره، وكان ابن خالته، فنهاه الله عن يمينه وندبه إلى بره مع إساءته [٤٤]. ومع هذا كلمة المهاجرين تشمل كلّ من هجر.

﴿ ... وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ... ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وفي هذه الآية -كما بيّنت- بكلمة ﴿ هَاجَرْنَ ﴾ قُصد: اللّاتي هاجرْن مع النّبيّ [٤٥].

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٠]. وفي هذه الآية ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ أي: لا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله. وقال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه (أقوام) ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم أو لتلعنهم. ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾، أي: من الأذى والسّبّ والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم[٤٦]. وطُلب في هذه الآية الصّبر والهجْر الجميل على ما يقول المشركون، وعلى أذاهم [٤٧]. يحتمل الهجر هنا أن يكون بالبدن وباللّسان وبالقلب [٤٨].

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر: ٥]. وكلمة ﴿ فَاهْجُرْ ﴾ هنا بمعنى الترْك. والطّبريّ بعدما بيّن الرّجز بالأوثان صرّح أنّه المعصية والإثم [٤٩]. وعليه فإن الآية تفيد أن: ابْعد عن الشّرك والأوثان وعن كلّ سيّئة بالبدن واللّسان والقلب [٥٠].

٢. غاية الهجرة وسببها وأنواعها وأهمّيّتها:

إنّ النّاس وخاصّة المسلمون لا يهاجرون إلا بغاية وسبب. ويجب للهجرة أن تكون لها مقاصد وأسباب وأشكال.

(٤٣) الثّعلبي، أبو إسحاق أحمد: الكشف والبيان، ج، ٧، ص، ١٣٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج، ١٥، ص، ٤٠٥.
(٤٤) الماوردي: النّكت والعيون، ج.: ٤، ص.: ٨٤.
(٤٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ١٧، ص.: ١٧٩.
(٤٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٢١، ص.: ٣٣٤-٣٣٥.
(٤٧) الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.: ٢٣، ص.: ٣٨٠.
(٤٨) الأصفهاني: المفردات، ص.: ٥٣٦-٥٣٧.
(٤٩) الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.: ٢٣، ص.: ٤١٠-٤١٢.
(٥٠) الأصفهاني: المفردات، ص.: ٨٣٣.

إنّ الهجرة قد تكون لأسباب اجتماعية وديموغرافية وجغرافية وسيكولوجية. ولها أشكال متنوّعة؛ مثل: الهجرات الدّاخليّة والخارجيّة، أو الهجرات الإراديّة وغير الإراديّة، أو الهجرات الدّائمة والمؤقّتة. وهناك موضوعات تتعلّق بالهجرة مباشرة أو بشكل غير مباشر، مثل: التربية والتعليم وجعل المهاجر ذا صّلاحيّة وإسكان. كلّ هذا له دور مهمّ في الهجرة.

١ , ٢. غاية الهجرة وسببها (بواعث وغايات الهجرة):

بواعث الهجرة كثيرة، وأهمّها هي سلامة العبادة والدين فحيثما يُضيّق على المرء في دينه وعبادته، ويُمنع من إظهار دينه والقيام بالواجبات الدينية المفروضة عليه يتعيَن عليه الهجرة إلى حيث يجد المكان الأمثل للمحافظة عليه.

وكما هو معلوم، لكلّ عمل مبدأ وغاية. وإذا نشأ العمل وفق مقتضى الإسلام فإنه سيحتوي الطّاعة للهّ والتقرب إليه. وهذا العمل يجب ألا يكون بسبب العادة والهوى وطلب المدح والشّهرة. وفي أساس الهجرة التي تكون بالبدن يوجد هجرة الاعتقاد باللهّ ورسوله [٥١]. وهذه الدّنيا مستندة على الغايات المحدّدة والأسباب المختلفة. وكلّ شيء خُلق من قبل اللهّ تعالى لا يكون عبثًا ولا باطلًا وخاصّة الإنسان؛ فما خلقه اللهّ باطلاً [٥٢] ولا عبثاً [٥٣]. ولا تركه سُدى [٥٤]. فللهجرة غاية. قال اللهّ تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. ومعنى ذلك إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي [٥٥].

إنّ الهجرة ظهرت في كلّ آن. وقد كانت في كلّ أرض تَجادل فيها الحقّ والباطل. وبحسب القرآن فإن كلّ الأنبياء والّذين آمنوا بهم هاجروا من أراضيهم وبلادهم ووطنهم في سبيل اعتقادهم لأداء العبادة للهّ خالصة [٥٦]. وقد أخبر اللهّ تعالى في القرآن فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ ﴾؛ وفي نفس الآية وعد اللهّ تعالى لأنبيائه إذ قال: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣]. وورد في القرآن الكريم أيضًا: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ

(٥١) ابن القيّم الجوزيّ: الّرسالة التّبوكيّة (زاد المهاجر إلى ربّه)، ص.: ٩.
(٥٢) آل عمران، ٣/ ١٩١؛ ص، ٣٨/ ٢٧.
(٥٣) المؤمنون، ٢٣/ ١١٥.
(٥٤) القيامة، ٧٥/ ٣٦.
(٥٥) الطّبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.: ٢٣، ص.: ٤٣٣.
(٥٦) الأعراف، ٧/ ٧٨؛ يونس، ١٠/ ٩٠؛ هود، ١١/ ٨٠-٨١؛ الحجر، ١٥/ ٦٥؛ طه، ٢٠/ ٧٧-٧٨؛ الشورى، ٢٦/ ٥٢-٦٧؛ العنكبوت، ٢٩/ ٢٦.

مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٦- ٧٧].

وقال النّبيّ ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» [٥٧]. وهذا الحديث يبيّن أنّ الهجرة تُقدَّر على حسب النيّة وغايتها. والهجرة الحقيقيّة هي الهجرة إلى الله ورسوله. وقال النّبيّ ﷺ أيضًا: «**لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُو يُقَاتِلُ**» [٥٨]. وهذا الحديث يفيد أنّ الحرب هي سبب للهجرة. وقول النّبيّ ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**» [٥٩]. وبهذا يُعْلِمُ أنّ الهجرة لا تنقطع أبداً.

والإنسان المسلم عندما لا يجد أسباب البقاء لحياته وإمكانيّة الكفاح التنمويّ الإسلاميّ في بلد ما فيجب عليه أن يهاجر من ذاك البلد إلى آخر [٦٠]. وكما هو معروف فإنّ الفرار من الأذية في البدن فضل من الله أرخص فيه؛ فإذا خشي أحد على نفسه فقد أذن الله في الخروج له والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور [٦١]. وإذا نظرنا من هذه الزّاوية إلى الملتجئين أو المهاجرين السوريين مثلًا؛ فمع اختلاف البواعث والغايات، فالغالبية هاجرت وتركت أراضيها بسبب الحرب، وهذا صريح جدّاً. ولأجل تخليص النّفس من العدو تركت وطنها وذهبت إلى البلدان المجاورة وإلى بلدان أُخرى كي تعيش بأمن، وهذا قد يكون حقّاً لهم. وهكذا كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة. وهنا نتساءل: ألا يجب على من هُوجِر إليه من البلدان ألا يمتنع من هذا الأمر، وأن يهتمّ بالمهاجرين حقًّا. هل يمكن التّفكير عكس هذا باسم الإنسانيّة؟

والنّبيّ ﷺ والمؤمنون (المسلمون) رَأوا أذًى وظلماً كبيرين من قِبل كفّار مكّة [٦٢]. فاستُشهد بعض الصّحابة [٦٣]. إنّهم بقولهم: (لا إله إلا اللهّ محمد رسول اللهّ) كانوا يتركون دين أهل مكّة فيتوجّهون إلى دين

(٥٧) البخاري: الوحي، ١؛ مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجّاج: صحيح مسلم، تحقيق: بيت الأفكار الدّوليّة، الرّياض، ١٩٩٨، الإمارة ٣٣.

(٥٨) النّسائي: البيعة، باب ٤٥، ج.: ٧، ص.: ٧٧٤٧.

(٥٩) الدّارمي، أبو محمد عبد اللهّ بن عبد الرّحمن بن الفضل بن بهرام: مسند الدّارمي، تحقيق: أسد الدّاراني، سير ٧٠، ج.: ٣، ص.: ٢٥٥٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السّجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد كامل قرابلّي، دار الرّسالة العالمية، الجهاد ٢، ج.: ٤، ص.: ٢٤٧٩.

(٦٠) *Mîr, Mustansır, Kur'ânî Terimler ve Kavramlar Sözlüğü, İnkılâp Yayınları, İstanbul, 1996, s. 85.*

(٦١) ابن العربي: أحكام القرآن، ج.: ١، ص.: ٦١٠؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٧، ص.: ٧٠.

(٦٢) ابن إسحاق، محمد: السّير والمغازي: تحقيق، سهيل زكّار، دار الفكر، ١٩٧٨، ص، ٢٠٩-٢٣١.

(٦٣) ابن إسحاق: السّير والمغازي، ص.: ١٩٢-١٩٣.

الإسلام، ويتركون كلّ معبود ويسْعون لعبادة اللهّ. وكلمة التّوحيد ليست قولاً على العادة فحسب، بل هي قول مهمّ جدّاً يحتوي معاني كثيرة من زاوية نظر المسلمين وكفّار مكّة.

وكفّار مكّة عندما فهموا أن سيطرتهم ستنتهي في مكّة أكثروا على المسلمين من الأذى والتّحقير والاستهزاء والمعاملة السّيّئة [٦٤]. وزعماء مكّة ومن عاونهم فعلوا كلّ ضغط وظلم بالمسلمين لكي يصدّوهم عن سبيلهم هذا [٦٥]. والنّبيّ ﷺ كي يخلّص المسلمين من هذا وينفّس عنهم من هذا الكرب فقد أخذ القرار بذهابهم إلى الحبشة التي كانت في إدارة الملك النّجاشي النّصراني المعروف بعدله ورحمته. وكانت هذه أوّل هجرة للمسلمين [٦٦]. وفي أثناء هذا كانت الآيات المتحدّثة عن الهجرة منزّلة [٦٧]. إنّ هذه الهجرة أراحت المسلمين. وهنا موضوع ملفت للنظر. وهو أنه عندما لا يجد المسلمون إمكانيّة إظهار دينهم فلهم عندئذٍ أن يهاجروا إلى البلدان غير الإسلاميّة. ودليل هذا بلاد الحبشة النّصرانيّة. وهذه ليست بلادًا إسلامية، ولا يوجد فيها أحد من المسلمين. ومع ذلك هُوجر إليها مرّتين مع ترك المسلمين مكّةَ. وسمّي هؤلاء بالمهاجرين [٦٨].

وتحدّث النّبيّ ﷺ في مكان يسمّى: العقبة مع ستة رجال من أهل يثرب (المدينة المنوّرة) فبلّغهم الإسلام فصدّقوه وآمنوا به وبايعوه ثمّ رجعوا إلى يثرب كي يدعوا النّاس إلى الإسلام [٦٩]. وفي هذا فتح اللهّ تعالى طريقًا جديدًا للمسلمين. وفي أعقاب هذه التّطوّرات استقرّ الإسلام في المدينة.

وبعد هذا شجّع النّبيّ ﷺ المسلمين على الخروج من مكّة إلى يثرب خِفْية في مجموعات وفي وقت محدّد، فخرجوا [٧٠]. وكانوا متوكّلين ومستسلمين لله، ولا يعلمون بأيّ شيء سيواجهونه في المستقبل. فقد أطاعوا الرّسول الكريم بإخلاص فهاجروا وتركوا مكّة. وبقي النّبي ﷺ وأبو بكر وعلي. وكان النّبي ﷺ ينتظر أَمْرَ اللهّ بالهجرة [٧١]، وفي النّهاية أذن اللهّ فهاجر مع أبي بكر إلى يثرب [٧٢]. والقرآن يتحدّث عن هذه الهجرة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ

(٦٤) ابن إسحاق: السّير والمغازي، ص.: ١٤٤.

(٦٥) ابن إسحاق: السّير والمغازي، ص.: ١٨٩-١٩٦.

(٦٦) ابن إسحاق: السّير والمغازي، ص.: ٢١٣-٢١٥؛ ابن سعد، محمد: الطّبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١، ج.: ١، ص.: ١٧٢-١٧٣.

(٦٧) الزّمر، ٣٩/ ١٠؛ النّحل، ١٦/ ٤١-٤٢.

(٦٨) محمد جاسم عبد: أحكام الهجرة في الشّريعة الإسلاميّة، مجلّة أبحاث كلّيّة التربية الأساسيّة، كلّيّة الإمام الأعظم، ٢٠٠٨، ج: ٨، العدد: ١، ص.: ٩٨-٩٩.

(٦٩) ابن هشام: السّيرة النّبويّة، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠، ج.: ٢، ص.: ٧٦-٧٨.

(٧٠) ابن هشام: السيّرة النّبويّة، ج.: ٢، ص.: ١٠٩؛ ابن سعد: الطّبقات الكبرى، ج.: ١، ص.: ١٩٢.

(٧١) ابن هشام: السّيرة النّبويّة، ج.: ٢، ص.: ١٠٩.

(٧٢) ابن هشام: السّيرة النّبويّة، ج.: ٢، ص.: ١٢١؛ ابن سعد: الطّبقات الكبرى، ج.: ١، ص.: ١٩٤.

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠]. وكان خروج النّبيّ ﷺ من مكّة بسبب إخراج الكفّار جبراً وضغطهم عليه [٧٣]. وفي أثناء خروجه من مكّة وهو على راحلته واقفاً بِالْحَزْوَرَةِ [٧٤] يقول: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلى اللهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» [٧٥]. وكذلك تقريبًا كان كلّ المسلمين؛ فقد تركوا مكّة وعلى رأسهم النّبيّ ﷺ واجتمعوا في المدينة.

الهجرة ليست حدثًا بسيطًا. هي الخروج من الباطل إلى الحقّ، والتّوجّه من الظّلم إلى العدل ومن السّيّئات إلى الحسنات ومن القبيح إلى الجمال، والإقبال على نور الإسلام. خلاصةً الهجرة هي: تّخلّص المرء من الكفر والشّرك والتّوجّه إلى اللهّ مخلصًا له الدّين، وهي طريق مهمّ لتبليغ الإسلام إلى الأراضي البعيدة، والمؤمنون كانوا على هذا في هجرتهم إلى المدينة.

وفي الوقت الرّاهن يمكن أن نجعل المهاجرين السّوريّن المُخْرَجين من قبل العدو من وطنهم جبراً وأمثالهم في هذا الإطار. لأنّهم لا يجدون إمكانيّةً لإظهار دينهم ولا يوجد أمان لأنفسهم ولا لأموالهم. وممكن أن يقال لهم «المهاجرين» بسبب ما يرون من الضغط الاجتماعيّ والرّوحاني والاقتصاديّ والثّقافيّ الشديد وأمثاله، ولذلك تركوا بلادهم كي ينجوا من هذا الضغط والضّرر ويحافظوا على أنفسهم.

٢ , ٢. أهمّيّة الهجرة وأنواعها:

الهجرة لها أهمّيّة كبيرة في الإسلام. قال اللهّ تعالى في هذا الموضوع: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [النساء: ٨٩]. في هذه الآية ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾ ممكن أن تُؤوّل بشكلين: بأنّها الهجرة بالْبَدَنِ من بلاد إلى بلاد آخر؛ من دار الحرب إلى دار الإسلام، والهجرة إلى اللهّ ورسوله بالقلب. وهنا الهجرة أيضًا قد تفيد ترك الشّهوات والأخلاق السّيئة وترك الذّنوب وردّها؛ أي أنْ يُهجَر ما نهى اللهّ عنه [٧٦]. وفي هذه الآية ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾ هنا أُمِر المسلمون أن يكونوا بعيدين عن الّذين ودّوا أن يكفروا ويكونوا سواء [٧٧]. وكذا أُنزل في القرآن في شأن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء: ٦١].

(٧٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ١٠، ص.: ٢١١.

(٧٤) الحَزْوَرَةُ – في الأصل: الرّابية– وكانت سوقاً للمدينة وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. وانظر " معجم البلدان" ٢/ ٢٥٥.

(٧٥) سنن الدّارمي، باب: ٦٧، ٢٥٥٢.

(٧٦) الثعلبي: الكشف والبيان، ج.: ١٠، ص.: ٥٠٦–٥٠٧؛ ابن قيّم الجوزيّة: الرّسالة التّبوكيّة، ص.: ١٦؛ الأصفهاني: المفردات، ص.: ٥٣٧.

(٧٧) الأنفال، ٨/ ٧٢؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٦، ص.: ٥٠٦–٥٠٧.

وقال اللهّ تعالى في القرآن أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧]. في الآية بعد ما هاجر النّبيّ ﷺ كان هناك أشخاص لم يتركوا مكّة مع أنّهم مسلمون وبقوا هناك بين المشركين فما أطاعوا اللهّ ورسوله وخالفوا أمرَ الهجرة. ولهذا السبب ما قبل اللهّ توبتهم وسوف يُدْخلهم النّار[٧٨]. ففي أثناء نزول هذه الآية حتى فتح مكّة كانت الهجرة واجبة على كل من أسلم. والمراد بهم جماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا وأظهروا للنبي ﷺ الإيمان به، فلما هاجر النبي ﷺ أقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا، فلما كان أمر بدر خرج منهم قوم مع الكفار [٧٩]. ومن أجل ذلك من أراد أن يجلس بين الكفّار فإن لم يكن كافرًا على الأقلّ فهو في مذنب وظالم لنفسه. وهذه الآية في رأي المفسّرين تبيّن وجوب هجرة من لا يستطيع أن يظهر دينه ولا يستطيع أن يستمر بحياته في أرضه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرًا استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام**» [٨٠]. ويرى الشّافعيّ أنها ليست واجبة والإقامة في مكّة ليست حرامًا. والجهاد بعد الهجرة أوّلاً كان مباحًا، وعندما فُرِض كثر الضغط والظّلم على من لا يهاجر. وبناءً على ذلك فمن رأى الضغط ويستطيع أن يهاجر فالهجرة عليه واجبة. وقد بيّنت هذه الآية عقوبة وشأْن الّذين لا يطيعون هذا الأمر بسبب أهمّيّة المجتمع الإسلامي [٨١].

وقال القرطبي في قول: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ أنه: يفيد هذا السؤال والجواب أنهم ماتوا مسلمين ظالمين لأنفسهم في تركهم الهجرة. وإلا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيئًا من هذا، وإنما أضرب عن ذكرهم في الصحابة لشدة ما واقعوه، ولعدم تعين أحدهم بالإيمان، واحتمال ردته [٨٢].

وفي رأي ابن قدامة: هذه الآية تفيد وجوب الهجرة على من يقدر عليها ولا يمكن إظهار دينه بين الكفّار. ولأنّ القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمّته، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب [٨٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: ٩٨]. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩].

(٧٨) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.: ٧، ص.: ٣٨١؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٧، ص.: ٦١.
(٧٩) ابن إسحاق: السّير والمغازي، ص.: ٣٠٩.
(٨٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٧، ص.: ٦٤.
(٨١) أونقال، أحمد: "الهجرة"، إسطنبول، ١٩٩٨، ج.: ١٧، ص.: ٤٦٣.
(٨٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٧، ص.: ٦٣.
(٨٣) ابن قدامة: المغني، ج.: ١٣، ص.: ١٥١.

وفي هذه الآية قوله: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾. الحيلة هنا لفظ عام لأنواع أسباب التخلّص. والسّبيل سبيل المدينة [٨٤]، ولكن مع هذا له معنى عام وممكن أن يحتوي جميع السّبل. وقوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾. هذا الذي لا حيلة له في الهجرة لا ذنب له حتى يعفي عنه، ولكن المعنى أنه قد يتوهم أنه يجب تحمل غاية المشقة في الهجرة، حتى إن من لم يتحمل تلك المشقة فسيعاقب.. فأزال الله ذلك الوهم؛ إذ لا يجب تحمل غاية المشقة، بل كان يجوز ترك الهجرة عند فقد الزاد والراحلة. فمعنى الآية: فأولئك لا يستقصى عليهم في المحاسبة؛ ولهذا قال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [٨٥].

هذه الآية تبحث عن المرضى والضّعفاء والمضطرّين الباقين هناك من النّساء والعجزة والوِلدان وبسببهم لا تكون الهجرة عليهم واجبة، ولا توصف باستحباب لأنّها غير مقدور عليها. ومن يقدر عليها تُستحبّ له ولا تجب عليه، لكنّه يتمكّن من إظهار دِينه وإقامته في دار الكفر، فتُستحبّ له ليتمكّن من جهادهم وتكثير المسلمين ومعونتهم ويتخلّص من تكثير الكفّار ومخالطتهم ورُؤْية المنكر بينهم. ولا تجب عليه؛ لتمكنه من إقامة واجب دينه من دون الهجرة. وقد كان العَبَّاسُ عمُّ النّبيّ ﷺ مقيماً في مكّة مع إسلامه. ونعيم النّحّام، حين أراد أن يهاجر جاءه قومه بنو عديّ فقالوا له: أَقِمْ عندَنا وأَنْتَ على دِينِكَ ونحن نَمْنَعُكَ مِمَّنْ يُرِيدُ أذاك، واكْفِنا ما كُنْتَ تَكْفِينَا. وكان يقُومُ بِبَيْتَا مَن بني عَدِيٍّ وأراملهم فتخلّف مُدَّةً، ثمّ هاجر بعد، فقال له النّبيّ ﷺ: «قَوْمُكَ كَانُوا خَيْرًا لَكَ مِنْ قَوْمٍ لِي، قَوْمِي أَخْرَجُونِي، وأَرَادُوا قَتْلِي وقَوْمُكَ حَفِظُوكَ ومَنَعُوكَ». فقال: بَلْ قَوْمُكَ أَخْرَجُوكَ إلى طَاعَةِ اللهّ وجِهَاد عَدُوِّهِ، وقَوْمِي ثَبَّطُونِي عن الهِجْرَةِ وطَاعَةِ اللهّ [٨٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

في هذه الآية لفظ ﴿ وَهَاجَرُواْ ﴾ و﴿ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ ﴾ و﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ موجود. وقول: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ فُسِّرَ في الميراث [٨٧]. الأنصار والمهاجرون كانوا يتوارثون بسبب الهجرة. وهنا كلمة الوِلاية بمعنى: وليت الشيء، يقال: ولي بين الولاية. ووال بين الولاية. لأنه بمعنى النصرة والنسب. وقد تطلق الولاية والولاية بمعنى الإمارة [٨٨]. ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾، إن دعاكم هؤلاء المؤمنون الذين

(٨٤) الطّبريّ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.: ٧، ص.: ٣٨٥.

(٨٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٧، ص.: ٦٥.

(٨٦) ابن قدامة: المغني، ج.: ١٣، ص.: ١٥١-١٥٢.

(٨٧) الطّبريّ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.: ١١، ص.: ٢٩٤؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ١١، ص.:٨٦-٨٧.

(٨٨) الطّبريّ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج.: ١١، ص.: ٢٩٣-٢٩٤؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ١٠، ص.: ٨٦.

لم يهاجروا من أرض الحرب إلى عونهم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم. إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم، ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته[٨٩].

وفي رأي ابن العربي: إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة، ولا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم. كذلك قال مالك وجميع العلماء. فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وفي أيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد[٩٠].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنفال: ٧٤].

وفي هذه الآية كلمة ﴿حَقًّا﴾ مصدر، أي: حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة. وحقق الله إيمانهم بالبشارة في قوله: ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾، أي: ثواب عظيم في الجنة[٩١].

وللنّبيّ ﷺ أحاديث كثيرة حول أهمّيّة الهجرة، منها:

«لولا الهجرة، لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الْأَنْصَار»[٩٢]. **«لا يَقْبَلُ اللهّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلًا حَتّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إلى الْمُسْلِمِينَ»**[٩٣]. قال رجلٌ: يا رسولَ اللهّ، أيُّ الهجرة أفضلُ؟ قال: **«أَنْ تَهْجُرَ ما كَرِهَ اللهُّ، والْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ: هِجْرَةُ الْحَاضِرِ والْبَادي، فَأَمَا البَادي؛ فَإِنَّهُ يُطِيعُ إِذَا أُمِرَ، ويُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، وأَمَّا الْحَاضِرُ؛ فَأَعْظَمُهُمَا بَلِيَّةٌ، وأَفْضَلُهُمَا أَجْرًا»**[٩٤]. **«الْعِبَادَةُ في الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»**[٩٥]. قال ابن عبّاس: «كَانَ رسول اللهّ ﷺ (بمكّة)، وإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ (وأصحاب النّبيّ ﷺ) كَانُوا مِنَ الْمُهَجِرِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هَجَرُوا الْمُشْرِكِينَ، وكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ مُهَاجِرُونَ؛ لِأَنَّ الْمَدِينَةَ دَارَ شِرْكٍ، فَجَاؤُوا إلى رَسُولِ اللهّ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ»[٩٦]. وأيضاً إنّ النّبيّ ﷺ تحدّث عن شخْص تاب بعد ما قتل مئة رجل فتوجّه إلى بلاد المصلحين، وقَبْل أن يصلَ تلك البلاد توفّي في الطّريق وبعد الخصام قُبِلَتْ توبته[٩٧].

(٨٩) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ١٠، ص.: ٨٥-٨٦.

(٩٠) ابن العربي: أحكام القرآن، ج.: ٢، ص.: ٤٤٠؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ١٠، ص.: ٨٦-٨٧.

(٩١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ١٠، ص.: ٨٩.

(٩٢) مسند الدّارمي، أبو محمد عبد اللهّ بن عبد الرّحمن بن الفضل بن بهرام الدّارمي: كتاب السّير: ٧١.

(٩٣) ابن ماجة، أبوعبد اللهّ محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣-٢٠٩ ه.): السّنن، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، الحدود ٢/ ٢٥٣٦.

(٩٤) سنن النّسائي: البيعة ١٥، ج.: ٧، ٧٧٤٠؛ سنن أبي داود: الوتر ٣٤٥.

(٩٥) مسلم: الفتن ٥٢؛ التّرمذي: الفتن ٣٠؛ ابن ماجة: الفتن ٣٦/ ٣٩٨٥.

(٩٦) سنن النّسائي: البيعة ١٥، ج.: ٧، ٧٧٤١.

(٩٧) البخاري: الأنبياء ٦٠؛ مسلم: التّوبة ٤٦؛ ابن ماجة: الدّيّات ٢١/ ٢٦٢١.

وقال النّبيّ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بعد الفتح، ولَكِن جِهَادٌ ونِيَّةٌ، وإِنِ اسْتُنفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**» (٩٨). والهجرةُ المنتهيةُ في الحديث الشّريف، هي الهجرة من مكّة إلى المدينة..(٩٩) ومع أنّ الهجرة من مكّة إلى المدينة قد انتهت، لكن ما دام الضغط قائمًا على المسلمين ففرض الهجرة باق من ديار الكفر إلى بلاد الإسلام (١٠٠).

والهجرة لها أنواع. منها:

١- تكون الهجرة من مكّة إلى المدينة لنصرة النّبيّ ﷺ.

٢- وهجر المسلم الحرام. وهكذا قال النّبيّ ﷺ: «**والمهاجر من هجر الخطايا والذّنوب**» (١٠١). وهاتان الهجرتان حتى الآن ثابتتان وأحكامهما لمْ تزلْ تدوم.

٣- وهجر الّذين يعملون المعاصي وترك الكلام والجلوس معهم حتى يتوبوا. فتلك هجرة. وهكذا فعل النّبيّ ﷺ بِكَعْب بن مالك مع أصدقائه (١٠٢).

وتعليق ابن العربي في الآيات والأحاديث الشّريفة يجلب النّظرَ إليه. هو أوّلًا من جهة القصد يقسم الهجرة إلى قسمين: بمقصد الهروب وبمقصد الطّلب. وبعدُ من جهة الأحكام يقسمها إلى خمسة أقسام: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام. ونرى القرطبيَّ يوافق ابن العربي في هذا التّصنيف (١٠٣). وكلا المفسّرين تناولا الهجرة من ناحية الفقه الإسلامي، وهكذا صنّفاها:

الهجرة: ١- هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام. ٢- والخروج من أرض البدعة. ٣- والخروج من أرض غلب عليها الحرام. ٤- والفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله أرخص فيه. فإذا خشي الإنسان على نفسه فقد أذن الله له بالخروج والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور. وأول من فعلها إبراهيم عليه السلام، فإنه لما خاف من قومه، قال: ﴿ **إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي** ﴾[العنكبوت: ٢٦]، وقال: ﴿ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩** ﴾ [الصافات: ٩٩]، وقال مخبراً عن موسى: ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾ [القصص: ٢١]. هذه المعلومات وردت في تفسيريهما (١٠٤).

(٩٨) البخاري: الجهاد والسّير ١؛ أبو داود: الجهاد ٢؛ التّرمذي: السّير ٣٢؛ النّسائي: البيعة ٤٥/ ٧٧٤٥؛ الدّارميّ: السّير ٧٠/ ٦٩.
(٩٩) ابن قدامة: المغني، ج.: ١٣، ص.: ١٥٠-١٥١.
(١٠٠) الجوزي: أبوالفرج جمال الدّين عبد الرّحمن بن علي بن محمّد: زاد المسير في علم التّفسير، المكتبة الإسلامي، الطّبعة: ٣، بيروت، ١٩٨٤، ج.: ٢، ص.: ١٥٦؛ أبوداود، ج.: ٤، ص.: ٢٤٨٠؛ ابن قدامة: المغني، ج.: ١٣، ص.: ١٥٠.
(١٠١) البخاري: الإيمان ٤؛ الرّقاق ٢٦؛ أبوداود: الجهاد ٢؛ ابن ماجة: الفتن ٣٦/ ٢٩٣٤.
(١٠٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٦، ص.: ٥٠٦-٥٠٧؛ البخاري: المغازي ٧٩؛ مسلم: التّوبة ٥٣.
(١٠٣) ابن العربي: أحكام القرآن، ج.: ١، ص.: ٦٠٩؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٧، ص.: ٦٥-٧٢.
(١٠٤) ابن العربي، أحكام القرآن، ج.: ١، ص.: ٦١٠-٦١٢؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٧، ص.: ٦٩-٧٠.

٣- أهمّيّة الهجرة اجتماعيًّا وثقافيًّا ودينيًّا:

قال اللهّ تعالى في موضوع المهاجرين والأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [الحشر: ٩].

إنّ النّبيّ ﷺ حينما جاء إلى المدينة وقّع معاهدة مع المقيمين بها على المعاونة والتّضامن معاً [١٠٥]. وهذه المعاهدة تفيد أنّ الإسلام يهتمّ كثيرًا بالعلاقات مع الآخرين في الصلح والوحدة والمعاملات الحسنة. والنّبيّ ﷺ قد أسّس الأخوّة بين المهاجرين من مكّة إلى المدينة وأهل المدينة الأنصارِ المُعْطين نِصْفَ أموالهم للمهاجرين[١٠٦]. وهذه أخوّة ما شاهدها التّاريخ أبدًا إلى الآن. وكذلك بُنِيت الجماعة الإسلاميّة على أساس الأخوّة والتّضامن والمعاونة.

والقرطبيّ قد صرّح بهذا في تفسير سورة الممتحنة- الآية العاشرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾. لما أمر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين بلاد الشّرك إلى بلاد الإسلام. وكان التّناكح من أوكد أسباب الموالاة، فبيّن أحكام مهاجرة النّساء. قال ابن عباس: جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية، على أن: من أتاه من أهل مكة رده إليهم، فجاءت سعيدة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب، والنّبي ﷺ بالحديبية بعد، فأقبل زوجها وكان كافرًا فقال: يا محمد، اردُدْ عليّ امرأتي فإنّك شرطت ذلك! وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يردها. وقيل: هربت من زوجها عمروبن العاص ومعها أخواها عمارة والوليد، فردّ رسول الله ﷺ أخويها وحبسها، فقالوا للنّبي ﷺ، ردّها علينا للشّرط، فقال ﷺ: «**كان الشّرط في الرجال لا في النساء**». فأنزل الله تعالى هذه الآية [١٠٧].

والهجرة تؤثّر على المجتمع تأثيرًا مهمًّا من ناحية اجتماعية واقتصادية وسياسية وأخلاقية وثقافية. وإنّ البلدان المُهاجَر إليها قد شاهدت هذا الوضع صراحةً. ومن أوّل ما شاهدت هذا الشّأن الكبير من هذه البلدان تركيا. وفي يومنا الحاضر تتزايد الهجرات خاصّةً من سوريا والعراق إلى تركيا بسبب الأوضاع السّيّئة للحرب

(١٠٥) ابن هشام، السّيرة النّبويّة، ج.: ٢، ص.: ١٤٣-١٤٤.

(١٠٦) ابن هشام: السّيرة النّبويّة، ج.: ٢، ص.: ١٤٦؛ ابن سعد: الطّبقات الكبرى، ج.: ١، ص.: ٢٠٤-٢٠٥.

(١٠٧) القرطبيّ: الجامع لأحكام القرآن، ج.: ٢٠، ص.: ٤١٠-٤١١.

وأمثالها. والبلدان المحتلّة من قِبَلِ المُستعمرين (أيْ مفسدي الحرث والنّسل) المسيطرين على كلّ ما هو موجود في البلدان والمستولين على الثروات تحت الأرض وما فوقها، قد قُتل أهلها ونهبوا ودمّرت بيوتهم وأخرجوا من ديارهم وهجّروا إلى البلدن الأُخْرى. وبرأينا حقّ لهؤلاء المهاجرين أن يهاجروا إلى البلدان المجاورة، لأنّ لهم علاقات ومشتركات كثيرة وعميقة جدًّا من جهة الدِّين والأخلاق والثّقافة والتّاريح والجغرافيا مع أهل تلك البلدان، رغم وجود الاختلاف القليل في العادات وأمثالها. وهذا هوالأصحّ ممّا يجب أن يفعل حسب الأوضاع التي واجهوها. ونجد هنا أن الوضع يشبه وضع المسلمين في عهد رسول الله ﷺ، فقد هاجروا (مرّتَيْن) أوّلًا إلى الحبشة وثانيًا إلى المدينة. وإذا لاحظنا وتدبّرنا أحوال وأمور إخوتنا السّوريّين مع هذه المعلومات التّاريخيّة فنجد أنّها تشبهها كثيرًا وتماثلها. وإنّ السّوريّين الّذين تركوا بلادهم اضطراريًّا من الممكن أن نطلق عليهم صفة: المهاجرين ومن جانب آخر يجب علينا أن نعامل إخوتنا السّوريّين معاملة الأنصار للمهاجرين.

النّتيجة:

كلمة الهجرة تحتوي مَعَاني كثيرةً. والهجرة في الإسلام تكون للهّ ولرسوله. ووقوعها يكون بسبب الأذى والضّغط والشّدّة والتّعذيب ولعدم إمكان تبليغ دِّين الإسلام. وقد تكون واجبة أو مستحبّة أو مباحة؛ أي على حسب أحوال المسلمين. وإذا لا يوجد إمكانٌ لإظهار الدِّين وتحقيق أمان النّفس والمال في بلد الكفر فالهجرة من هناك إلى بلد الإسلام واجبة؛ وإذا أمكن إظهار واجبات الدِّين فإقامته هناك مستحبّة؛ وإن كان مريضًا أوعاجزًا ومن أمثال ذلك، وإن منعه الكفّار من الهجرة جبرًا فبقاؤه هناك لا واجب ولا مستحبّ. ومع هذا مَنْ لا يهاجر ويطلب المعاونة للدِّين فتجب المعاونة له على الآخرين وإلّا قالمسْؤوليّة الدِّينيّة تكون على الّذين يستطيعون المعاونة له.

الهجرة من أَهَمّ الأحداث في تاريخ الإسلام، لأنّها وسيلة نجاة المسلمين من أيّام الضّيقة وواسطة الصداقة والأخوّة مع الأنصار فعاشوا معًا بروح الوحدة والمحبّة. ويرئاسة النّبي ﷺ قد قُبِلوا عند الآخَرين. والنّبي ﷺ قد عقد المعاهدات مع الشّعوب الموجودين في المدينة وحولها وكذلك جعل الإدارة في يد المسلمين.

وفي يومنا هذا تبيّن لنا أوضاع الملتجئين من مختلف البلدان وخاصّةً من سوريا: أنّ الهجرة تشكّل نموذجًا مهمًّا، فهي لمْ تنتهِ وباقية مستمرة. وهؤلاء المهاجرون السّوريّون واجهوا عدم الأمان في النّفس والمال وطغيان السلطة السّياسيّة والتّعذيب الشّديد فقد احتلّ وطنهم وتركوه بسبب النّفاق والفساد والفتنة فانسكبت دمُاؤهم وانتشرت الخبائث وعمّت الأخلاق السّيّئة البلاد. وقد تركوا بلادهم وأقرباءهم وأموالهم بسبب عدم القدرة على إظهار واجبات الدين خاصّة. وبناءً على ذلك أمكن لهم أن يكونوا المهاجرين. ورأينا بعض النّاس من السّوريّين وبعض المواطنين في تركيا لا يشعرون بأهمّيّة هذا الأمر ولا بأهمية الهجرة. وهذا قد أدّى إلى مشكلات بين الشّعبين. فيجب على دولة (تركيا) وحكومتها أن تمنع هذا وتدفع الضّرر على كلّ حال، وهذا لا يمكن إلّا

ببنية جِدّيّة حقيقيّة أمينة مكوّنة من الشّكل الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والثّقافي والقانوني، بشكل بعيد عن أسلوب التّعصّب وعداوة الأجانب، فتحضن النّاس جميعًا بلسان صدوق وإنسانيّ.

إنّ دور المهاجرين والأنصار في الهجرة في زمن النّبي ﷺ أمر مهمّ يجب أن نعلمه ونذكره. والملتجئون السّوريّون لهم معنا مشتركات كثيرة من جهة الدِّين والأخلاق والثّقافة والتّاريخ والجغرافيا مع الاختلافات القليلة من ناحية العرف والعادات، وهذا قد يتسبّب بأمور واضطرابات قد لا نراها صحيحة. وهذه المشكلات وأمثالها لا تُحلّ إلّا بوعي الأمّة الإسلاميّة الّتي لها اعتقاد واحد وجغرافيّتها الواحدة وثقافتها تتشابه كثيراً[١٠٨]. أي كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال النّبي ﷺ: «**المُسْلمُ أخوالمسلمِ، لا يَظْلِمُه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه: كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**» متفق عليه [١٠٩]. «**مَثَلُ المؤمنين في تَوادّهم وتَراحمهم وتَعاطُفهم مَثَلُ الجَسَدِ، إذا اشْتكَى مِنْه عُضْو تَداعى له سائر الجسد بالسّهَر والحُمَّى**» [١١٠]. والمجتمع الإسلاميّ بهذه النّصوص وأمثالها ينجح في مواجهة المشكلات الموجودة في عصرنا الحاضر كما مرّ في تاريخ الأمّة من قبل، ولا يفوز ولا يصلح إلّا بها.

نحن المسلمين كلٌّ منّا له قيمة في إطاره ولكن لا يكون لوجودنا معنى إلّا بوحدة الأمّة الإسلامية.

جدول استطلاعات: سبب وغاية هجرة السّوريّين الموجودين في غازي عنتاب من بلادهم إلى البلدان الأخرى. الدّرجة الأولى أقلّ درجة والخامسة أكبر درجة والدّرجات الموجودة بينهما أهمّيّتها حسب موضعها .

العدد	أسباب الهجرة وغايتها	درجة واحدة	درجتان	ثلاث درجات	أربع درجات	خمس درجات	النسبة المئوية
1	رفض العقائد الدينية	٪13.72	٪1.96	٪9.80	٪5.88	٪23.52	٪54.90
2	فقدان أمان النفس والمال	٪0	٪1.96	٪1.96	٪5.88	٪88.23	٪98.03
3	ضغط السيطرة السياسية	٪0	٪1.96	٪9.80	٪5.88	٪80.39	٪98.03
4	التعصب المذهبي وشدّته	٪3.92	٪5.88	٪7.84	٪11.76	٪45.09	٪74.50

(١٠٨) آل عمران: ٣/ ١١٠.

(١٠٩) البخاري: المظالم ٣؛ مسلم: البرّ ٥٨؛ أبوداود: الأدب ٤٥/ ٤٨٩٣؛ التّرمذي: الحدود ٣/ ١٤٨٧.

(١١٠) مسلم: البرّ ٦٦/ ٢٥٨٦؛ أحمد بن حنبل: المسند، ج.: ٧، ١٨٨٩٠، ١٨٩٣٠.

5	انتشار النفاق والفساد والفتنة	٪3.92	٪5.88	٪5.88	٪3.92	٪62.74	٪82.35
6	وجود الأخلاق السيئة	٪13.72	٪5.88	٪5.88	٪7.84	٪37.25	٪70.58
7	ارتكاب العقوبة (الجريمة)	٪5.88	٪1.96	٪9.80	٪9.80	٪19.60	٪47.05
8	التربية والتعليم	٪7.84	٪3.92	٪9.80	٪7.84	٪35.29	٪64.70
9	التجارة	٪11.76	٪3.92	٪1.96	1.96	٪11.76	٪31.37
10	الأقرباء والزواج	٪15.68	٪3.92	٪5.88	٪3.92	٪7.84	٪37.25
المجموع المتوسط العامّ		٪7.64	٪3.72	٪6.86	٪6.47	٪41.17	٪65.88

النسب الموجودة فى القائمة نتيجة استطلاع آراء ٥١ شخصًا سوريًّا بعشرة أسئلة، والدّرجة الأولى تفيد قلّة الأهمّية والدّرجة الخامسة تفيد كثرة الأهمّية، والدّرجات الثّانية والثّالثة والرّابعة على حسب أهميتها. كما رأينا فى القائمة مادّة فقدان أمان النفس والمال ومادّة ضغط السيطرة السياسية تكونان فى المقام الأوّل بـ ٠٣ ,٩٨٪ درجة.

المصادر العربيّة:

- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.
- أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٨.
- البخاري، أبو عبد اللّه بن إسماعيل (٢٥٦-١٩٤ هـ.): صحيح البخاري، دار ابن كثير، الطّبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (٣٩٨ هـ.): الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩.
- الجوزي، أبو الفرج جمال الدّين علي بن محمد (٥٩٧-٥٠٨ هـ.): زاد المسير فى علم التّفسير، المكتبة الإسلامية، الطّبعة الثّالثة، بيروت، ١٩٨٤.
- الجوزيّة، ابن القيّم (٧٥١-٦٩١هـ): المّسألة التّبوكيّة (زاد المهاجر إلى ربّه)، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد.
- الجرجاني، عبد القاهر (٤٧١هـ.): درج الدّرر في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان-محمد أديب شكور، دار الفكر، الطّبعة الأولى، عمّان، ٢٠٠٩.
- الجرجاني، علي بن محمد السّيّد الشّريف (. ٨١٦ هـ.): التّعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مادّة "الهجرة"، ص.: ٢١٤.
- الدّامَغاني، الحسين بن محمد: قاموس القرآن، تحقيق: عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين، الطّبعة الرّابعة، بيروت، ١٩٨٣.
- الدّارمي، أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرّحمن بن الفضل بن بهرام (٢٥٥-١٨١ ه.): سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني، دار المغني، الطّبعة الأولى، الرّياض، ٢٠٠٠.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السّجستاني (٢٧٥-٢٠٣ ه.): سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد كامل قارابلّي، دار الرّسالة العالميّة، الطّبعة الخاصّة، دمشق، ٢٠٠٩.
- الأصفهاني، الرّاغب (و. ٤٢٥ ه.): المفردات، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، الطّبعة الرّابعة، دمشق، ٢٠٠٩.
- فيروزآبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الثّامنة، بيروت، ٢٠٠٥.
- الجمل، حسن عزّ الدّين: معجم وتفسير لغويّ لكلمات القرآن، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، الطّبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٨.
- ابن عبّاد، إسماعيل (٣٨٥-٣٢٦ ه.): المحيط في اللّغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، الطّبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد اللهّ (٥٤٣-٤٦٨ هـ): أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الثّالثة، بيروت،٢٠٠٣.
- ابن فارس (و. ٣٩٥ ه.): مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر.
- ابن هشام (و. ٢١٣ ه.): السّيرة النّبويّة، تحقيق: عمر عبد السّلام التّدمري، دار الكتاب العربي، الطّبعة الثّالثة، بيروت، ١٩٩٠.
- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق (و. ١٥١ ه.): السّير والمغازي، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، الطّبعة الأولى، ١٩٧٨.
- ابن قدامة، موفّق الدّين أبي محمد عبد اللهّ بن أحمد بن محمد بن قدامة (٦٢٠-٥٤١ ه.): المغني، تحقيق: عبد اللهّ بن عبد المحسن التّركي-عبد الفتّاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، الطّبعة الثّالثة، الرّياض، ١٩٩٧.
- ابن ماجة، أبو عبد اللهّ محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥-٢٠٧ هـ): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزّاري (و٢٣٠ هـ): الطّبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، الطّبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١.
- القرطبي، أبو عبد اللهّ محمد بن أحمد بن أبي بكر (٦٧١ ه.): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد اللهّ بن عبد المحسن التّركي، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٦.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب (٤٥٠-٣٦٤ ه.): النّكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السّيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد اللهّ محمود شحّاطة، مؤسّسة التّاريخ العربي، الطّبعة الثّانية، بيروت، ٢٠٠٢.
- مصطفى مسلم وآخرون: التّفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشّارقة، الإمارات العربيّة المتّحدة، الطّبعة الولى، ٢٠١٠.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج (٢٦١-٢٠٦ هـ): صحيح مسلم، تحقيق: بيت الأفكار الدّوليّة، الرّياض، ١٩٩٨.
- النّسائي، أبو عبد الرّحمن أحمد بن شعيب (و٣٠٣ هـ): السّنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠١.

- الرّازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦.
- الثّعلبي، أبو إسحاق أحمد (٤٢٧ هـ.): الكشف والبيان، تحقيق: خالد بن علي الغامدي، دار الفكر، الطّبعة الولى، جدّة، ٢٠١٥.
- الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد اللهّ بن عبد المحسن التّركي، دار هجر، الطّبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١.
- التّرمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩ هـ.): سنن التّرمذي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد كامل قارابلّي، دار الرّسالة العالميّة، الطّبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٩.
- الزّمخشري، أبو القاسم جار اللهّ محمد بن عمر بن أحمد (٥٣٨ هـ.): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٧.
- الزّبيدي، محمد مرتضى الحسين: تاج العروس، تحقيق: عبد الحليم الطّحاوي، الكويت، ١٩٧٤.

الهجرة السورية إلى تركية؛ أسباب ونتائج وآمال*

د. محمد عمر النجار

جامعة غازي عنتاب – كلية الإلهيات؛ قسم اللغة العربية: drmonajjar@gmail.com

الخلاصة:

الهجرة بمعنى ترك بلد الولادة وإقامةِ الأهل والعشيرة ظاهرة قديمة جديدة؛ لها أسبابها المفضية إليها، سواء أكانت اختيارية أم قسرية، ولها نتائج سلبية وإيجابية على البلد المهاجَر منه وإليه، والأبرز في السنوات الأخيرة هجرة السوريين داخل البلاد وخارجها، وتحديداً إلى تركية فنسبتهم أضعاف ما في البلدان الأوروبية من مهاجرين سوريين.

ومن تركية اختار معظم المهاجرين جنوبها المحاذي لبلدهم ففيه جلُّ السوريين، وآثر قسم ليس بالقليل الإقامة في إسطنبول وغيرها من المدن التركية، ثم إن سبب هجرة السوريين إلى تركية المجاورة ترجع لعوامل سياسية ودينية وجغرافية.

وهذا البحث يتناول تعريف الهجرة بإيجاز، وسبب الكتابة فيها، وواقع المهاجرين السوريين في تركية وهجرتهم إليها من حيث الأسباب الخاصة والعامة والنتائج الإيجابية والسلبية على الأتراك وتركية والسوريين وبلدهم.

وتعرضتُ لما يتخوفُ منه السوريون في تركية وما يتمنونه، ثم ذكرت الحلول والبدائل، وأنهيت البحث بالتوصيات –وهي أشبه بالأمنيات – والخاتمة وفيها خلاصة البحث.

الكلمات المفاتيح: هجرة، مهاجرون، أنصار. سوريون، أتراك، سورية، تركية

Suriye'den Türkiye'ye Göç: Nedenler, Sonuçlar ve Umutlar

Özet

Göç, kişinin doğduğu yeri, eş, dost ve akrabalarının yaşadığı diyarı terk etmek anlamında çok eski bir olgudur. Kişiyi buna iten zorunlu veya ihtiyarî birçok sebep vardır. Göçün, hem göçülen yere hem de göç yapılan yere olumlu veya olumsuz neticeleri olur.

Son yılların göze en çok çarpan göç hareketi Suriye'de yaşanmıştır. Suriyeliler gerek ülke içinde ve gerekse ülkeleri dışına göç yapmak zorunda kalmışlardır. Bu hususta özellikle de Türkiye tercih edilmiştir. Nitekim Suriye'den Türkiye'ye yapılan göç oranı Avrupa'ya yapılan göçe oranla çok daha fazladır.

Türkiye'ye göç eden Suriyelilerin çoğunun Suriye'ye yakınlığı dolayısıyla ülkenin güneyini tercih ettiği görülmektedir. Yine azımsanmayacak kadar kişinin de İstanbul ve

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Suriye'den Türkiye'ye Göç: Nedenler, Sonuçlar ve Umutlar" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (محمد عمر النجار، الهجرة السورية إلى تركية؛ أسباب ونتائج وآمال، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ١٨٥-١٩٨). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

diğer şehirlere yöneldiği anlaşılmaktadır. Suriyelilerin göç yeri olarak özellikle Türkiye'yi tercih etmelerinde siyasi, dini ve coğrafi sebepler gözlemlenebilir.

Bu çalışmada kısaca göçün tanımı, bu konuda araştırma yapmanın gerekliliği, Suriyelilerin Türkiye'ye özel veya genel anlamda göç etme sebepleri ve göçün Türkiye'ye ve Suriye'ye yaptığı olumlu-olumsuz katkılar incelenecektir. Çalışmada Suriyelilerin Türkiye'deki çekinceleri ve Türkiye'den beklentileri de ele alınacak ve bu konuda çeşitli öneriler getirilecektir. Sonuç kısmında çalışmanın özeti yer almaktadır.

Anahtar Kelimeler: Göç, Mülteci, Yardımlaşma, Suriyeliler, Türkler, Suriye, Türkiye

The Immigration from Syria to Turkey: Causes, Consequences and Hopes

Abstract

Immigration in the sense to leave the country of birth and the establishment of family and clan old new phenomenon; it causes leading up to it, whether voluntary or forced, and her Silah and positive results on the country's immigrant to and from it, and the most prominent in recent years, the migration of Syrians inside and outside the country, and specifically to the Turkish they account fold in European countries of Syrian immigrants.

It is most Turkish immigrants chose south adjacent to their country is subject to the bulk of the Syrians, and the impact of the Department no small residence in Istanbul and other Turkish cities, and that the cause of the Syrian exodus to neighboring Turkey due political, religious and geographic factors.

This research deals with the definition of immigration briefly, and the reason for writing it, and the reality of the Syrians in Turkish immigrants and their migration to it in terms of private and public causes positive and negative results on the Turks and the Turkish and the Syrians and their country.

And it came to fear him Syrians in Turkish and what they wish for, then stated solutions and alternatives, and finished research recommendations -the like Balomnaat - and Conclusion and summary of the research.

Keywords: immigration, immigrants, supporters. Syrian, Turkish

تمهيد:

هـ ج ر: (الهجر) ضد الوصل وبابه نصر وهجره يهجره هجراً وهجراناً: صرمه، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهجرة و(هجراناً) أيضاً، و(التهاجر) التقاطع [1].

(١) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، باب الهاء، مادة هجر،.٥/ ٢٥٢. ومختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا الطبعة: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م صـ ٣٢٤.

وقال ابن فارس: الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه[٢].

وأما في الاصطلاح: فالهجرة ترك مكان إلى مكان آخر لسببٍ ما، وهي: إما حسية وإما معنوية، وقد تجتمعان معاً، وإما دائمة وإما مؤقتة. قال ابن فارس: «هاجر القوم من دار إلى دار: تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة» [٣]. وهذه حسية معنوية دائمة، وأما هجرتهم إلى الحبشة فهي حسية معنوية مؤقتة. وقال ابن منظور: «... وفي الحديث: لا هجرة بعد ثلاث؛ يريد به الهجر ضد الوصل، يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق، فإنه عليه الصلاة والسلام، لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً، وقد هجر نساءه شهراً» [٤]. والهجرة المعنوية الدائمة تكون مع أهل الأهواء والبدع إذا لم يقلعوا، والمؤقتة إذا تابوا ورجعوا، وبين النبي ﷺ حقيقة الهجرة المستمرة والباقية حتى بعد فتح مكة فقال: «**والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**» [٥]، وبهذا يزول ما يوهم التعارض مع حديثه ﷺ: «**لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**» [٦].

سبب كتابة المقال:

هجرة السوريين أو تهجيرهم – مع صحة التعبير- من أجلى مظاهر الهجرة وأسوئها في القرن الحادي والعشرين وهي تؤرق كل ذي قلب حي أو فكر نيِّر لما لها من تأثيرات ومخاطر رهيبة على مستقبل البلد بكامله في الداخل والخارج، والحديث عنها ذو شجون، فأزمة السوريين داخل بلادهم وخارجها غدت الأزمة الكبرى للمهجرين في العالم إذ بلغت حسب بعض المراقبين أكثر من (١٣) مليوناً؛ يعيش نصفهم داخل البلاد، والنصف الآخر خارج البلاد.

ففي تركية وحدها أكثر من الثلاثة ملايين؛ معظمهم في الجنوب التركي المحاذي لسورية وتحديداً في

(٢) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) مقاييس اللغة: تحـــ: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ٦/ ٣٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن منظور، باب الهاء، مادة هجر.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم ٦٥١٥ ج ١١/ ٦٦ والبخاري كتاب الإيمان باب الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ برقم ١٠ كلاهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦) أحمد: المسنده برقم ١٩٩١ والبخاري باب لا هجرة بعد الفتح برقم ٣٠٧٧ ومسلم برقم ١٣٥٣ كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ولايات هاتاي وأورفة وغازي عينتاب وكلس. ففيها أكثر من مليون مهاجر سوري حسب الإحصاءات الأممية، ويليها مدينة إسطنبول حيث صرح واليها أن في إسطنبول وحدها ما يقارب ٥٠٠ ألف مواطن من الأخوة السوريين، منهم ٤٠٠ ألف مسجل بشكل قانوني (٧)، وما تزال أعداد المهاجرين من سورية مستمرة باضطراد.

وللعلم لم تكن هجرة السوريين إلى تركية هجرة اختيارية، بل هي تهجير أي هجرة قسرية فرضتها الظروف القاهرة التي تمر بها البلاد، ولسان حالهم يردد دائماً:

وأرحل عنك يا وطني ... وفاض الدمع في سفري
انا ما اخترت هجرتنا ... ولكن غربتي قدري
وتبكي الأرض تسألني ... أترحل قاصداً غيري؟
أجاب الحـــزن في قلبي ... ســـأرحل تاركاً قلبي

ولذا هم متطلعون دائماً للعودة إلى الشام الشريف.

وسأقتصر في الحديث عن هجرة السوريين إلى تركية الجارة الشمالية لسورية: أسبابها، إيجابياتها وسلبياتها، الحلول المقترحة والبدائل، ثم الخاتمة.

أسباب الهجرة السورية:

لكل هجرة في القديم أو الحديث أسباب ودواع بدءاً من هجرة خليل الرحمن إبراهيم وحتى يومنا، وهذه الأسباب إما عامة وإما خاصة.

أسباب الهجرة العامة.

هناك أسباب عامة لهجرة السوريين تشمل تركية وغيرها وهي الدوافع الرئيسة لكل مهاجر أبرزها ثلاثة.

أولها: فقدان الأمل في أي حل سياسي قريب يحقق مطالب الشعب السوري، وتصاعدِ أعمال العنف عن طريقين: طريق السلطة وطريق الجماعات المتشددة اللتين لا تحترمان قوى المجتمع المنادي بالحرية. ففي ظل هذه التوترات التي دمرت معظم مرافق الحياة في سورية من بنى تحتية وغيرها لم تعد الحياة ممكنة، فصارت الهجرة مطلباً للسوريين.

ثانياً: رفض معظم المهاجرين وأسرهم الحرب القائمة في بلادهم أو الاشتراك فيها، وخوفهم من نتائج

(٧) كما جاء في موقع ترك برس نقلاً عن المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، ينظر موقع: http://www.stunl.com/.

هذا القرار، كالتجنيد الإجباري هنا أو هناك. فهم أرادوها ثورية ياسمينة، وانتقالاً للسلطة سلمياً، ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي أغصان الزيتون.

ثالثاً: الهرب من الموت والبحث عن ظروف حياة معيشية أفضل وتعليمية فقدت أو تضاءلت في بلدهم ولاسيما مع تلك التسهيلات السريعة والمباشرة التي منحت لهم، وتفضيلهم على غيرهم من طالبي اللجوء، وبخاصة في ألمانية وكندا، تعويضاً عن موقف أوربي سلبي عاجز تجاه المحنة السورية، أو استجابة لضغط شعبي أخلاقي أظهرته الحشود الأهلية المرحبة باللاجئين السوريين في غير دولة أوربية ولا سيما كندا! إلا أن هذا الترحيب الغريب بهجرة السوريين إلى أوربة غير المدروس ترتب عليه أن غدت أعداد منهم طعاماً لأسماك البحر، ومن استطاع منهم الوصول سلبت أموالهم ودماؤهم وفلذات أكبادهم [٨].

وهناك من أدرك سبب الترحيب الغربي بنوعية هؤلاء المهاجرين فقد سمعت بعض الأكاديميين الأتراك يعلل ترحيب منح أوربة تسهيلات للسوريين الأكاديميين بالخطة الخبيثة غرضها سرقة الكفاءات العلمية والفنية السورية [٩].

أ- أسباب الهجرة الخاصة:

لما اندلعت التظاهرات المطالبة بالحرية في سورية وقوبلت بالقمع والعنف وسدت الطرق أمام السِّفارة التركية للملمة الأمر قبل اتساع الخرق على الراقع - إن صح التعبير - فتحت تركية أبوابها أمام المهاجرين السوريين لأسباب دينية وسياسية وإقليمية وإنسانية لا تخفى على أحد، فلهذا نالت تركية القسم الأكبر من المهاجرين، ولا شك أن الشعب التركي الشقيق يعلم علم اليقين ما تعنيه هجرة إخوة لهم في الدين والعرق والإقليم والعمق الجغرافي، ويعلم الشعب التركي كذلك بكل مكوناته العرقية والسياسية أيضاً سبب اختيار السوريين بلدهم مهجراً، ومن هذه الأسباب الخاصة بتركية.

- اشتداد وطيس الحرب وشدة القصف الذي تعرض له الشمال السوري ولا سيما مدينة جسر الشغور في محافظة إدلب في النصف الأول من عام ٢٠١٢م، وكلما اشتد القصف على مدينة في الشمال أو الجزيرة هرب الناس خوفاً على حياتهم إلى الجانب التركي، وبلغت ذروة المهاجرين عندما اندلعت المعارك في حلب، وفرض تنظيم الدولة نفسه في الجزيرة السورية والريف الشمالي الشرقي.
- الكثافة السكانية في الشمال السوري ولا سيما حلب.
- الترحيب الرسمي والشعبي بالمهاجرين، وتبني مطالبهم المشروعة بلا تفرقة عرقية أو دينية أو مذهبية.

(٨) لم تُتخَذ تركية مراً وحيداً لأوربة بل هناك هجرات من جنوب البحر الأبيض المتوسط إلى شماله.

(٩) نائب رئيس جامعة غازي عنتاب في لقاء مع الأكاديميين السوريين في الجامعة في تشرين الثاني ٢٠١٦.

وأخيراً سهولة الوصول إلى تركية بل تسهيله من الجانب التركي في بداية الثورة لأسباب إنسانية، ثم قرب تركية من أوربة.

٢- آثار الهجرة «الإيجابيات والسلبيات»:

من حسن تقدير الله - تعالى- للمهاجرين السوريين في مصابهم الجلل -كما يقول بعضهم - أن كانت الحكومة ذات تربية دينية ترى المهاجرين إليها إخوة وشركاء، وظهرت ردة فعل السوريين، ولقد فرح السوريون فرحاً ما فرح به الأتراك أنفسهم، عندما انتهت الانتخابات التركية بما يحقق رغبة غالبية الشعب التركي. ليس من أجل أية خدمات إضافية ستقدم إليهم، أو قوانين ستحسن أوضاع السوريين ومعيشتهم، وتؤمن مستقبلهم وحقوق أدميتهم وأخوتهم. بل كانوا يريدون الاستقرار لتركية من أجل البقاء في بلدهم الثاني آمنين مطمئنين، ريثما تنتهي هذه الحقبة المظلمة من تاريخ بلدهم، ولا يخيب عن ذاكرتهم تلك المعاملة السيئة المتعمدة في بلدان أخرى، وتجلى هذا الحب أكثر أثناء الانقلاب حين هرُعِ السوريون إلى طرق باب الله تعالى بالدعاء والابتهال أن يحفظ الله تركية من مصير كمصير سورية ومصر واليمن وليبية وغيرها.

وعلى كل حال كانت لهجرة السوريين إلى تركية آثار انعكست على المهاجرين والمهاجَر إليهم إيجاباً وسلباً، مع أن السلبية قد تكون إيجابية من وجه آخر أو عند آخرين. فمنها:

١- ازدهار الحركة الاقتصادية والاستثمارية:

فتحت هجرة السوريين علماءَ وخبراءَ ورؤوسَ أموالٍ أبوابَ الاقتصاد التركي، فرجال الأعمال السوريون في الشمال نقلوا استثماراتهم إلى تركية وبالأخص إلى غازي عينتاب ففي إحصائية نشرت مؤخراً أفادت أن السوريين احتلوا المرتبة الأولى بين أصحاب الاستثمارات الأجنبية في تركية، بتأسيسهم ما يقارب الـ ٤ آلاف و٥٠٠ شركة، ورفدهم للسوق التركية بما يقارب الـ ٦٦٦ مليون ليرة تركية، منذ بدء الأزمة السورية التي دفعت باتجاه تعزيز النشاط التجاري والاقتصادي وتصاعد ملحوظ للاستثمارات السورية في تركية، والتي جلبت معها رؤوس أموال أجنبية، خاصة في العامين الماضيين.... وتشير البيانات الى أن الشركات السورية تتركز بشكل أساسي في مدينة اسطنبول، تتبعها في الكثافة محافظة غازي عنتاب ومرسين وهاتاي القريبة من الحدود[١٠]. وتعود هذه الحركة الاقتصادية للمعاملة المعنوية الجيدة من الأتراك حكومة وشعباً والتي لا ينكرها السوريون أبداً.

وهذه الإيجابية لها سلبيات منها أنها زاحمت اليد العاملة التركية، وقللت فرص عملها بل رغب كثيرٌ من أرباب العمل والشركات التركية في تشغيل السوريين لأسباب: أهمها: منها أن السوري يعمل دون تأمين من رب العمل، ومنها رخص اليد العاملة السورية مقابل التركية؛ فحين لا يقبل العامل التركي أقل من ١٠٠ ل.ت في اليوم بات السوري يرضى بنصفها تقريباً بدافع الحاجة للعمل.

(١٠) نقلاً عن اتحاد الغرف والبورصات التركية ينظر موقع: http://www.dailysabah.com/وwww.turkpress.co/node.

وعلى الرغم من أنّ القانون التّركيّ لا يسمح للأجانب الذين لا يملكون وثائق رسميّة بالعمل، إلا أنّ الحكومة التّركيّة تغضّ النّظر عن هذه النّقطة بشأن السّوريّين، ولم تطبّق أيّ إجراء حتّى الآن بحقّ أيّ عامل سوريّ غير نظاميّ، أو من يقوم بتشغيله من أصحاب العمل الأتراك ومع ذلك تسعى الحكومة لجسر هذه الـهُوَّة بعدة قوانين وقرارات تضمن حق العامل السوري ومساواته مع العامل التركي، والحكومة الحالية أدرى الناس بما تعنيه الهجرة وتتجاوب مع أحاسيس المهاجرين، لأن الأتراك في فترة زمانيةٍ ما هاجروا إلى أوربة ولاسيما ألمانية، وأثر ذلك على الشعب الألماني فتذمر بعض الألمان؛ لأن الأتراك أخذوا فرص عملهم كما هو حال السوريين الآن في تركية، وفي تركية أصوات تطالب الحكومة بصرف المبالغ الكثيرة على الأتراك بدل صرفها على السوريين إلا أن دعواتهم لم تجد آذاناً مصغية، وكما الأتراك الآن في ألمانية أكبر جالية فيها، ولا يُستغنى عنهم لرفدهم الاقتصاد الألماني بشتى المجالات، كذلك السوريون في تركية لهم أثر فعَّال في الاقتصاد التركي إنْ باليد العاملة وإنْ برجال الاقتصاد والمال، ويعلل بعض السوريين قائلاً: لئن كان الأتراك بمقام الأنصار فإننا بإذن الله – تعالى- سنقوم بفعل المهاجرين إسداء للجميل واعترافاً بالفضل بكل وسعنا.

٢- استفادة الأتراك من العقول العلمية المهاجرة:

انتبهت تركية إلى تلك العقول وأنها لا تقل أهمية عن أصحاب رؤوس الأموال بل هم أولى برعايتها، وهي أحق بهم من أوربة فسعت إلى احتضانهم - وحسناً فعلت – ففتحت لهم جامعاتها وكلياتها المختلفة لإفادة شعبها ووافديها، ومد الجسور مع الأمة العربية والإسلامية، ثم تبنت في خطاباتها الأخيرة منح الجنسية التركية لأصحاب الكفاءات والعقول قاطعة الطريق على المتاجرين الأوربيين، ونتج عن تلك القرارات والرؤى فتح كليات عديدة باللغة العربية في عدة جامعات تركية منها جامعة غازي عينتاب، ولعل الأبرز هو ما تقوم به جامعة ماردين، ففي هذا العام فُتِحت أربع كليات باللغة العربية حصراً بقسط رمزي، وهذا بدوره اقتضى استيعاب عدد كبير من الطلبة العرب وغيرهم، وكذا الإفادة من أكاديميين سوريين جدد، وهذه الإيجابية بالنسبة للسوريين في تركية - طلاباً ومعلمين - لا شك في انعكاساتها السلبية على بلدهم فهوى مستوى التعليم على كل المستويات في عموم سورية الجريحة.

٣- ارتفاع تكاليف المعيشة:

أدى تدفق السوريين إلى الجنوب التركي إلى ارتفاع تكاليف المعيشة على الأتراك وعلى المهاجرين جميعاً، ولاسيما سوق العقارات فقد تضاعف أكثر من ضعف، وهذا أمر لا ينكره الأتراك ولا السوريون فالبيت الذي كان يؤجر بـ (٥٠٠) ليرة أصبح بـ (١٠٠٠) وهكذا دواليك، وهذا الارتفاع مرهق للمستأجر سواء أكان تركياً أم لا. والسوريون يحسون بإحساس إخوانهم الترك المستأجرين، ولكن ما باليد حيلة فكلهم في الهم سواء، والتركي يقول: لولا السوريون لما ارتفع ثمن الإيجار، والسوريون يقولون: لا نتحمل المسؤولية كاملة. فالأمر يرجع إلى مطامع المستغلين من سماسرة ومالكين، فهذا الارتفاع يهيج قلوب المُؤْجِرِيْن، ويسوء المستأجرين جميعاً

فمصائب قوم عند قوم فوائد. وأدى ارتفاع تكاليف المعيشة إلى ابتعاد الطلاب عن مدارسهم وجامعتهم. لأن عمل معيل واحد للأسرة لا يكفيها، وبدوره انعكس سلباً على نسبة المتعلمين. يقول بعض الآباء عندي خمس بنات وكلهن في سن الدراسة الابتدائية والمتوسطة، وأحتاج إلى أجرة باص المدرسة شهرياً قرابة (٥٠٠) ليرة تركية، وأنا أعمل في إحدى الورشات وراتبي لا يتجاوز ١٢٠٠ ليرة شهرياً، فكيف أعولهن؟ [١١]. ولا شك أن الشعب التركي خفف من تكاليف المعيشة فمد يد العون إلى السوريين في البداية إلا أن الحمل أصبح فيما بعد كبيراً تعجز عنه دول، فقد حدثني أحد المهاجرين أن هناك مجموعة من الشباب الترك المتطوع كانت تأتي إلى بيت السوري بكل ما يلزمه من أثاث ولوازم ومؤونة تكفيه لبضعة أشهر، وغير هذا كثير. وأدى ارتفاع تكاليف المعيشة إلى ردود فعل سورية أسجلها كما سمعتها.

يقول بعض المهاجرين المثقفين: إننا نعتز بمعاملة الأتراك وإنصافهم، ولا ننكر فضلهم ووقفاتهم السباقة، فهم أهل الدار والإيمان، ونعلم كمَّ الضغوط الدولية المنهالة عليها غرباً وشرقاً ولكن هذا لا يعني أن نسكت عن أشياء نراها من إخوتنا غير مقبولة فنحن في تركية نعامل معاملة السياح وليس معاملة اللاجئين. فمعظم السوريين الموجودين في تركيا يعملون على حسابهم الخاص أو براتب قليل وغير مضمون بشكل قانوني؛ لأنهم لا يحملون وثائق سفر سارية المفعول وبناء عليه لا يعطون إذن عمل رسمي.

ويقول ثانٍ من سكان المخيمات في كلس: مع تقديري وشكري لكل الإجراءات الرسمية والأمنية والخدمية التي تتخذها إدارة المخيمات سواء أعجبتني أم لا. أتمنى أن تنتهي الحرب في بلدي لأعود مباشرة إلى مسقط رأسي فقلت له لماذا؟ فقال: البعد عن الأهل والأحباب عذاب فوق العذاب، وتكاليف الحياة صعبة ومرتفعة، ثم يردف قائلاً: فأردت من أمي البقاء معي في المخيم ولكن لم تتكيف مع وضع المخيم فقررت العودة إلى مسقط رأسها فأمي بقيت وحيدة في ريف حلب ولذا سأعود في أقرب سانحة [١٢].

ويعقب أحد اللاجئين في غازي عينتاب: أنا هاجرت إلى تركية خوفاً من الخدمة الاحتياطية في الجيش وعملت عند رب عمل تركي، ولكنني أعيل أسرتي والعمل غير مستمر، وأي انقطاع يفضي إلى تراكم الديون من آجار وكهرباء وماء وهاتف، ومع هذا أصبت بمرض دخلت به المشفى وعوجلت فيه وأجريت لي عدة

(١١) أفاد أرجان دميرجي، مساعد مستشار وزارة التربية والتعليم التركية، أنّ عدد الطلاب اللاجئين السوريين في عموم تركيا تجاوز خلال العام الدراسي الحالي ٤٥٠ ألف طالب. أهـ ينظر: www.turkeyalaan.net

أقول: هؤلاء عدد الطلبة المسجلين في المدارس وهناك مثلهم تقريباً متسربون كما ذكر في بعض الإحصائيات.

(١٢) في دراسة أعدت من قبل أوتيون أورخان بعنوان "وضع اللاجئين السوريين في دول الجوار: الوقائع – النتائج- المقترحات"ونشرت في شهر تموز/ ٢٠١٤م جاء فيها: لكن بالرغم من الشروط الإيجابية المتوفرة في تلك المخيمات فإن هناك أعداداً كبيرة من اللاجئين الذين فضلوا العيش خارج المخيمات. وأكبر مشكلة تواجههم هي الحياة المملة الموجودة داخل المخيمات. فهم محدودو الحرية ومضطرون للاستئذان من أجل الدخول من المخيمات والخروج منها ينظر موقع السورية نت Alsouria.net وهناك أسباب أخرى لعدم السكن في المخيمات ومنها الرغبة في السكن قريباً من سكن أقاربهم المهاجرين في المدن التركية.

عمليات بلا مقابل، وهذا شيء جيد، وتم شفائي منه – والحمد لله – ولكن ما زلت تحت المراقبة فأنتظر تماثلي للشفاء للعودة إلى بلدي بعد استقراه. فحب الوطن قتَّال، والمعيشية مرتفعة جداً هنا.

ويقول ثالث: والله نحب تركية ولا نريد أن تصاب بمكروه، ولكن ليس على حسابنا فنحن منهكون ميتون، تزيدنا أعباء الحياة هماً على همٍّ فنريد الشعور بالاطمئنان والاستقرار عبر منحنا الجنسية التركية أو على الأقل إصدار جوازات سفر مؤقتة تركية نستطيع الذهاب بها إلى أي بلد آخر.

ويقول رابع: لقد كشفت الهجرة معادن بعض السوريين فمنهم من ظل متمسكاً بدينه ومبادئه وقيمه الإيجابية كما أخبرني أحد المقيمين في مرعش أننا لم نغير عاداتنا وقيمننا، بل نعيش هنا كما كنا في بلدنا متمسكين بديننا، ومنهم من انخدع ببريق المدنية المزيفة وانعدام الرقابة الذاتية والمجتمعية، فتخلى عن كثير من قيمه الدينية للتأقلم مع الحياة الجديدة.

ويقول خامس: المشكلة الكبرى للسوريين جميعاً هي مشكلة اللغة، فاللغة هي وسيلة للتعارف مع الجيران الأتراك وهي أداة ميسِّرة للعمل؛ فالذي يجيد التركية وضعه المعيشي أفضل بكثير ممن لا يجيدها.

وخلصت من هذه اللقاءات الاستكشافية عن وضع السوريين في غازي عينتاب وكلس ومرعش إلى رغبة عارمة لدى جميع من التقيت بهم في العودة إلى وطنهم في أقرب وقت، ولا عتب عليهم في حبهم، فهذا سيدنا بلال بعد الهجرة إلى المدينة مرض كما مرض غيره من المهاجرين فإذا ذهبت عنه الحمَّى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته [صوته] فقال:

أَلَا ليتَ شِعْري هَلْ أبيتنَّ لَيْلَةً ... بفَخ وَحَوْلِي إِذْخر وجليلُ
وَهَلْ أرِدَنْ يَوْمًا مياهَ مجنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وطُفيل(١٣).

والسبب في هذه الرغبة:

١- حب مكان الطفولة والصبا؛ فهي أرض مباركة.
٢- الخوف من التغيير الديموغرافي والسكاني لمدنهم.
٣- غلاء المعيشة إذا ما قورنت بسورية قبل الحرب.
٤- صعوبة الاندماج مع الأتراك بسبب اللغة.

وأذكر أنه خلال حديثي مع أحد المهاجرين الأوائل ذكرني كلامه – وهو يجسد شعور غالبية المهاجرين

(١٣) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٥٨٩. والسهيلي أبا القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (٥٨١هـ) الروض الأنف، تحـ: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ٥/ ٣١. الفخ: موضع خارج مكة. والإذخر: نبات طيب الرائحة. والجليل: نوع من النبات. ومجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية، وهي بأسفل مكة، على قدر بريد منها. وشامة وطفيل: جبلان بمكة.

السوريين – بكلام سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه تعقيباً على جواب الأنصار في فيء بني النضير وحسن فعالهم قبلُ وبعدُ فقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: ليستْ لإخوانكم من المهاجرين أموال، فإن شئتم قسمت هذه وأموالَكم بينكم وبينهم جميعاً، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة، فقالوا: بل قسِّمْ هذه فيهم واقسمْ لهم من أموالنا ما شئت فنزلت: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

فقال أبو بكر: جزاكم الله –يا معشر الأنصار– خيراً، فو الله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الْغَنَوِيُّ:

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَفَتْ ... بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ
أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّـــنَا ... تُلاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ
هُمُ خَلَطُونا بالنُّفُوسِ وَأَجْلَؤوا ... إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ [١٤].

١ – أكثر ما يخشاه السوريون من هجرتهم إلى تركية أن يستغل مرضى القلوب بعض الهفوات هنا أو هناك ليقولوا كما قال من قبل رأس المنافقين عبد الله بن أُبيّ بنِ سلول: قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم [١٥].. ولكنهم يحمدون الله تعالى أن الحكومة الحالية لا تنظر على العرق أو الطائفة أو المذهب فكل المهاجرين عندها ضيوف حتى يعودوا باختيارهم إلى بلادهم بعد استتباب الأمن فيها.

الحلول والبدائل:

تسعى معظم الدول لإطفاء بؤرة التوتر السورية بما يلبي تطلعات الشعب وحقوقه، وللحفاظ على من تبقى من السوريين في بلدهم، ولكن تبقى محاولات إعلامية تصدم برغبة خفية أمريكية روسية بعدم إنهاء الصراع لصالح الشعب السوري وإبقاء الاقتتال بين النظام والمعارضة بحجج واهية، وكأنها مباراة حكماها أمريكة وروسية. وتركية بدورها تبذل قصارى جهدها لتحقيق تطلعات الشعب السوري، وعودة المهاجرين إلى بلدهم طوعاً لا كرهاً مع توفير أهم الشروط الأمنية والسياسية المشجعة لعودتهم كمشاركين في إعادة بناء وطنهم حراً كريماً. ولكن تبقى حلول الهجرة السورية شبه منعدمة في ظل غياب رؤية حل سياسي لما يجري، ولا

(١٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٢٩وفي آداب الشافعي ومناقبه ص ٢١٢ زيادة وهي: وَقَالُوا هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنُوا... وَتَنْجَلِيَ الْغَمَّاءُ عَمَّا تَجَلَّتِ.

(١٥) ينظر ابن هشام ٢/ ٢٩١ وعمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (٢٦٢هـ) تاريخ المدينة حققه: فهيم محمد شلتوت، جدة: ١٣٩٩ هـ ص ٣٦٥-٣٦٥.

سيما بعد تدخل الروس بشكل سافر، وضبابية الإدارة الأمريكية بل ووقوفها الخفي ضد تطلعات الشعب السوري.

ومن هذه الحلول التي ينشدها الشعب السوري في الداخل والخارج.

١- سلام شامل عبر انتقال سياسي للحكم في سورية من غير فرض أجندة خارجية أو نظامِ حكم لا يقبله الشعب السوري وعدمُ إقصاء أي مكون من مكوناته.

٢- إعداد الهيئات العلمية والعملية القادرة على تجاوز تلك السنوات العجاف مع التركيز على الشباب، فهم رجال المستقبل وبُناته. ودعمهم اقتصادياً وعلمياً وسياسياً بكل السبل المتاحة لإعادة إعمار بلادهم

٣- إقامة منطقة آمنة بتوافق دولي إن لم يتحقق المطلب الأول ثم تشجيع السوريين بكل أطيافهم للعودة إلى بلادهم بمن فيهم من قامات علمية واقتصادية، فهذه المنطقة إن أقيمت في الشمال أو الجنوب كفيلة بعودة عدد كبير من المهاجرين إلى بلدهم.

التوصيات والخاتمة:

يُعدُّ المهاجرون السوريون إلى تركية الأفضلَ على كل المستويات الأمنية والسياسية والاقتصادية والدينية، وذلك بسبب تفهم الحكومة والشعب لوضعهم الإنساني الطارئ ولما تقدمه الحكومة من تسهيلات وإجراءات تدفع بهم إلى الأمام رويداً رويداً، وتنبي الحكومة فكرة الأنصار والمهاجرين، وإطلاق اسم مدينة الأنصار على غازي عينتاب من قبل رئيس الجمهورية رجب طيب أردغان، وبما أنني سوري وبحكم علاقاتي مع السوريين أستطيع القول: إن السوريين متفقون على أشياء، أهمها ثلاثة:

١- شكر تركية على استقبالها السوريين على أراضيها من دون تمييز.

٢- رغبتهم جميعاً في العودة إلى سورية عندما ينقشع الظلم، ويتحقق الاستقرار، وتبدأ مرحلة الإعمار.

٣- التشاؤم - وإن كان سلبياً -وعدم التفاؤل بحل قريب ينهي مأساتهم ويحقق طموحاتهم المشروعة.

ولهم أمنيات من الدولة التركية وهي

١- أن تعدَّ تركية نفسها لتكون دار الإيمان لمهاجرين قد تطول هجرتهم بل تدوم.

٢- العمل على تسهيل عملية الانسجام بين السوريين وأهل الدار عن طريق الحكومة والمنظمات الأهلية والدينية لجسر الهوة بين الطرفين.

٣- تهيئة وسائل الإعلام وحثها على بيان المزايا الإيجابية للهجرة السورية وأنها ظاهرة إيجابية لا سلبية

فهي تسهم في تمتين العلاقات المختلفة بين الطائفتين على كافة الصُّعُد، وفي الأمدين القريب والبعيد

٤- العمل على تذليل العقبات المفروضة على السوريين القادمين إلى تركية من الدول الأخرى ولا سيما لمن كان أهله في تركية أو تقطعت به السبل.

وبهذا أرجو من الله أن أكون قد سلطت الضوء - حسب علمي - على أسباب هجرة السوريين إلى تركية وأنها لم تكن إلا قسرية هرباً من الحرب الدائرة وابتغاء للأمان في تركية، وأنها انعكست بآثارها الإيجابية والسلبية على الأتراك والسوريين وعلى سورية وتركية، وأن تركية تحملت الكثير من الضغوط بسبب موقفها المؤيد للشعب السوري وما زالت. وذكرت آراء السوريين في تركية ومشاعرهم وتطلعاتهم، ثم أنهيتها بذكر الحلول والبدائل والتوصيات.

والله أساله القبول.

المراجع:

- أحمد بن حنبل الشيباني: المسند (٢٤١هـ)، تحـ: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: مقاييس اللغة (٣٩٥هـ) تحـ: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح تحـ: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- الرازي ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، (ت: ٣٢٧هـ) آداب الشافعي ومناقبه: تح: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (٦٦٦هـ) مختار الصحاح تحـ: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ط:٥، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م
- السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (٥٨١ه): الروض الأنف: تحـ: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: (٢١٣هـ)، السيرة النبوية تحـ: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي ب، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م
- عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري: أبو زيد (٢٦٢هـ) تاريخ المدينة: حققه: فهيم محمد شلتوت، جدة: ١٣٩٩ هـ.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) الجامع الصحيح تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ): معجم البلدان: دار صادر، بيروت.

الانعكاسات الدينية للهجرة؛

مقارنة الدين والتدين بين سوريا وتركيا*

د. محمود قايا

جامعة حران – كلية الآداب؛ قسم علم الاجتماع

ترجمة: بلال خليفة

يتضمن مفهوم الهجرة حركة جغرافية للمجموعات البشرية بالإضافة إلى: حركة القيم والاعتقاد والثقافة. وعليه فإن المهاجرين خلال نقلهم لقيمهم ومعتقداتهم إلى الأماكن التي يسكنونها يواجهون قيم تلك الأماكن ومعتقداتها.

نستطيع القول: إن اللاجئين من سوريا إلى تركيا عاشوا أيضاً فترات مشابهة. على الرغم من كون سوريا وتركيا بلدين لهما ميراث ثقافي وتاريخي مشترك، فإن التجارب والعيش الديني في هذين البلدين يمكن تحقيقه في مستويات مختلفة.

ومن أجل تحليل موضوع الهجرة في هذا السياق وفي ضوء التجارب والعيش الديني قمنا بإجراء مقابلة مع محمد مظهر حسن (الإمام والخطيب والمدرس السوري) حول التدين في تركيا وسوريا.

محمد مظهر هو ابن المفتي السابق لمدينة الحسكة الشيخ إبراهيم نقشبندي حسن. عمل بالتدريس في إسطنبول لمدة وجيزة ثم انتقل إلى ولاية شانلي أورفا وما زال يقيم فيها، ويدرس القرآن الكريم واللغة العربية في مدرستها.

إن أحد أبعاد الهجرة حتماً هو موضوع الدين والتدين. وفي أثناء الهجرة تتواجه العادات الدينية مع الميول الدينية في الأماكن المسكونة حديثاً. وهذا التواجه يفتح طريقاً للتأقلم الديني من جهة، ويمكن أن يكون سبباً لصراعات دينية من جهة أخرى. وهذه الصراعات على المستويات الصغيرة والكبيرة تفتح الطريق إلى الاندماج والتوحد. وفي هذا السياق عملنا في هذه المقابلة على تناول التجارب في المعنى الديني للاجئين السوريين القاطنين في تركيا منذ أكثر من خمس سنين. ونقدم لكم كيفية تفهم الحياة الدينية في تركيا وفي سوريا من قبل اللاجئين من زاوية نظر محمد مظهر حسن.

قايا: هل بإمكاننا التعرف إليكم؟

حسن: أنا محمد مظهر حسن. قدمت من سوريا إلى تركيا. كنت أزاول وظيفة التدريس في سوريا. كان لأبي مدرسة فيها أربعمئة طالب تقريباً. وبجانب المدرسة كان يوجد جامع، كنت أقوم بالإمامة والخطابة في الجامع وبتدريس الفقه والتفسير في المدرسة.

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Vaka Takdimi: Göçün Dini Yansımaları: Suriye ve Türkiye Bağlamında Din ve Dindarlık" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (محمود قايا، الانعكاسات الدينية للهجرة؛ مقارنة الدين والتدين بين سوريا وتركيا، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ١٩٩-٢٠٦). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

قايا: هل يمكنكم تعريفنا بالحياة الدينية في سوريا بشكل عام؟

حسن: يوجد في سوريا مسلمون ومسيحيون أيضاً؛ ويوجد اليزيديون والعلويون. إضافة إلى الجامع والكنيسة. إلا أنه يوجد عدة مذاهب، وكل منها يمارس عبادته حسب معتقداته. وكل ذلك كان متاحاً من قبل الدولة.

قايا: حسناً، وهل كان يوجد أي اختلاف بين المجموعات الدينية المختلفة اعتقاداً؟

حسن: نعم يوجد اختلاف حتماً. مثلاً يوجد اختلاف متعدد بين المسلمين والمسيحيين. معتقدات المسلمين والمسيحيين ليست واحدة. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]. بيد أنَّ المسيحيين بقوا على دينهم ومعتقداتهم وعباداتهم المختلفة جداً.

يوجد الدروز. هم أيضاً يقبلون أنفسهم كمسلمين، لكن يوجد بعض الأفعال المختلفة في بعض الموضوعات. بالإضافة إلى اليزيدية؛ فاليزيديون أيضاً عندهم تعاليم واعتقادات مختلفة. لغتهم هي الكردية. عقائدهم واعتقاداتهم مختلفة. اليزيدية هي اعتقاد له جوانب مختلفة عن الإسلام والمسيحية. يوجد بين المسلمين مذاهب مختلفة، منها: أهل السنة والعلوية والدرزية والإسماعيلية. وكلها تنسب نفسها إلى الإسلام. بالإضافة إلى مذاهب أهل السنة والجماعة، وهي: شافعي وحنبلي ومالكي وحنفي.

قايا: هل هناك نزاع فكري بين أي من المذاهب التي ذكرتها؟

حسن: لا، بين الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية لم يكن هناك نزاع. وبين السنة والعلوية أيضاً لم يكن نزاع إلى أن بدأت هذه الحرب وظهر النزاع بين السنة والعلويين.

قايا: حسناً، كيف كان نوع العلاقة بين هذه المجموعات التي ذكرتموها قبل الحرب؟

حسن: أغلبية المسلمين في سوريا هم سنة وأغلبهم ينتمون إلى المذهب الحنفي والشافعي، إلا أن إدارة الدولة كانت بيد العلويين، وكانوا يعملون على نشر مذهبهم في المجتمع، وكان يأتي علماء دين شيعة من إيران. يذهبون إلى القرى الفقيرة النائية، ويدعون الناس إلى مذهبهم، ويقدمون لهم مساعدات متنوعة إضافة إلى الدعم المادي.

قايا: هل كان هناك تمييز اعتقادي بين الأشخاص الذين يتم اختيارهم للعمل في مؤسسات الدولة؟

حسن: كما ذكرت سابقاً، القوة الإدارية للدولة كانت بيد العلويين.

قايا: حسناً، وهل كان بإمكان الشخص السنُّي أن يحصل على وظيفة في إدارة الدولة؟

حسن: نعم، يمكن لشخص سُنّي أن يشغل منصباً في مؤسسات الدولة لكنه بعيد عن المؤسسات السياسية الرفيعة ذات القوة.

قايا: منذ متى تعيش في تركيا؟

حسن: منذ أربع سنوات تقريباً.

قايا: بصفتك مدرساً كيف تُقيّم الحياة الدينية في تركيا قياساً إلى سوريا؟

حسن: عند النظر إلى الحياة الدينية في تركيا وسوريا، وفي البلدان والمدن الإسلامية فإننا نجد هذه الدول تُعبّر عن نفسها أنها مسلمة. وإذا أردنا قياس أوضاع المسلمين في هذه الأماكن فيجب القيام بها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية. ونجد في يومنا هذا ابتعاداً كبيراً عن الدين في حياة المسلمين، سواء على مستوى الاعتقاد أم في الحياة الاجتماعية. إضافة إلى ضعف كبير في المجال المسمى ب: (المعاملات) ونرى أشياء تتعارض مع الكتاب والسنة في كثير من المجتمعات التي تُعرف بأنها مسلمة. مثلاً: الطرق الإسلامية المنتشرة في معظم البلاد الإسلامية.. كل طريقة ترى نفسها فوق الطرق الأخرى وتدّعي أنها الأفضل والأصح، ولا توجد محبة بيتهم. وأود ذكر حديث النبي ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقنّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار**». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**الجماعة**».. أخرجه ابن ماجه. وهذا ما نجده اليوم في أغلب تصرفات وسلوك المسلمين المنطوية تحت الإسلام.

قايا: هل يمكنك إعطاء مثال؟

حسن: بالطبع. مثال: التعظيم والاحترام للأشخاص، ومنه اعتقاداتٌ من بعض المريدين يظهرونها تجاه شيوخهم، وهي خطأ من عدة نواح، مثلاً: يوجد أناس يعتقدون أن الصحة والرزق بيد شيخهم، وهناك من يذهب إلى قبر شيخه ليطلب منه رزق الأولاد، وهناك من يطلب سعة في الرزق. وهذه أشياء خاطئة جداً.

كما توجد أخطاء فادحة عند بعض كبار الطرق، مثلاً: عند ذكر شيخهم يصفونه بالمتصرف في الكون ونور السماوات والأرض. مع أن الإسلام الحقيقي علّمنا أن الله عز وجل هو المتصرف بالأرض والسماء والعالم والآخرة وجميع الكون، وهناك عدد من الآيات والأحاديث التي تثبت ذلك. وعند النظر إلى ظاهر حياة هؤلاء الناس فإنه يُرى وقوعهم في الشرك والكفر والعياذ بالله.

قايا: وهل يوجد في سوريا هذه الأشياء؟

حسن: نعم، موجودة في سوريا كما هي موجودة في تركيا أيضاً. ولقد وصف الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ في القرآن ب: (أسوة حسنة)؛ ولذلك فإن النبي ﷺ هو أفضل قدوة ومثال في حياتنا، وأمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ بقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ... الآية [الكهف: ١١٠].

ويفيد النبي ﷺ بأنه إنسان يوحى إليه. أما قسم من الناس فيبالغون في تعظيم الأشخاص. وهناك من

يعتقد أنهم يعلمون الغيب، ويزيدون رزق الناس وأنهم وسيلة لرزق الأولاد. وهذا موجود في عدة بلدان، وهذا شيء خاطئ.

لا يمكننا التكلم من منطلق أنفسنا أو عقولنا أو أفكارنا، بل علينا أن نجعل القرآن الكريم ونبينا ﷺ دستوراً ومنهاجاً في حياتنا؛ ويأمر الله تعالى النبي بقول: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ ... الآية [الأعراف: ١٨٨].

يشهد التاريخ أن المسلمين عاشوا ظروفاً صعبة في عدة حروب، مثال ذلك: تعرض النبي ﷺ للأذى في غزوة أحد، وسقط عدد من الصحابة شهداء، فلو كان النبي يعلم الغيب لما قاتل وجاهد في ذلك الوقت، بل كان النبي ﷺ عند تعرضه للصعاب والأذى يفتح يديه ويدعو الله عز وجل ويطلب منه النصر والعون.

قايا: هل هناك أشياء أخرى ترونها خطأ أو كانت مختلفة بالنسبة إليكم في إطار المعتقدات في تركيا؟

حسن: يذكر الله عز وجل في القرآن الكريم في عدة مواضع: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، وسيدنا محمد ﷺ ذكر في خطبة الوداع: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسُنّةَ نبيه ﷺ**».

قايا: في هذه الحالة هل نستطيع القول: إن قسماً من المسلمين في تركيا وسوريا تركوا كتاب الله وسنة نبيه واتّبعوا طرقاً أخرى؟

حسن: مع الأسف، نعم، وهذا حال قسم من المسلمين.

علينا وضع قاعدة أساسية لأنفسنا، وفي حياتنا الشخصية والاجتماعية وهي: القرآن الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واتباع النهج الذي سلكه سيدنا محمد ﷺ. وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم فنجد أن الله تعالى يذكر العمل الصالح في عدد من المواضع بعد التركيز على الإيمان، ويذكر الله عز وجل الإيمان قبل كل شيء. وعندما يكون إيماننا بالله تعالى متيناً صادقاً قوياً فإن الله عز وجل يقبل أعمالنا. أما إذا كان إيماننا متزعزعاً فإن أعمالنا لا تقبل. والسؤال هنا: لماذا؟ والجواب: لأن أول أساس في الدين هو الإيمان؛ أي عندما يكون إيماننا واعتقادنا بوجود الله تعالى قوياً، وعندما نفهمه بشكل حقيقي صادق فإننا أقمنا أول مرتبة من مراتب الدين، وفي المرتبة الثانية يأتي العمل الصالح. ويجب علينا الاعتقاد أنّ الخير والشر من الله تعالى، لذا على الإنسان التوجه إلى الله تعالى وعليه أن يطلب منه وحده، وألا يتوسل بأشياء أخرى، كما أنّ النبي ﷺ أوصى أصحابه أن يطلبوا من الله تعالى وحده، لأن الخير والشر من الله تعالى.

قايا: إذا لزم القياس بين وضع المسلمين في تركيا وسوريا في إطار العبادات فماذا تودون القول؟

حسن: إن كتاب المسلمين في تركيا وسوريا واحد، ونبيهم واحد؛ لهذا فإن كل من يملك الفهم الديني

الصحيح، سواء في تركيا أم سوريا فإنه سيكون على الطريق الصحيح دائماً. ولكن حسب ملاحظاتي في تركيا هناك اعتقاد زائد بالخرافات عند الناس. واعتقاد الناس بالتميمة وما شابه ذلك زائد جداً. الأشخاص العاملون بالسحر والجن كأنهم كُثُر في تركيا. ولذلك نجد عدداً من الناس ممن اتخذوا الدين أداة للعيش. والطرق الدينية أيضاً كثيرة جداً. المريدون يطلقون على شيوخهم أسماء أعلى من الحدود التي سمح بها الشرع. تصرف الناس بهذا الشكل يبعدهم عن الدين، ويخرجهم عن طريق الحق تعالى.

قايا: إذن لنفصّل أكثر. مثلاً: كيف ترون الجوامع وأداء الصلاة في تركيا قياساً مع سوريا؟

حسن: أحكام الصلاة وقراءة القرآن في الصلاة والقراءة متعلقة بالأشخاص، ومختلفة عند كل شخص. هناك من لا يسأل ولا يريد أخذ العلم من أهل العلم والعلماء. هذا النوع من الناس عندهم عدد من الأخطاء. ومنهم من لا يعرف قراءة الفاتحة. وهناك من يهتم ويسأل العلماء وأهل العلم ويتعلم أداء الصلاة بشكل صحيح. ولا ننسى أن اللغة الأم في تركيا ليست اللغة العربية، ولهذا السبب نجد أخطاءً في قراءة القرآن الكريم. مثلاً: شاهدت عدداً من الأئمة يقرؤون الفاتحة وبعض السور بشكل خاطئ. وحدث أن ناقشت ذلك في الجامع. والإمام عليه تعلم قراءة القرآن بشكل جيد. عدد ممن يأتون إلى التعازي يقرؤون القرآن بشكل خاطئ أيضاً. يمكن القول: إن تسعين في المئة تقريباً ممن يأتون إلى التعازي يخطئون في قراءة القرآن، سواء من ناحية القراءة أم اللفظ. ومن المعلوم أن قراءة حرف واحد من القرآن بشكل خاطئ أو زيادة حرف أو نقصانه يُغيّر معنى القرآن ويُعدّ هذا إثماً.

قايا: هلّا تعطينا معلومات عن التعازي في سوريا؟

حسن: تعازينا تجري كما هي هنا. مدة التعزية ثلاثة أيام، يقوم الأقارب والجيران والناس بأداء واجب العزاء. وفي أثناء العزاء تقرأ سورة الفاتحة، وعند مجيء شيخ أو عالم يقدم الوعظ والنصيحة، إضافة إلى إكرام الضيوف القادمين.

قايا: مررنا بعيد الأضحى، هل يمكنك التحدث قليلاً عن مجريات العيد والأضاحي في سوريا؟

حسن: إن لعبادة الأضحية في تركيا أهمية كبرى قياساً إلى سوريا. والأصل في التضحية أنها ليست فرضاً، إلا أن المسلمين في تركيا جعلوها ثقافة من ثقافاتهم.

قايا: ماذا تقول في عبادة الصوم؟ وأنت قد عشت رمضان في تركيا وفي سوريا.

حسن: لا يوجد فرق. لكن في تركيا معلوم متى ستكون أيام الصوم والعيد لما بعد أربعين أو خمسين سنة، لإعطائكم أهمية أكثر لعلوم الفلك. إلا أنه في سوريا وفي عدة بلاد إسلامية يتم تقرير بداية شهر رمضان وأوقات العيد برؤية الهلال بالعين. كما أن هذا مذكور في القرآن الكريم والحديث الشريف. ومع الاعتماد على العلوم الفلكية والتلسكوب نجد الفرق بين سوريا وتركيا في إثبات الصوم والعيد عبر رؤية الهلال بالعين أو عبر علم الفلك.

قايا: إذا لزم القياس بين تركيا وسوريا ماذا تقول حول انعكاسات الدين على الحياة الاجتماعية؟

حسن: بالطبع، يتم التعبير عن التطبيقات الدينية في الحياة الاجتماعية (بالمعاملات). وهذا يجلب معه عدداً من الحقوق على رأسها البيع والشراء. نرى في تركيا، وبسبب ضعف روابط القرابة، توجهاً أكبر نحو البنوك والفائدة. مثلاً في سوريا، وبسبب متانة الروابط الأسرية أكثر، فإن الناس يستدينون على البضائع. تدعى هذه الطريقة ب (السلم)؛ مثال: يستدين شخص لمدة ما طناً من القمح، وعند انتهاء تلك المدة يعيد طن القمح ويفي دينه. وفي نفس الوقت يتم ذلك على القطن أيضاً.

قايا: هناك شكل للدين اسمه القرض الحسن، هل قابلت هذا الإجراء؟

حسن: نعم هذه العملية كانت موجودة في سوريا إذ كان الناس يقترضون من أقاربهم ومعارفهم. ومن أجل هذا الإجراء، إذا كان المستدين قريباً أو معروفاً لم يكن هناك داع لأي إجراء. أما في بعض الأحيان فيستكتب أو يُعطى في حضور الشهود.

قايا: في تركيا هناك آلية تقليدية موضوع بحثها هو: نقل الخلافات بين الناس إلى أشخاص يُدعَونَ بذي اللحية البيضاء، أو الشخص الحكيم، أو إلى تجمعات تدعى بالجماعات. هل هناك إجراءات مشابهة في سوريا؟

حسن: نعم توجد إجراءات مشابهة. مثال: هناك مشكلات، سواء في إطار العلاقات بين الناس أم بين الزوجين، أو في موضوعات الأملاك والميراث أو حتى في دعاوى الدم (الثأر، الانتقام). وكانت المحاكم تستغرق طويلاً. الحق والعدالة كانت شبه معدومة عند القضاة في سوريا. لأن هذه الأمور كانت مرتبطة بوضع مال (رشوة أو واسطة). لهذا السبب كان الشعب قد سَئِمَ من المحاكم. وعليه فالناس كانوا يذهبون إلى أهل العلم والحكماء، ويعملون على حل مشكلاتهم. والحكماء كانوا يقررون وِفقَ الإسلام والشريعة والعرف والعادات قرارات مختلفة. كانت المشكلات تُحَلُ بامتنان كلا الطرفين.

قايا: لنأتِ إلى مسألة داعش. كما تعلمون أن مجموعة مثل داعش تعرّف نفسها بأنها مسلمة. كيف تُقيّمون داعش؟ ما هي آراؤكم إزاء ظهورهم وأسسهم الاعتقادية؟

حسن: داعش تقول على نفسها: إنها مسلمة. وهي مجموعة تشكلت من أناس، ولكن الناس عند تفسيرهم الخاطئ للدين وعند اهتمامهم بالأحاديث غير الصحيحة وبالخرافات والأساطير والأحلام يخرجون عن حدود الدين ويبتعدون في الدين عن أصله ولبّه. كما أن تحويل الدين إلى الشدة أمر مزعج. بناءً على ما شُوهد من اعتقاد أفراد داعش، مثل: إجبار النساء على التستر وقطع اليد والسجن والإعدام بحجة عدم الالتزام

بقواعد الشريعة. هذه أشياء معارضة لروح الإسلام. في سوريا التي تعيش حرباً كبيرة يمتحن الناس بالجوع وبالموت وبالفقر وبالمذلة، وفوق ذلك يدّعون تطبيق الشريعة الإسلامية بقمع الناس والاستبداد عليهم.

قايا: إلى أي مجموعة أو مذهب يمكن إدراج داعش بالنظر إلى اعتقادهم الإسلامي؟

حسن: داعش هي ليست بمذهب. ولا تقبل المذاهب. تعرّف نفسها بأنها سلفية. وهناك علماء يعرفون أنفسهم بأنهم أتباع السلف الصالح نسبة لأصحاب النبي ﷺ، ويتخذون الكتاب والسنة الصحيحة قدوة لهم. ويمكن تصنيفهم بالمعتدلين. أما داعش فلها اعتقاد؛ وهو: أنها ترى نفسها مسلمة وتقوم بتكفير الباقي. أما في الحقيقة فإن هناك خطأ بناء على ما رأينا في امتثال سيرة النبي ﷺ: أنَّ النبي ﷺ عاش مع الكفار في المدينة ومع اليهود والمسيحيين سويةً، لم يقتلهم، ولم يسلب أموالهم، بل حفظ لهم حقوقهم.

قايا: في هذه الحالة هل يمكننا القول: إن منهج داعش لا وجود له في الدين ولا في حياة النبي ﷺ وسُنَّته؟

حسن: طبعاً لا.. إنّ ما يحملونه من اعتقاد وما يقومون به من ظلم، وما يقتلون من أناس، وما يقومون به من أعمال التفجير.. لا علاقة له بالدين أصلاً. وأنا أعلم بوجود عدد من أعمال العنف في سوريا وتركيا. مثلاً: قاموا بقتل الأطفال الرُضّع والرجال العُجّز وهم نائمون. ومهما كان اعتقاد الأطفال فإنه لا يجوز قتلهم وهذا مخالف للشرع، لأن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا، وَلَا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً**». أما هم(داعش) فيفعلون كل ما نهى عنه النبي ﷺ. مثال: في ولاية غازي عنتاب قبل فترة قاموا بتفجير مكان حفل فيه نساء وأطفال لا ذنب لهم. وتبيّن أن من قام بذلك هم. وفي عدة دول من العالم وفي سوريا والعراق وتركيا حصلت انفجارات. حتى إنهم فجّروا في المدينة المنورة. وقتلوا الناس القادمين إلى الحج.

هذه الأفعال لاعلاقة لها بالقرآن الكريم وبسنة النبي ﷺ. وهذه المجموعات هي من الغلاة، وهم أشخاص أظهروا الدين بالعنف، وخرجوا عن طريق الحق.

في السابق كان الناس في أوربا وأمريكا يتوجهون للإسلام بعدما رأوا أنه دين حق وعدالة، ودخل عدد منهم في الإسلام. أما بعد ظهور داعش فقد نَفَرَ كثير الناس من الدين، وبدؤوا بالخوف من المسلمين؛ لأن صورة الإسلام عندهم أصبحت مرآة لداعش، وأصبح الناس يخافون من الإسلام بسبب تصرفاتهم وأعمالهم.

قايا: ماذا تقترحون من أجل زيادة الانسجام والأخوّة بين اللاجئين السوريين والشعب التركي؟

حسن: قال الله تعالى عن المؤمنين في القرآن: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ... الآية [الحجرات: ١٠]. وهذا يعني أن كل من في تركيا وسوريا وبلاد العالم من المسلمين هم أخوة. ولا يمكن أن يكون النزاع بينهم موضوع بحث.

نحن رأينا من الشعب التركي كل خير. وهم قاموا بمساعدتنا والوقوف معنا، وساعدوا اللاجئين من الشعب السوري. ولا يمكننا إنكار ذلك أبداً. فتحوا بيوتهم للاجئين وشاركوهم طعامهم وشرابهم ولباسهم. وفي أورفا قامت عدة جمعيات خيرية بتوزيع المساعدات على اللاجئين السوريين وقمت بالتطوع معهم. هذه هي أخلاق الإسلام والمسلمين. ونرى في هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة أن الأنصار والمهاجرين قاموا بنفس الشيء. ولا شك أن المساعدات المقدمة للاجئين السوريين زادت التساند والأخوة بين الشعبين السوري والتركي.

قايا: حسناً، منحتمونا فرصة من وقتكم، شكراً جزيلاً.

حسن: في أمان الله، كان الله في عون المسلمين جميعاً.

لقاء مع «تورغاري آل دمير» رئيس وقف بلبل زاده*

أجرت الحوار: أ. طوبى أركوت

ترجمة: أ. علاء الدين حسو

طوبى أركوت: ما هي نشاطاتكم لحل المشكلات المتعلقة بموضوع انسجام المهاجرين مع الثقافة التركية؟

تورغاي ألدمير: بداية، ونحن نتاول موضوع الهجرة، علينا تحديد المفاهيم وفق ثقافتنا وتاريخنا؛ فنحن نطلق عليهم اسم «الضيوف»، والمفاهيم من مثل: (المهاجرين، اللاجئين، طالبي اللجوء) هي مفاهيم أنتجها الغرب وله فيها مآرب أخرى. وما يجري على الذين ذهبوا إلى هناك يقوم على أساس إلغاء ثقافاتهم من خلال برامج تعمل على دمجهم وصهرهم في الثقافة الغربية.

من أجل ذلك علينا أن نُعرّف هذه المفاهيم حسب قضايانا وحركتنا الاجتماعية. ماهي الهجرة؟ ماهي الاستضافة؟ ماذا تعني لنا هذه الحدود؟ هل هي شرعية بالنسبة لنا؟ ولذا علينا كمسلمين مناقشة هذه المسائل. وفي الجهة الاخرى رأينا كيف انصدم هؤلاء الناس الذين عاشوا محاولات صهرهم تحت اسم الانسجام والدمج.

بالنسبة لنا، نرى أن تحقيق السعادة والطمأنينة للإنسان لا يتم عبر إحياء جسده فقط، نحن نرى ضرورة حماية ثقافته وعقيدته ونمط معيشته. فهؤلاء السوريون الذي أخرجوا من سورية واتجهوا نحو الغرب، هم على قيد الحياة، ولكنهم فقدوا الكثير من ثقافتهم وفنونهم وآدابهم وهم في الطريق، ما عدا الذين فقدوا حياتهم في البحار. ومن أجل هؤلاء الضيوف أرى بقناعة تامة، بدلاً من برامج الدمج والصهر، ضرورة نشر ثقافة العيش المشترك.

ولا يمكن للأناضول أن يقوم بمهمته على الشكل الصحيح إذا لم يستطع المحافظة على استمرارية تقاليد وعادات وأعراف العنصر الأم المكوّن له من عرب وترك وكرد. فهذه المنطقة الجغرافية كانت منذ ألف عام وأكثر (من تاريخ مجيء جاغري بي حوالي ١٠١١م وحتى الآن) أرضاً مشتركة للعيش بين العرب والكرد والترك. ومن أجل ذلك قمنا بإصدار كتاب عن التوافق والانسجام الاجتماعي، ذكرنا فيه وجوب العمل على إحيائهم كعرب وأكراد أكثر من العمل على دمجهم وتتريكهم.

* وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Röportaj: Turgay ALDEMİR (Bülbülzade Vakfı Başkanı)" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (أجرت الحوار: طوبى أركوت، لقاء مع «تورغاري آل دمير» رئيس وقف بلبل زاده، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ٢٠٧-٢٢٢). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

صحيح أننا أتحنا فرصة كبيرة للسوريين في مجالات الحياة، ولكننا لم نحقق شيئاً للأطفال الكرد والعرب لإحياء ثقافتهم السورية. هناك من يذهب للمدارس التركية ولكن لا توجد جهود جادة في موضوع المنهاج الخاص بهم. ونرى ضرورة اهتمام الجامعة وتوليها هذا الأمر، وعند الحديث عن موضوعات الدمج لا بد أن يكون تحت رعاية الدولة مع المحافظة على ثقافتهم. فأكبر ظلم يطبق على الإنسان ليس القضاء على وجوده وإنما القضاء على ثقافته وعلى دينه وعلى لغته وعلى نمط معيشته؛ أي القضاء على شخصيته المعنوية.

عشنا ذلك في تركيا قرابة تسعين عاماً، عشنا أياماً لا يستطيع المسلم فيها أن يتكلم لغة دينه. وعشنا أياماً لا يستطيع الكردي أن يتكلم بلغته الأم. في حين علمنا القرآن الكريم أن آيات الله وحي. ولهذا يجب وضع قضية الدمج تحت النقاش وفق معايرنا، لا وفق المعاير الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية. لقد اطلعت على ذلك؛ ففي ألمانيا يقومون بتدريس اللاجئين الثقافة الألمانية ويطلبون منه العيش حسب ذلك. فيما نحن نؤمن أن عليه التعرف على الثقافة الألمانية، وعلى حساسيات وتقاليد الألمان، ولكن في المقابل على الألمان أن يقروا بحق اللاجئين في العيش حسب ثقافتهم الجغرافية التي أتوا منها.

طوبى أركوت: أنتم كجمعية هل تركزت نشاطاتكم في مجال أكثر من مجال آخر؟ ما هي المجالات التي ركزتم عليها تجاه اللاجئين؟

تورغاي ألدمير: لقد قمنا بأدوار فعالة خلال الأزمة العراقية والفلسطينية. وكما جاء في الحديث بما معناه: «أن المسلم لا يكتمل إيمانه إن لم يشعر بالشوكة التي تصيب أخاه». وكما قال تولستوي: «إذا شعر الإنسان بشيء يلامسه فهو على قيد الحياة ولكن إن شعر بالآخرين فهو إنسان». من هذا المنطلق كانت مساعدتنا الإغاثية (الغذاء والداوء واللباس) موجودة في سوريا ودول أخرى. قدمنا مساعدات تصل إلى الآلاف من القاطرات. ولكن على التوازي مع العمل الاغاثي كنا نقوم بدراسة نفسية واجتماعية؛ فعلى سبيل المثال لدينا هنا في عنتاب متاجر نقدم فيها مساعدات ألبسة لحوالي مئة ألف عنتابي ومئة ألف سوري. نقدم مساعدات فعلية غذائية وإكسائية. أصحاب الحاجة يأتون ويأخذون حسب اختيارهم.

طبعاً لا يمكن تلبية احتياجات الناس للأبد، ولكننا نسعى إلى كسب قلوبهم. وفي الحالة السورية، رأينا أننا نقوم بالمساعدة ولكن مع ذلك ثمة نقص، ماهي هذه النواقص؟ تشير الأرقام إلى أن عدد السوريين في تركيا حوالي ثلاثة ملايين، وبلغة الأرقام ما يعادل ٢٧٧٤٠٠٠ سوري مسجل، عدا غير المسجلين. من بين هؤلاء مليون وخمسمئة ألف – يبلغ معدل أعمارهم من الصفر حتى ثمانية عشر عاماً- يجب أن يلتحقوا

بالتعليم. ولكن الأرقام تشير إلى أن ٣٤٠ ألف طفلٍ فقط استفاد من حق التعليم. وكان لنا مساهمة؛ فقد فتحنا ١٢ مدرسة داخل سوريا، وفتحنا مدرسة في جرابلس. ولكن هناك أرقام مخيفة لا تذهب إلى المدارس تبلغ حوالي ١١٦٥٠٠٠ طفل. هناك ٧٥ ألفاً يذهبون مباشرة إلى مدارس تركية. ولكن ماذا عن البقية؟ هناك حوالي ٨٠٠ ألف طفل إن لم نعلمهم سيتجهون نحو سبل المخدرات والجرائم. لقد قمنا بحملة (ليدرس الاطفال) وعملنا عملاً ممتازاً مع الولايات والمنظمات المدنية في المدن الأخرى. وفي مدينة عنتاب، حيث معدل السوريين الذين يذهبون إلى المدارس هي أعلى نسبة، نجد أن ٥٠ ٪ من الأطفال يذهبون إلى المدارس ولكن ٥٠٪ لا يذهبون، إذ لا توجد مدارس كافية ولا توجد فاعلية تجاه ذلك.

لقد ذهبنا إلى المدارس التي خصصت لهم، اكتشفنا أننا قدمنا لهم التعليم ولكننا أخفقنا في تغيير أذهانهم. شكلنا مجموعة مؤلفة من خمسة أكاديميين أتراك وخمسة أكاديميين سوريين، ودرسنا المنهاج السوري. استمر العمل ستة أشهر، كانت مرحلة.. وفي النهاية وجدنا مشكلات جدية في المنهاج، هناك مشكلات في كتب التاريخ والأدب والجغرافيا؛ فعلى سبيل المثال لا توجد إشارات في التاريخ عن السجلوقيين ولا عن العثمانيين. ويرون حرب (جنق قلعة) حرباً إمبريالية مع العثمانيين. نحن نريد أن يذهبوا إلى المدارس، ولكن نريد أن يكون هناك منهاج غير هذا المنهاج. نقلنا هذا الموضوع إلى الوزارة ورئاسة الحكومة ورئاسة الجمهورية. قلنا لهم يجب أن تكون هناك دراسة حول هذا الموضوع، وعلى السوريين أن يعرفوا البلد التي يعيشون فيها. من أجل ذلك أصدرنا كتاب (الانسجام الاجتماعي) لكي يعرف السوريون ثقافة الترك. فلتركيا عمارتها وآدابها وفنونها ومجتمعها المدني وسياستها وبنيتها العائلية. نشرنا الكتاب بالعربية والتركية. وزملاؤنا الأكاديميون يحضّرون الآن في القسم السوري في بيكام (مركز الأبحاث والدراسات للعلم والتعليم والثقافة) كتاباً جديداً فيه إجابة عن أهم مئة سؤال يتعلق بالحياة في تركيا. منها على سبيل المثال: كيف يستطيع الإنسان السوري أن يتملك أو يستأجر وماذا يفعل لو تعرض لحادث، أو ارتكب حادثاً بسيارته، وحول الزواج وما هي الحقوق والواجبات. وأصدرنا جريدة نصف شهرية وباللغتين التركية والعربية، اتحنا الفرصة ليكتب فيها كل السوريين مهما كان مذهبهم أو ملتهم. ترجمنا العشرات من الكتب إلى اللغة العربية لكتاب ومفكرين من أمثال علي عزت بيجوفتش وتولوستوي وعبد الله ناصح علون وغيرهم، نوزعها مجاناً لهم. فنحن نهتم بالجانب الفكري، ونولي للفكر أهمية كبرى، فأكبر حرب في سورية هي حرب العقل بين القديم والجديد و بين الصحيح والخطأ. هناك أكثر من ٢٠٠ صحيفة سورية تصدر للسوريين مدعومة من قبل الغرب تهدف إلى إفساد الفكر وتشويه الحقيقة، تخيلوا أن الذين يدعمون المثلية والشواذ وأن الشيوعيين والملحدين يصدرون كل هذه الصحف بينما عقلاؤنا لا يقدمون للسوريين سوى السلال الإغاثية والخدمات الصحية. وهذا أمر جيد ولكن يجب علينا أن ننقل لهم

تصورنا الإسلامي لإدارة هذه المنطقة؛ لأن التجربة التركية مهمة، لقد استطعنا تجاوز كل العقبات والحواجز من دون التلوث بالتشدد إلى أن وصلنا إلى هنا. وهي تجربة لا مثيل لها في العالمين الإسلامي والعربي وحتى عند المظلومين في كل مكان. كانت هناك حاجة للحديث عن هذه التجربة وقمنا بذلك. من أجل ذلك أنشأنا محطة إذاعية باسم (فجر) يصل بثها إلى أطراف لبنان، وهي تبث من هنا، تشرح للمستمعين مفهوم الأمة المشتركة، وتشرح معنى التقاسم الإنساني، وأن الكليات الخمس الأساسية هي: الروح والنسل والعقل والدين والمال. وهي تبث بالعربية وبالكردية والتركية.

لدينا مشروع افتتاح بيتٍ للثقافة، ليأتي الشباب وليجتمعوا وليتحدثوا وليتناقشوا مناقشات فكرية، فهي تحتاج للتخمر، وإلا سندعهم يتجهون نحو الغلو. نحن نؤمن أن الكتاب أهم من السلاح والغذاء اللذين هناك من يهتم بهما، ولهما مكان مختلف. أما نحن فنسعى لإيصال الكتاب والمعلومة والفكر، وجعلناها مهمتنا، فالحرب لن تنتهي إن لم يغيروا ذهنيتهم.

وفي هذا الإطار لدينا مشروع حول نقل التجارب، فقد أنشأنا طاولة سورية لأكاديميي المجتمع المدني، وقمنا بتجميع السوريين من الشرائح كافة ومن الجنسين وتم دعمهم لإنشاء عدد من الجمعيات، فهناك مثلاً منظمة (منبر الشام) يعمل فيها حوالي ٥٠ متطوعاً، أغلبهم أكاديميون ومن أصحاب الشهادات العليا، وهناك جمعية (بلقيس) تهتم بنشاطات المرأة والأسرة والأيتام، وهناك جمعيات للأطباء والمحامين وكذلك للشباب وللمعوقين وللفنانين. وقد قمنا الأسبوع الفائت بمعرض للرسوم حول الحرب والسلم. وهو معرض يتحدث عن هذه الجغرافيا من الماضي إلى المستقبل مروراً بالحاضر. وفي الرياضة أنشأنا أربعة وعشرين فريقاً تنافسوا فيما بينهم في مسابقة الدوري السوري، ومن ثم انتخب منهم فريق من ١١ لاعباً لعبوا مبارة مع فريق مشكل من اللاعبين الأتراك السابقين وبرعاية ومشاركة من وزير الرياضة والشباب. فالكرة تدور لا دين لها ولا لغة، وكذلك قدمنا مشروع مسابقة التآخي السوري التركي. وفي الفن قمنا بدعم نشاطات في المسرح... نحن لا نرى السوريين كمشكلة، بل هم فرصة أرسلها الله لنا.

في وقفنا ثلاث وعشرون لجنة. في كل لجنة هناك سوريون، نعمل سوية، هم ينقلون هذه التجربة إلى السوريين. ليس هدفنا قيادة السوريين، بل تأهيلهم لقيادة بلادهم بأنفسهم، ونعلمهم ثقافتهم المجتمعية.. ولا نفعل مثل الغرب؛ فهم يختارون الأذكى والأخير ويتركون البقية. صفوة القول: إن كل ما ذكرته من نشاطات نقوم بها تجاه السوريين إنما نحاول من خلالها أن نركز على العيش المشترك، وأن يعيش السوري ثقافته بكل مكونات الشعب السوري. نحن وسيلة لتجميعهم.

طوبى أركوت: ما هي نشاطاتكم تجاه المرأة والطفل؟

تورغاي ألديمير: تستمر برامجنا بخصوص تعليم الأطفال، ولدينا برنامج لتحقيق الانسجام والتوافق بين أيتامنا وأيتامهم. نقوم ببرامج توعية ودعم نفسي لتخليصهم من الصدمة النفسية. هناك المئات من الأطفال الذين فقدوا أحد الأبوين، واذكر طفلاً حين كلمناه قال: إنها أول لمسة حنان شعر بها بعد ستة أشهر من فقدان والدايه، هو الآن من أكثر طلاب صفه اجتهاداً.

لقد قابلنا الكثير من السوريين ممن يحتاج للرحمة والعطف. وحين نُسأل ما هي حاجة السوري نقول للذي يسأل: إن حاجة السوري ما تحتاجه أنت. كيف نرى ذبول أطفالنا خلال يومين إن لم نتهتم بهم؟ فهم كذلك، هم أبناؤنا، هم أمانة استودعها الله عندنا، لدينا فعالية ترفيهية وثقافية للشباب المهمشين. وهناك في تركيا الكثير من المنظمات والجمعيات التي تعمل في هذا المجال، نعمل معهم كمرشدين للسوريين. حتى الآن نهتم بحوالي ٤٥٠ يتيماً و١٦٠٠ عائلة. دون التفرقة بينهم، ودون تمييز، نعمل على تطوريهم وتأهليهم ونقدم لهم احتياجاتهم.

وبعكس المعروف، فإن نسبة المتعلمين في سورية هي الثانية بعد الفلسطينيين في العالم الإسلامي. كانت النسبة قبل الحرب ٩٣٪ بينما في مصر ٥٨٪. المجتمع السوري مجتمع واعٍ. السوريات شاعرات وكاتبات أكثر من التركيات. زرت سوريا في بداية القرن الحالي ووجدت أن الكثير من النساء تقود السيارات. لدينا هنا اليوم العشرات من الطبيبات والمحاميات والسياسيات والمهندسات والمتنورات، نريد أن تعدل شهاداتهن وينخرطن في الحياة الاجتماعية التركية. نحمد الله فقد قطعنا شوطاً مهماً، فالأم الجاهلة لا تستطيع إنشاء جيل واع، نحن رأينا في الخامس عشر من تموز كيف فعل قسم من الجيل البعيد عن هذه التربية الصحيحة إذ وقف مع الانقلابين.

طوبى أركوت: هل لديكم كوقف برنامج لتحقيق الاندماج بين الطلاب السوريين الذين يذهبون إلى المدارس التركية مع الطلاب الأترك؟

تورغاي ألدمير: حالياً هناك مدارس «اليكدار» بالتعاون مع مديريات التربية في الولايات الجنوبية (أورفا، هاطاي، مرعش، عنتاب، أديمان، مالاطيا، أضنة) وبمساعدة وزارة التعليم الوطني نقدم لهم دورات تأهيل. ولكننا نعتقد، حسب وجهة نظرنا، وجوب تعليم السوريين في مدارس مختلفة عن الأتراك لأننا نحن نواجه مشكلة في الدمج. فلا يوجد منهاج متوافق مع ذلك. عشنا هذا الأمر من قبل، كان في السابق كل صفٍّ يضم يتيماً لم يكن له اسم، كانوا يطلقون عليهم اسم: اليتيم، ويسبب ذلك له عقدة نفسية، فيترك التعليم

وينحرف. مثل هذه الأمور لا تحل بقرارات من أنقرة، يجب أن تكون هناك حلول تلامس القلب، تداوي الجرح. والمجتمعات المدنية هي من تداوي القلوب الجريحة؛ فالدولة يمكن أن تدواي الجروح الظاهرية فقط. وهنا يقع على عاتق ابن الأناضول مهمة كبيرة ومسؤولية جسيمة. يجب أن نطلق حملات تحمل الرحمة والشفقة على السوريين، وأن نخاطبهم بأسمائهم وبثقافتهم. وإلا فسيكون هؤلاء الأطفال تحت تأثير رد فعل كبير نتيجة الإقصاء والتهميش.

طوبى أركوت: هل كانت بداية وقفكم الخيري مع السوريين المهاجرين؟

تورغاي ألديمير: لا، لقد استقبلنا الأكراد من شمالي العراق في الخابور في أثناء حرب الخليج الأولى، نصبنا لهم الخيم. ربما لم يكن لدينا خبرة اليوم وإمكاناته، لكننا كنا هناك. ذهبنا إلى حلبجة لمساعدة الناس هناك، ذهبنا إلى آسيا، عملنا بفاعلية في الميدان في أثناء حرب البوسنة. كل هذه الأعمال كانت تجربة مهمة لنا في أثناء التعامل مع السوريين. فقد أتيحت لنا فرصة التنسيق بين الدولة والجمعيات والسوريين.

طوبى أركوت: هل كان هناك علماء دين بين حركات المجتمع المدني السوري والعراقي الذي تعمل معه؟

تورغاي ألدمير: حين بدأت الحرب في سورية قلنا لنجمع العلماء. وجمعنا حوالي مئتي عالم دين سوري، وقمنا بورشة عمل استمرت ليومين حول ماذا يحدث في سورية. كنا نرى ضرورة أن يكون العلماء في المقدمة. طبعاً كان هناك الكثير من العوائق في البداية، فبعضهم لم ير من قبل الأخرين، وقسم منهم لم يرض بأن يكون بجانب قسم آخر. لا أستطيع أن أقول إن علماء الدين السوريين كانوا على قدر المسؤولية. طبعا هناك استثناءات، فهناك القوي والشجاع الذي رجع للجبهة مفضلاً الاستشهاد على الجلوس هنا. ولكن قسماً منهم هرول إلى أوربا ومنهم من ذهب إلى الدول العربية وتركوا مجتمعهم. هنا في تركيا بعض العلماء. نتقابل معهم بين فترة وأخرى، همنا المشترك تعليم الأطفال، ولأجل هذا ندعو علماء الدين السوريين لتحمل المسؤولية من جديد.

طوبى أركوت: ما هي أهم المشكلات التي يعاني منها السوري برأيك؟ وهل تعتقد أن الذين يعيشون داخل أو خارج المخيمات يملكون الشروط الكافية للحياة؟

تورغاي ألدمير: نكرر قولنا إننا لا نرضى بعيش ضيوفنا في المخيمات. لا يمكن أن تكون هناك حياة إنسانية إسلامية في مساحة لا تتجاوز الـ ١٠-١٥ مترمربع. لا يمكن أن تكون هناك حياة عائلية. الطفل الذي يولد هناك لا يمكن أن يحمي الحضارة الإسلامية. لا يمكن لهذا الطفل أن يكتسب الثقة لمقاومة الإمبريالية. نحن هنا نحمي أبدانهم، وهذا جهد مشكور للدولة. ولكن المخيم هو مكان مؤقت، لا يمكن أن يعيش

الإنسان فيه ٥-٦ سنوات. فبموجب عقيدتنا ليس من سمة المسلم أن يترك غيره يصاب بما يكرهه لنفسه. وأنا لا أرضى أن أعيش في تلك الخيمة. لذا علينا أن نتقدم خطوة إلى الأمام، وأن ننقلهم فوراً بعد ستة أشهر إلى المدينة. ومن الخطأ أن تنشأ أحياء خاصة بهم، يجب أن نتخلص من كلمة (هم). رئيس الجمهورية يقول في معاهدة لوزان: تم رسم حدود اتفاقية سايكس بيكو، ولكن انظروا إلى التاريخ. قبل مئة عام كانت سورية جزءاً من الدولة العثمانية، وكنا نرسل لها الوالي من هنا. ولا أقول اليوم أن نرسل الوالي من هنا، ولكن هناك درع الفرات من جهة وبناء جدار عازل من جهة، هذه تصرفات تقسم ثقافتنا، لأجل هذا عنتاب نموذج مهم، وأشكر هنا الوالي والمسؤولين في البلديات لتحملهم المسؤولية. والشكر لكل المؤسسات المدنية ولشعبنا. أنا أتتبع الأخبار الأمنية في المدنية ووجدت أن نسبة السوريين المرتكبين للمخالفات أقل بكثير من نسبة الأتراك، والمتسولون السوريون أقل من المتسولين الأتراك. وقد أخذنا هؤلاء المتسولين وقمنا بتدريبهم وتأهيلهم للعمل. وسبب وجودهم عند إشارات المرور بحالة بائسة هو عدم قيام المسؤولين والإداريين في أنقرة بأعمالهم كما يجب.

يداول الله الأيام بين الناس، فالسوريون ليسوا متسولين ولا لصوصاً، وليسوا جاهلين ولا بلا بثقافة، وليسوا محتاجين للمال. هم في هذه الفترة كانوا أصدقاء جيدين، وجيراناً جيدين، توجد حوالي ٩٠٠ شركة سورية في المدينة، يساهمون في تحريك العجلة الاقتصادية، هناك أكثر من ٤٠ عملاً كبيراً. السوريون يعملون في كل القطاعات، وهم مهرة، وطبعاً لكل مجتمع شواذه ومشاكله. هذه مدينة تسودها الرحمة والشفقة، لا تجد إنساناً في الشارع. مرة رأيت تركيان يتجادلان على استضافة ضيف، اتفقا في النهاية أن تكون الاستضافة يوماً عنده ويوماً عند الآخر. نحن بين يدي امتحان. ألا توجد مشكلات بيننا؟ لدينا أخطاء، لدينا نواقص، هناك لحظات جرحنا فيها السوريين، ونحن نعمل على تذليل الصعاب وحلها بالنقاش مع بعضنا بعضاً. لم يحدث قط في هذا العالم ما يجري هنا؛ ٣٥٤ ألف سوري يعيشون في عنتاب، أي خُمس عدد السكان. ولكن هناك توافق، أوربا تقوم باستفتاء من أجل عشرة أو عشرين أو خمسين شخصاً. الإنسانية عندنا؛ لا نميز بين فقير وبين غني، لم نفرق بين مسلم وبين مسيحي أو غير مسلم. اكتشفنا بعد عام أن بعض الذين عرفناهم هم دروز أو مارون أو مسيحيون. نعمل سوية. سألني ذلك الرجل هل تعرف من أنا؟ أنا لست مسلماً، كان ذلك الشخص هو سينارست درزي. وما سبب التفجيرات هنا؛ تفجيرات داعش والسفارة الأميركية والبي ك ك، من أجل ماذا؟ كل ذلك من أجل إشعال فتيل الحرب الأهلية هنا، ولكنهم لن يقدروا، لأننا واعون ومؤمنون بعملنا من أجل أجندتنا.

طوبى أركوت: لو فكرنا بطول الحرب، هل تعد تركيا المهاجرين بشيء ما في المستقبل أم أن المهاجرين سيتوجهون نحو الغرب؟

تورغاي ألدمير: لقد توقف عشق المهاجرين للغرب، لأن الغرب سراب. قسم من المهاجرين عادوا عندما خطت تركيا خطوة.. على سبيل المثال حين طلبت تركيا توظيف أكاديميين تقدم حوالي ٥٠٠٠ أكاديمي خلال أسبوع. قسم منهم قال أنا أرضى بنصف راتب الغرب إن حصلت على عمل في تركيا. ولكن تركيا تأخرت كثيراً، لا أستطيع أن أغفر للبيروقراطية، نحن نعمل هنا والعمل يتيه في دهاليز أنقرة كجريان نهر في الصحراء.

لا توجد مشكلة اسمها سوريا. هذا مستقبل تركيا والمنطقة. أمن دمشق من أمن تركيا. ليست حلب وإنما دمشق؛ فطالما دمشق هكذا تركيا لن تشعر بالطمأنينة. لا توجد دولة يبدأ أمانها من حدودها. وهذا ما شرحه السيد رئيس الجمهورية عدة مرات. إن لم نضع نظاماً لما بعد الحدود لا يمكن أن نشعر بالأمن هنا. ولا يعني ذلك أن الأتراك بقوا دون عمل؛ فهناك مجالات وأماكن كثيرة يمكنهم الاستفادة منها. هناك ٣ ملايين سوري يعرف العربية، ونحن لا نعرف لغة ديننا، أؤمن أن تركيا تخطو خطوات جديدة ولكنها بطيئة. فالقضية السورية ليست قضية أمنية وحسب، فوجود ٣ ملايين سوري هنا فرصة كبيرة لتركيا للتخمر والمساهمة في نشر السلام في العالم الإسلامي وفي المنطقة.

طوبى أركوت: كيف تقيم أداء الدولة ومنظمات المجتمع المدني من ناحية المساعدات المادية المقدمة للمهاجرين السوريين؟

تورغاي آلدمير: الدولة صرفت كثيراً على المخيمات في حين نجد أن تسعة من أصل عشرة من السوريين يعيشون في المدن. كما أن هناك ثلاثة ملايين سوري خارج الحدود نهتم بهم؛ أي في الحقيقة نحن نهتم بستة ملايين سوري. وعدد السكان على الحدود يتضاعف، وتركيا تؤمن احتياجاتهم؛ فهناك خدمات جادة وفعالة وكبيرة، ولكن أغلبها محصور في الغذاء بنسبة ٧٠٪، و١٥-٢٠٪ للخدمات الصحية. ولا توجد نسبة للتعليم ولا للثقافة ولا للفن ولا للعمران ولا حتى للسينما. في الغرب يقدمون زجاجة ما ويصورون ثلاثة أفلام، ما قدمناه وما فعلناه غير معروف. فنحن على سبيل المثال قمنا بالتعاون مع (درويش زعيم) أهم مخرجي تركيا لزيارة المخيمات لعدة مرات، وسنعمل معاً لإخراج فيلم عن سوريا. وأنا أدعو منظمات المجتمع المدني إلى التوجه نحو هذا المجال. ساعدونا لنساعدهم في شرح قضيتهم. فنحن نقوم بمشروع (تاريخ صوتي) بالتعاون

مع درويش زعيم وبإشراف كمال أوزتورك، وهو مشروع بدأنا به حقيقة. ونقوم بإلقاء ٥٥٠ سؤالاً على حوالي ١٠٠ (مفكر، صحفي، عالم، رجل أعمال، امرأة، طفل، شاب) سوري لديه حكاية ليسجلها أمام الكاميرا ويحكيها. رأينا من بكى وهو يتذكر، يروي أشياء كان قد نسيها. يجب تخزين هذا وإظهاره للعالم، ويجب إسماع العالم عن الجريمة المرتكبة بحق الإنسانية. ولكن لا أحد يفكر في ذلك. الاهتمام قائم على بناء المخيمات فقط، ولكن لا أحد مهتم بما يحدث وما حدث وما يجرى في سوريا..

يجب أن نتجاوز المساعدات المادية من غذاء وصحة. يجب أن نتوجه بأعمالنا ونشاطاتنا إلى الفكر والعقل والثقافة والعقيدة، ويجب أن نعطي أولوية لذلك. نحن نقدم لهم مساعدات غذائية والغرب يقدم لهم الكتب، نحن نُشبع بطونهم والغرب يُشبع أفكارهم. نحن لن نستطيع الوصول إليهم حين تنتهي الحرب، إذ سيكون الغرب قد سيطر على أفكارهم.

أخذت أمريكا الأكراد في حرب الخليج الأولى، فعلّمتهم ودربتهم، وأنشأت أمريكا صغيرة هناك، وهم يفعلون ذلك في سوريا، يجب أن نظهر امتعاضنا تجاه ذلك.

طوبى أركوت: برأيكم هل تستند الأفكار السلبية المتشكلة لدى الأتراك عن المهاجرين السوريين إلى حقائق أم لا؟

تورغاي ألدمير: هناك بعض القلق حيال ذلك. هناك قسم يرتكب أخطاء، ولكن في ثقافتنا واعتقادنا لا يقابل الخطأ بمثله، ولا نُشهر ذلك، وهذا يقربنا من الله. قد يفعل بعض السوريين الأخطاء. قسم منهم بسبب الحاجة، وقسم نتيجة الحرية التي وجدها هنا – وكان مضغوطاً في بلد يحكمه نظام المخابرات– وارتكب بعض الأخطاء لعدم تفهم الوسط الذي هو فيه. ولكن ليس كل سوري هكذا، ولأجل هذا من الضروري وضع دروس عن الانسجام في المدارس. ومن الضروري التعرف على بعضنا بعضاً. فالإنسان عدو للذي لا يعرفه. ومع كل أسف إعلامنا لا يعمل كما يجب في هذا الصدد.

طوبى أركوت: كيف تقرأ الجنسية أو المعادلة الأممية بالنسبة للسوريين؟ وهل نحن بحاجة إلى حزمة قوانين لتأمين حقوق المهاجرين بشكل شرعي أم يكفي وعي الأمة والحفاظ على ذلك؟

تورغاي ألدمير: مع كل أسف يسبب مفهوم الجنسية والقومية في هذا العالم مشكلات كثيرة. نحن نعيش معاً كبشر في هذا العالم. لا يمكن أن يكون شيء لا نملكه ميزة لنا. فأنا ولدت هنا، والسوري ولد هناك، التقاسم هو الأساس. ويجب أن يكون هناك ناظم لهذا الأمر بعيد عن العاطفة والوجدان. لنترك السوريين

وننظر إلى دستورنا الحالي فقسم من الأكراد لا يجدون أنفسهم فيه؛ لذا يجب أن يكون لنا دستور غني بالدين واللغات والثقافات إضافة إلى القوانين. فالأناضول كان حوضاً للحضارة، وعاصمة الدولة العثمانية العلية، هنا كانت العدالة للجميع والحرية للجميع والوجدان والرحمة للجميع تحت مظلة واحدة.

رؤيتنا للوطن هي أن الأناضول عاصمته. دولتنا الحقيقية هي تلك الجغرافية التي نحملها في قلوبنا من إفريقية وآسية والشرق الأوسط والبلقان. لا حدود للرحمة والوجدان والشفقة، لا ننظر لهذا إن كان سوريًا أو تركيًا، هنا يوجد مريض، جريح، لا ننظر إلى عرقه وملته، هل هو إنسان؟ أليس هو كائناً حياً؟ وكما قال السلف: «أحيِ الإنسان دون النظر إلى مذهبه أو مشربه حتى تحيا الدولة» من هذا التصور يجب أن نبدأ.

Book Review "Strangers at Our Door"*

Mehmet AKSÜRMELİ**

Yokluk beni mecbur etti,
Gurbeti ben mi yarattım?[1]

Muhlis Akarsu

You have to understand,
That no one puts their children in a boat
Unless the water is safer than the land.

Warsan Shire

Strangers at Our Door is a book by Zygmunt Bauman, emeritus professor of sociology at the University of Leeds. Bauman is one of the most influential sociologists of our age, who wrote many books and articles in various topics. Bauman is the advocator of late modern social theory and he conceptualizes the age that we live in as a "liquid modern" time or era. I think that especially last several books of Bauman are efforts to express and contextualize his social theory and liquid modernity concept through different themes like morality, love, utopia, and social inequalities. This book also has the same intention and it can be considered as a late modern social theorists' view on the current refugee crisis .

The book, which has no introduction and preface, consists of six chapters. Although the chapters are not directly related to each other, there are some common concepts. In that sense, first chapter is more like an introduction chapter. Concepts like stranger, moral panic, massive migration and relations between these concepts are presented in the first chapter. Bauman identifies migration for martial reasons as a modern phenomenon and mentions that "refugees from the bestiality of wars and despotisms or the savagery of famished and prospectless existence have knocked on other people's doors since the beginnings of modern times" (p. 8-9). The ones who come from 'outside' and knock the other peoples' doors for mandatory reasons are the strangers "for people behind those doors" (p. 8-9). On the other hand, being strange or stranger, in essence, is a source of anxiety for indigenous people. According to Bauman, this anxiety stems from a very fundamental state. Strangers are "fearsomely unpredictable, unlike the people with whom we interact daily and from whom we believe we know what to expect; for all we know, the massive influx of strangers might have destroyed the things we cherished – and intend to maim or wipe out our consolingly familiar way of life" (p. 9-10). Moreover, this anxiety and the sense of insecurity are somehow neutral, because "one cannot help but notice that the massive and sudden appearance of strangers on our streets neither has been caused by us nor is under our control" (p. 16-17). Briefly, the people, who leave their homeland and migrate other countries, are being perceived as strangers and hosting strangers are the cause of anxiety for native people. Till that point, I have summarized how Bauman conceptualizes and explains the main mechanism of migration for our society. Bauman, moving from that point, criticizes exploiting the

* Zygmunt Bauman, Kindle Edition, Polity, 2016, 120 p, ISBN: 9781509512201.
يُنظر البحث باللغة الإنجليزية في العدد التركي بعنوان (Kitap Değerlendirmesi: Strangers at Our Door) من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة المنشورة في العدد التركي. (محمد أكسورملي، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ٢٢٣-٢٢٦).

** Arş. Gör. Gaziantep Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, aksurmeli@gmail.com.

[1] Impossibilities forced me, did I invent the foreign land?

anxiety and the sense of insecurity rooted by refugees by politicians and different institutions. He exemplifies different cases for this exploitation, and mentions how populist politics and governments are "beefing up the anxiety" of citizens rather than "allaying their citizens' anxieties" (p. 28-29). Bauman sees migration as a mandatory result of modern times. Instead of exploiting anxieties of people and fostering 'us and they' divide in society, he points out that people should be aware of the age we live in. Globalization (or cosmopolitization), individualization, and detraditionalization are the main trends in late modern social theory. In other words, globalization (and mentioned trends) should be essentially considered, before analysing today's social phenomenon. Moreover, those trends are in the roots of turmoil that we live in our age. Bauman, in that vein, considers migration and refugees as a reminder of this fact. He mentions that "nomads – not by choice but by the verdict of a heartless fate – remind us, irritatingly, infuriatingly and horrifyingly, of the (incurable?) vulnerability of our own position and of the endemic fragility of our hard-won well-being" (p. 16-17). He also mentions that refugees and mass migration "make us aware, and keep reminding us, of what we would dearly like to forget or better still to wish away: of some global, distant, occasionally heard about but mostly unseen, intangible, obscure, mysterious and not easy to imagine forces, powerful enough to interfere also with our lives while neglecting and ignoring our own preferences" (p. 18-19) .

This is a short and accessible book for the readers. It has no heavy sociological concepts or debates in it. On the contrary, time to time, Bauman quotes newspapers, TV broadcasts and public surveys; and these bring a fluid reading experience. The book's potential reader can be academic world or general public. For both group of potential reader, this book can create inspiration, sociological perspective and awareness on migration issues. To me, although the book has weak sides, it is an important contribution to the literature. Firstly, writing such a book and questioning moral panic and public fear makes this book important. Especially, his critique of exploiting the moral panic is one of the significant aspects of this book. I also think that this book is not a pessimistic book that brings readers to conclusions of the end of the world, chaos, persistent turmoil etc. Rather I found it an optimistic study that calls humans to be aware of structural changes and social transformations of the age we live in. The only weak side of the book is its inability to portray tragedy of current migration crises. During ongoing Syria conflict (or Syrian civil war), according to Humanitarian Needs Overview[٢], 13.5 million people are in need of help (6.5 millions of this people are children) (p. 3). This conflict created 4.18 million refuges till that time, according to the same report (p. 5). Basically, the report mentions that those numbers means that "more than half of Syria's population has been forced to leave their homes" and this is "one of the largest population displacement since World War II" (p. 4). Those numbers are statistical indicators of the problem. Besides that, since starting of this ongoing Syrian conflict, I have been living in Gaziantep, a city in Turkey that has border with Syria. I have been witnessing "strangers", and I live among them. For that reason, also, I evaluate this book as an inadequate attempt to portray and discuss the problem of migration.

٢ United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs. (2015). *Humanitarian Needs Overview.* Retrieved from https://www.humanitarianresponse.info/en/system/files/documents/files/2016_hno_syrian_arab_republic.pdf.

أن تكون مسلماً أو تبقى ألمانياً؛ الأمة والدين وتغيير الدين في أوروبة الحديثة*

أ. زينب سراب تكتن آق سورمه لي

قائمة بالأعمال في جامعة غازي – قسم العلوم الاجتماعية

ترجمة: د. محمد أمين مصطفى

وقبل الخوض في محتويات الكتاب، نجد في كلا الطبعتين صورة امرأة تتصدر غلاف هذا الكتاب، ولكننا إذا أمعنّا النظر في اسم الكتاب فإننا لا نرى اهتماماً كبيراً بالمرأة وقضاياها. علماً أن ما يقدمه الكتاب له علاقة بالمرأة، وعندما نقرأ الكتاب كاملاً فإننا نرى أهمية ظاهرة اختيار الإسلام مع الاحتفاظ بالجنسية الألمانية.

أما أهم نقد يمكن أن يوجه إلى هذا الكتاب فهو الفوارق التي يراها الكاتب بين الرجل والمرأة وكيف يمكن أن تكون المرأة ألمانية ومسلمة في الوقت ذاته.

وعندما نتابع ونحلل ما هو موجود في غلاف الكتاب يبدو لنا شيء آخر، ففي الطبعة الإنكليزية نرى صورة المرأة التقليدية المسلمة وهي تمسك لفافة (سيجارة)، وتدهن أظافرها باللون الأحمر، وتضع أحمر الشفاه على شفتيها وهي امرأة شارفت على الخمسين من العمر، ترتدي غطاء رأس فضفاضاً وتنظر إلى الواقع بإيجابية، في مشهد يجذب اهتمام القارئ.

أما في الطبعة التركية عام ٢٠١٥ التي خصصت للقارئ التركي فنلاحظ امرأة أقل شأناً، نرى امرأة تمسك مجلة بيدها وهي ما تزال في ميعة الصبا وصورة مدينة أوربية خلفها. ويحاول الكاتب أن يظهر حدود تقبل المجتمع الألماني للمسلمين، والمشكلات التي يعانون منها، وكيف أن المجتمع الألماني ينبذهم، وقد أخذ هذا حيزاً كبيراً في الكتاب.

ومن جهة أخرى فإننا نلمس في ثنايا الكتاب صورة الألمان الذين اعتنقوا الإسلام وانتظموا في مجموعات وهيئات إسلامية مع انتشار السلفية، وبروز معاداة الإسلام، والعادات الجديدة التي اكتسبها الألماني المسلم.

وفي هذه الدراسة كما يرد في الكتاب، نرى صفاء الألمان الذين اعتنقوا الدين الإسلامي ونقاءهم وحسن إسلامهم. وتنبع هذه النظرة من التفوق الأوربي وأن من اعتنق الإسلام هم من خيرة المسلمين ورغبتهم في الانعزال عن المسلمين المهاجرين.

باختصار فإن الكاتب يصور العلاقة بين المسلمين الذين هاجروا إلى ألمانيا والألمان الذين اعتنقوا الإسلام، ويشير إلى التباين بين الفئتين.

يشرح الكاتب تصور الألمان الذين اعتنقوا الإسلام، وأنهم يمثلون الإسلام الحقيقي في أوربة وهذه

* نشر هذا الأثر الذي يعود إلى د. إسراء أوزيوك أول مرة في دار نشر جامعة بريختون في عام ٢٠١٤ باللغة الإنكليزية، وفي عام ٢٠١٥ ترجم إلى اللغة التركية، وتمت طباعته في مطبعة ايله تيشيم الطبعة الاولى، إستانبول ٢٠١٥ ص٢٧٢.
وهذه هي الترجمة العربية للدراسة بعنوان "Kitap Değerlendirmesi: Müslüman Olmak, Alman Kalmak: Yeni Avrupa'da Millet, Din ve Din Değiştirme" التي نشرت في العدد الرّابع من مجلة الإلهيات الأكاديمية. (زينب سراب تكتن آق سورمه لي، أن تكون مسلما أو تبقى ألمانيا؛ الأمة والدين وتغيير الدين في أوروبة الحديثة، الإلهيات الأكاديمية، ٢٠١٦، العدد: ٤، ص ٢٢٧-٢٣٠). من الواجب أن يستند في الإقتباس إلى المقالة التركية.

مهمتهم. أما المسلمون المهاجرون فلا يمثلون الإسلام الحقيقي. إذن ما هو الإسلام الحقيقي في نظر هؤلاء الألمان الذين اعتنقوا الإسلام!!؟

يقول إن هؤلاء يستمدون الإرهاب من الإسلام، لذلك لا يمثلون الإسلام، ويظهر جلياً في الكتاب أن المسلمين الألمان هم أفضل من المسلمين المهاجرين هذا متوقع لأن هؤلاء عاشوا وتعاملوا مع المجتمع. ويشير إلى تفوق المسلمين الألمان بشكل سري حيناً وبشكل علني في أحيان أخرى.

المسلمون الألمان لا يعرفون إلا القليل من ديانة المسلمين المهاجرين، وجهلهم هذا يقودهم إلى نعت المسلمين المهاجرين بصفات غير مقبولة.

وعندما يحاول الكاتب أن يحلل التباين بين المسلمين المهاجرين والمسلمين الألمان يعطي بعض الأمثلة كالعادات والتقاليد وعدم التجانس الاجتماعي. وهذا الاختلاف هام للمسلمين الألمان ويتمثل بجرائم الشرف، وختان المرأة، ارتداء البرقع، ومنع تعليم الفتيات، ومنع عمل المرأة، وعدم السماح لها بالتجارة، وعدم مساواتها مع الرجال. كل هذه التطبيقات نابعة من العادات والتقاليد البالية وليس من الإسلام. وهذه الرواسب الاجتماعية هي ما يحاول المسلمون الألمان التخلص منها، ويقترحون الابتعاد عن المهاجرين من المسلمين، وعندما يشير الكاتب إلى التباين واختلاف وجهات النظر بين المسلمين المهاجرين والمسلمين الألمان فإنه يشير إلى الأتراك بخاصة.

ويذكر أن امرأة ألمانية رأت ابنتها ذات يوم وهي ترتدي الحجاب فقالت لها: أصبحت الآن تشبيهن الأتراك!! [1].

يصور الكاتب الأتراك بأنهم مهاجرون عديمو الثقافة، غارقون في التخلف، لا يتصرفون بلباقة في المجتمع، والمرأة عندهم تمشي خلف الرجل بخطوات عديدة وينجبون الكثير من الأولاد، والمسلمون الألمان، قد يفقدون شيئاً من مكانتهم في التعامل مع هؤلاء. لذلك ينأى المسلم الألماني بنفسه عن المسلمين الأتراك المهاجرين. وفي النتيجة: يعتقد المسلمون الألمان الذين اعتنقوا الإسلام مؤخراً أنهم هم يمثلون الإسلام الحقيقي وأن مهمتهم تكمن في جعل الأتراك المهاجرين أكثر مدنية، للإسلام كما يزعمون أو كما يعتقدون. وهذا الموقف إنما يميله عليهم كونهم يمثلون التفوق الأوربي. وأن عليهم واجباً هو أن يعلموا المهاجرين أسباب الحضارة والمدنية.

ففي الكتاب، المسلمون المهاجرون لا يمثلون الإسلام على حقيقته، وهم بعاداتهم السيئة لا يمكن أن ينخرطوا في المجتمع، ولا بد من تغيير هذه العادات وتعلم مبدأ احترام الآخرين ومساعدتهم، وعدم البقاء عاطلين عن العمل، وانتظار راتب العطالة من الدولة.

وباختصار فإن المسلمين الألمان يرون في المسلمين المهاجرين صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين، لذلك هم يحاولون أن يتبرؤوا منهم. لأن هؤلاء في نظرهم أدنى منهم اجتماعياً وثقافياً وحضارياً. بينما يرى المسلمون المهاجرون بأن هؤلاء الألمان ليسوا منهم بعاداتهم الغربية وتقاليدهم. وفي الحقيقة لا يمكن أن نتصور فوارق جوهرية بين المسلمين سواءً أكانوا مهاجرين أم كانوا ألمانا في البيت الأوربي.

(١) يورداقول.ج، وكورته ويج.أ مناظرات في الزواج القسري، جرائم الشرف، ودمج المهاجرين والمساواة بين الجنسين في هولنداوالمانيا وانكلترة، ٢٠١٣ منبر الدراسات النسائية العالمية، المجلد (٤١) المقالة في الصفحات ٢٠٤_٢١٤ والشاهد في ص ٢٠٨.

ضوابط النشر في المجلة

مجلة «الإلهيات الأكاديمية» هي مجلة بحوث إسلامية دولية محكمة نصف سنوية، تصدر عن عمادة كلية الإلهيات بجامعة غازي عنتاب، وتهتم بالبحوث في مختلف العلوم الإسلامية والإنسانية والعربية وعلوم الشأن العام، وتصدر باللغتين: العربية، والتركية.

أهداف المجلة:

١- نشر الدراسات العلمية والتربوية في مجال العلوم الإنسانية والإسلامية والعربية.
٢- تلبية نهم الباحثين وطلاب العلم عربياً وعالمياً في المجال الإسلامي والإنساني.
٣- إغناء المكتبات العربية في العلوم الإسلامية والإنسانية.

شروط البحوث المنشورة:

١- أن تكون متوافقة مع أهداف المجلة.
٢- أن تكون لغة البحث عربية فصيحة وواضحة، وأن تكون مترجمة باللغة التركية حتى يتسنى نشرها باللغتين.
٣- أن لا يكون البحث منشوراً قد سبق نشره في مجلّةٍ أو كتابٍ محرّر.
٤- أن تكون مشكلة البحث غير معالجة من قبل، ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.
٥- أن توافق عليه هيئة التحكيم.
٦- ألا يزيد البحث عن ٣٠ صفحة (٨ آلاف كلمة)، بما في ذلك الملخصات والجداول وقائمة المراجع، وذلك ضمن قواعد الكتابة التالية.
٧- يسلم البحث منضداً على برنامج «Ms Word»، ضمن القواعد التالية.
٨- يرسل الباحث مع بحثه صورته الشخصية، وسيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج منها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وأهم مؤلفاته وعنوان بريده الإلكتروني.
٩- يجب أن يتضمن البحث: خلاصة للبحث تشتمل على الأفكار الأساسية والنتائج، بحدود (١٥٠- ٢٠٠) كلمة على الأكثر؛ باللغة: العربية، والتركية، والإنكليزية. ومقدمة تتضمن أهمية البحث وأهدافه ونهج البحث، والنتائج والتوصيات، والمراجع أو المصادر.

قواعد كتابة المتن والحواشي والمراجع:

١- تنسيق الصفحة: مقاس «A4» بالهوامش التالية: (٤) سم من الأعلى، و(٣) سم من اليمين واليسار

والأسفل.

٢- تنسيق الخط: للعربية «Traditional Arabic» بمقاس (١٤) للمتن، و(١٢) للهوامش. وللاتيني «Palatino Linotype» بمقاس (١٠) للمتن، و(٨) للهوامش.

٣- تنسيق الفقرة: مسافة التباعد بين الأسطر: مفرد، ويتأخر السطر الأول (٠,٧) سم في العربي، و(٠,٥) للاتيني. وقبل الفقرة (٠) نقطة، وبعد الفقرة (٦) نقاط.

٤- لا يضاف للبحث أي لون غير الأسود وتدرج الرمادي في أي موقع من البحث.

٥- يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بما في ذلك ملحقات البحث.

٦-التوثيق:

- توضع أرقام التوثيق بين قوسين [٣٧]، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره.
- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث. مثال: [الأعراف: ٢].
- يوثق الحديث النبوي الشريف في الهامش بذكر من أخرجه والكتاب والباب ورقم الحديث.
- تكتب أسماء الأعلام في المتن مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين (ت: -).
- تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية، ولاتينية بين قوسين ( ).
- ترتب قائمة المراجع ترتيباً ألفبائياً بحسب اسم الكتاب في نهاية البحث، وتفصل قائمة المراجع الأجنبية عن العربية.
- تُكتب بيانات المرجع كاملة عند ورودها للمرة الأولى في البحث.
- تُكتب بيانات المرجع العربي على الترتيب التالي: اسم الكتاب بالخط العريض، اسم المؤلف أو المؤلفين: اسم المحقق (إن وجد) أو المحققون، دار النشر، مكان النشر، رقم الطبعة كاملة أو مختزلة بين قوسين، تاريخ الطبع. مثال: **الأفعال**، أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي: تحقيق د. حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥م.
- في المرة التالية يوضع المرجع على النحو التالي: اسم الكتاب، الجزء، الصفحة. مثال: الأفعال صـ ١١٦، أو (٣/ ٣٤٧).
- تُكتب بيانات المرجع الأجنبي على الترتيب التالي: عنوان الكتاب أو البحث بالحرف المائل. النسبة بالأحرف الكبيرة، الحرف الأول من الاسم. الحرف الأول من الاسم المتوسط. وإذا تعدّد المؤلفون يُفصل بين أسمائهم بفاصلة منقوطة (؛)، الطبعة (ثانية، ثالثة...)، دار النشر، بلد النشر، سنة النشر.
- الاستشهاد بمخطوط: عنوان المخطوط كاملاً، اسم المؤلف كاملاً، مكان وجوده، تاريخ النسخة، عدد أوراقها، رقم الورقة.
- الدّوريّات (المجلات): «اسم المقالة»، اسم الكاتب، اسم المجلّة، المجلّد و/ أو رقم العدد (سنة

النّشر)، رقم الصّفحة. مثال: «الأمن القوميّ العربيّ»، محمد حسن، استراتيجيّات، المجلد الخامس عشر، العدد الأول (٢٠٠٩)، صـ ١٢٩. وفي قائمة المراجع يكتب هكذا: «الأمن القوميّ العربي»، محمد حسن، استراتيجيات، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ٢٠٠٩م.

إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية: يضاف بعد عنوان البحث بالحرف المائل الكنية والاسم، وتتبعه نقطة. اسم المجلة وبلد النشر ويتبعه فاصلة، المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة، وسنة النشر، أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

- مقالات الجرائد: يشار إليها فقط في الهوامش دون قائمة المراجع هكذا: «عنوان المقالة»، اسم المؤلف، اسم الجريدة، تاريخ النشر باليوم والشهر والسنة. مثال: «الهجرة السورية أسباب وأبعاد»، فتح الله حسب الله، شفق التركية، ١٢/ ١٠/ ٢٠١٣م.
- المنشورات الإلكترونيّة: يُشار إليها فقط في الهوامش، وليس في قائمة المراجع. وينبغي أن تتضمن الإحالة تاريخ الزيارة. مثال: «الدولة المصرية» محمد علي النجار، ٩/ ٣/ ٢٠١٣م، على الرابط: http://ydut ronicintifada.net/v2/article3399.shtml

٨- الاختصارات: تاريخ الوفاة (ت:)، تحقيق (تح:)، صفحة (صـ:)، الجزء والصفحة (٢/ ٣١٥)، الطبعة (ط)، بدون تاريخ (د.ت.)، بدون ناشر (د.ن.)، الهجري (هـ)، الميلادي (م)، قبل الميلاد (ق.م.)، إلى آخره (إلخ)، انتهى (ا.هـ).

ملاحظات:

١- للمجلة الحق في ترجمة بعض المواد التي يتم قبولها للنشر إلى لغات أخرى، وفقًا لما تقرره إدارة المجلة.

٢- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن رأي الجامعة أو الكلية أو هيئة التحرير.

٣- يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

٤- يكون قرار إجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً بيد هيئة التحرير، وتحتفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.

٥- لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر البحث المنشور في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد أن يحصل على موافقة خطية من هيئة التحرير.

٦- لا تدفع المجلة أية مكافآتٍ ماليّةً عن الموادّ – من البحوث والدراسات والمقالات – التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبعٌ في الدّوريات العلميّة في العالم.

٧- ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة «الإلهيات الأكاديمية» – جامعة غازي عينتاب – الجمهورية التركية

ت: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٦٩٦٥ ف: ٠٠٩٠٣٤٢٣٦٠٢١٣٦ @: ilahiyatakademi@gantep.edu.tr